جامعة الجزائر
معهد التاريخ

التجارة الخارجية لتلمسان

فى عهد الامارة الزيانية

من القرن السابع الى القرن العاشر الهجريين

(13 – 16 م)

رسالة انيل شهادة الماجستير

تقدمها الطالبة

بشارى لطيفة

اشراف الأستاذ الدكتور موسى لقبال

السنة الجامعية 1406 – 1407 هـ
1986 – 1987 م

شكر وتقدير

يسعدني ان اقدم جزيل الشكر والتقدير الى استاذي
الدكتور موسى لقبال الذي لم يبخل علي يوما بتوجيهاته
القيمة ونصائحه المفيدة.
واعترف انني ما توصلت على هذه النتيجة
الا بفضل التشجيعات المستمرة والمساعدات الكبيرة
التي افادني بها من بداية الطريق
الى نهايته

الطالبة بشارى لطيفة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

- مقدمة -

****

أسباب اختيار الموضوع :

لقد لفت انتباهي قلة الدراسات الاقتصادية الخاصة بالجزائر في العصر الوسيط ، ولاحظت ان الباحثين في تاريخ المغرب على الخصوص غالبا ما يركزون على النواحي السياسية والعسكرية ، ويبتعدون عن الخوض في مواضيع تمس الحياة الاقتصادية ،كما أن معظم الذين قاموا بهذا النوع من الدراسات مع قلتها ، من الأوربيين بلغات أجنبية مختلفة خاصة الفرنسية ، وقد تطرقوا لها من وجهة نظرهم ، وتعرضوا لبلاد المغرب في اطار حديثهم عن العلاقات العامة بين أوروبا وبلاد المغرب ،وكان اهتمامهم مركزا على المغرب بين الأدنى والأقصى ، وهو ماجعلني أختار موضوع ((التجارة الخارجية في عهد الامارة الزيانية بالمغرب الأوسط)) وهي فترة تمتد خلال ثلاثة قرون (من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) الى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، عسى ان أتمكن من تقديم مساهمة متواضعة في كتابة تاريخنا الوطني وسد فراغ في هذا المجال ،فالتجارة هي احدى دعائم الحياة الاقتصادية وترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية والسياسية .

وقد سيطرت هذه الدولة على المغرب الأوسط في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط الذي انتهى بسقوطها وبدأ بعد العصر الحديث وهي فترة جمعت بين تقاليد التجارة التي كانت معروفة في القديم وبين ظهور بوادر التجارة الحديثة سواء في المجال البري أو البحري .

.../...

الصعوبات التي واجهتني :

وقد واجهتني أثناء عملي صعوبات عديدة منها :
عدم توفر المادة حول الموضوع بحيث لم تهتم المصادر التي أرخت لهذه الفترة بالناحية الاقتصادية، ولم يعثر على كثير من المعاهدات التجارية التي عقدتها في ذلك الوقت مختلف الامارات الاسلامية مع غيرها من الدول الاجنبية .

وقد اعتمدت كثيرا على مؤلفات أجنبية وهذا طلب مني مجهودا كبيرة في الترجمة بحيث كنت أعيد الكتابة عدة مرات لا تفادي الأساليب الركيكة الناتجة عن ذلك .

كما اضطررت في غالب الأحيان الى البحث عن المعلومات الخاصة بالتجارة في المغرب الأوسط بين الأسطر وفي الهوامش، والاقتباس مما كتبه بعض المؤلفين الذين توفرت لديهم وثائق أو نصوص خاصة بالمغرب .

وقد واجهت كل ذلك رغم الظروف الصعبة التي يعانيها كل باحث وباحثة في بلادنا والتي لا تخفى على أحد خاصة اذا كانت الباحثة أم لعدة أطفال صغار في حاجة الى رعاية كبيرة، وتمارس مع ذلك مهنة التدريس الشاقة في الطور الثانوي .

خطة البحث:

وقد وضعت لهذه الدراسة المخطط التالي :
الفصل الأول وهو عبارة عن مدخل تطرقت فيه الى ((تلمسان قاعدة المغرب الأوسط)) سبل تأسيس امارة بني عبد الواد أي منذ العهد الروماني والوندالي فالاسلامي ومعنى كلمة تلمسان وموقعها ثم أهم الأدوار التي لعبتها في المغرب الاسلامي منذ الفتح وأثناء قيام ثورات الخوارج الصفرية وفي عهد الأدارسة وبني عمومتهم السليمانيين وأثناء الصراع الفاطمي الأندلسي حول السيطرة على بلاد المغرب وما آلت اليه بعد ضعف هؤلاء وأولائك ثم وقوعها في قبضة المرابطين فالموحدين بعد ذلك .

ويأتي بعد ذلك قيام امارة بني عبد الواد الذين اتخذوها عاصمة لهم والصراعات التي دارت حولها بين هؤلاء وبين الحفصيين من جهة الشرق والمرينيين من جهة الغرب، وأثر تلك الصراعات على الأوضاع الاقتصادية والسياسية بها، ثم وقوعها تحت النفوذ الأراغوني الى أن استولى عليها الأتراك سنة 962 هـ / 1554 م .

وقد بحثت في الفصل الثاني ((النقل التجارى بين تلمسان والبلدان المتعاملة معها)) بدءا بالنقل البرى فتعرضت لأهم المحطات التي كانت تعبرها المبادلات التجارية من والى تلمسان أو تباع فيها، ثم لأهم الطرق الموصلة بين تلمسان وغيرها من المحطات التجارية في بلاد المغرب وبلاد السودان . كما تعرضت الى الرحلة البحرية بين تلمسان وبين المناطق المتعاملة معها، ووسائل النقل التي كانت متوفرة آنذاك .

وفيما يخص ((النقل البحرى)) تعرضت الى ((الموانيء)) التي استخدمها التلمسانيون في تجارتهم مع الخارج ثم الى الخطوط البحرية التي كانت تربط هذه الموانيء بالمناطق المتعاملة مع تلمسان على مستوى العالم الاسلامي وجنوب غرب أوروبا، وتوقفت أخيرا عند سير الرحلات البحرية والوسائل المستخدمة في النقل البحرى عندئذ .

وفي الفصل الثالث تناولت ((الحركة التجارية بين امارة بني زيان وبعض بلدان العالم)) ومنها العالم الاسلامي خاصة على مستوى بلاد المغرب والأندلس، ومنها أيضا ممالك بلاد السودان أى غانة ومالي وسنغاى، فحاولت التوقف عند بداية الاتصال التجارى بين هذه الممالك وتلمسان وأسباب ذلك ومنشطيها بعد ذلك، وفيما يخص ((الحركة التجارية بين تلمسان ومدن جنوب غرب أوروبا)) تطرقت الى تحديد تاريخ بداية العلاقات التجارية بينهما وخصائصها بصفة عامة ثم انتقلت الى الحديث عن علاقة تلمسان بجمهوريات جنوب ايطاليا ومنها جنوة والبندقية وبيزا وفلورنسا وتأتي بعد مدن جنوب ايطاليا مدن وقومونات جنوب فرنسا ومنها مرسيليا وناربون ومونبلييي وفي الأخير تأتي مملكة

.../...

أراغونة والظروف الدولية آنذاك وما نتج عنها من بسط النفوذ الأراغوني في المنطقة وما فرضته من معاهدات على تلمسان في سبيل بلوغ هدفها .

وخصصت الفصل الرابع والأخير للممارسة التجارية داخل امارة بني عبد الواد، فتكلمت عن القوانين التجارية وتنظيمها ، وتعرضت للمنشآت التجارية كالفنادق والمخازن والجمارك والمعاملات التي كانت سائدة في تلك الفترة ، والأسواق وطرق التعامل بها .

وانتهت في الأخير بذكر أهم المواد التي كانت تصدرها الامارة سواء من منتجاتها الزراعية أو المرفية أو المنجمية ، وكذلك المواد التي كانت تجبرها ، ثم المواد التي كانت تستورد ها .

مـنهـج البحـث :

وكان المنهج الذى اتبعته لتحقيق هذا الانجاز هو الرجوع الى المصادر القديمة من كتب الرحلة والجغرافيا والتاريخ والوثائق المعاصرة لفترة البحث فدرستها ، وقارنت بعضها ببعض، وحاولت تحليل ما يمكن تحليله واستخلصت بعض الاستنتاجات .

كما عدت الى كتب حديثة منها العربية ومنها الأجنبية التي استطاع أصحابها أن يطلعوا على وثائق بعضها فقد الآن وأثريت بحثي بما توصل اليه أصحابها من نتائج .

نقد المصادر :

ان البحث في مجالات النشاط الاقتصادي والتجاري بالذات من الصعوبة بمكان اذ لا توجد مصنفات متخصصة في هذا الموضوع في العصور الوسطى ؛
وقد أعتمدت في هذا البحث على مصادر متنوعة منها :

1) <u>الوثائق</u> : وهي عبارة عن مجموعة من المعاهدات منها :

– معاهدة تمت بين الأمير الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن والملك الأراغوني ألفونسو الثالث (Alphonse 3) في ربيع سنة 686هـ/ 1286م ، وهي أقدم معاهدة معروفة في تاريخ العلاقات بين أراغونة وتلمسان ، ولم يعثر الا على نصها اللاتيني الذي نشره Duforcq[1] والاستاذ عطاء الله دهينة[2] ، مع الترجمة الفرنسية ، وقد ترجمت هذا النص الى اللغة العربية في الملحق رقم 1 من رسالتي هذه .

وتختص بنودها الثلاثة الأولى بمعالجة الجانب التجاري ، أما بقية البنود فقد خصصت للحقوق والضمانات التي يتعهد ((ملك تلمسان)) بتوفيرها للجالية الأراغونية في بلاده ، وتلقي هذه المعاهدة بعض الضوء على الامتيازات التي منحتها السلطات الزيانية للأراغونيين آنذاك .

---

1) انظر : Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, 1967, pp.33 sq.

2) – Les états de l'Occident Musulman aux 13, 14 et 15e Siècle, institutions gouvernementales et administratives; Alger 1984, pp.479 sq.

– Le Royaume Abdeloudide à l'époque d'Abou-Hammou Moussa 1er et d'Abou-Tachéfine 1er, Alger 1985, pp.210 sq.

ومعاهدة أخرى عقدها السلطان المريني أبو الحسن في تلمسان بعد احتلالها سنة 737هـ/1337م مع ملك ميورقة جقمة الثاني في 5 شوال 739هـ / 15 أفريل 1339م وقد نشر النص الاسباني والترجمة الفرنسية Maslatrie في كتابه : (Traités de Paix et de Commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes d'Afrique Septentrionale au moyen-âge)[1]

ونشر الأستاذ دهينة النص الفرنسي في كتابه ('Les Etats de l'Occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles [2].

وهي ذات صبغة اقتصادية بحتة ، تقتصر على الجانب التجاري، وتركز على حماية حقوق التجار وضمان أمنهم وسلامتهم من مختلف الأخطار .

ورسالة بعث بها السلطان أبو حمو موسى الثاني الى ملك أراغونة بطرس الرابع Pierre IV في 4 ربيع الثاني سنة 761 هـ/ 23 فيفري 1360م وقد نشر نصها العربي الأستاذ دهينة[3] ويدور مضمونها حول أمن التجار والسفن والتجارة بين أراغونة وتلمسان والامتيازات التي كان التجار الأراغونيون يتمتعون بها ، وضرورة حماية التجار

---

1) انظر : T.1 Paris 1866, p. 192

2) انظر : p. 488 sq.

3) Ibid, p. 518

المسلمين من هجمات القراصنة الأراغونيين واستعداد أبي حمو موسى الثاني لعقد معاهدة بينه وبين ملك أراغونة .
ومعاهدة أخرى عقدها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني مع الملك الأراغوني بطرس الرابع Pierre 4 في 29 صفر سنة 764 هـ / 18 ديسمبر 1362 م وقد نشر الأستاذ دهينة النص الفرنسي لهذه المعاهدة[1] ، وهي تركز على توفير الأمن اللازم للتجار البلديين أينما كانوا وحمايتهم من الأخطار الطبيعية والبشرية وعدم اشتغال كاهلهم بالجبايات حتى يتمكنوا من القيام بمهامهم في احسن الظروف .

ومشروع معاهدة عرضه السلطان الزياني محمد السابع على الكونت دي الكوديت ممثل الامبراطور شرلكان أو شارل الخامس Charles Quint بوهران في 5 سبتمبر 1535 م وقد نشره احمد توفيق المدني في كتابه (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ط . الجزائر ، 1968 ، ص258 فما بعدها) وقد خصص البندين الثاني والثالث منه لمعالجة الجانب التجاري .
ويتبين من هذا المشروع استسلام الأمير الزياني للأمر الواقع بتقديمه تنازلا كبيرا للاسبان ولايطلب منهم الا الاعتراف به وعدم تأييد معارضيه عليه .
ومعاهدة أملاها الكونت دي الكوديت الاسباني ، بعد استشارة الامبراطور شرلكان ، على السلطان محمد السابع في سبتمبر 1535 م وقد نشرها أحمد توفيق المدني في المرجع السابق ص259 فمابعدها .
وتتكون من تسعة عشر بندا ، خصصت خمسة منها للناحية

---

1) Les Etats de l'Occident Musulman, p.528, sq.

التجارية وتبين هذه المعاهدة بوضوح كيف وضع الاسبان الامارة الزيانية تحت نفوذهم .

2) كتب الجغرافيا وأهمها كتاب" المغرب في بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك الذى ألفه أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، حوالي سنة 460 هـ / 1069-1068م ، وحققه البارون دوسلان (طبعة الجزائر ، سنة 1957 م) وقد أفادني في تعريف بعض المناطق والمدن ببلاد المغرب، والتعرف على بعض الطرقات بين امارة تلمسان وبلاد السودان الغربي ، وأشار الى بعض المعاملات في الأسواق وبعض الأحداث التاريخية .

وكتاب : ((مسالك الأبصار في ممالك الامصار))لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي بن فضل الله العدوى المعروف بالعمري المتوفى في 9 ذى الحجة 749هـ / 28 فبراير 1349 م ، وقد اعتمدت على ترجمته ا... الفرنسية المرفوقة بتعاليق قيمة للاستاذ Gaudefroy - Demonbynes تحت عنوان Omari (Ibnfadl-Allah) : Masalik El-Absar fi Mamalik et Amsar,I,l'Afrique moins l'Egypte, Paris 1927.

وقد أفادني بمعلومات عن بلاد السودان وخاصة عن مالي ،ويلاحظ انه بالرغم من ان العمرى كتب الكثير عن بلاد المغرب الى أنه لم يهتم بتلمسان الا من حيث تبعيتها للمرينيين[1] .

وكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " الذى نشر هنرى بيريس الجزء الخاص بالمغرب منه تحت عنوان : ((وصف افريقية الشمالية والصحراوية ،طبعة الجزائر1957م).

وهو من تأليف الشريف الادريسي المتوفى سنة 562هـ / 1166م ،وتحدث فيه عن باقي الأنشطة الاقتصادية وبعض المزروعات ومواطن استغلالها وتبادل المنتجات بين مختلف مناطق المغرب الاسلامي وطرق التجارة البرية وبعض

1) Omari: Masalik, introduction, P.X

الطرق البحرية والمسافات بينها. وبالرغم من كون الادريسي عاش في القرن السادس الهجري (12م) فقد بقيت المعلومات الواردة في كتابه صالحة، فيما بعد، لأن الحياة الاقتصادية بصفة عامة لم يطرأ عليها أي تغيير ملفت للانتباه .

وقد تعرض الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى سنة 821هـ/1418م، في الجزء الخامس من مؤلفه "صبح الأعشى في صناعة الانشا" (طبعة القاهرة، 1913 ـ 1919) الى امارات المغرب الاسلامي في القرنين السابع والثامن الهجريين (13 ـ 14م)، فحدد مختلف مناطقها وعرّفها .

وتحدث أبو العباس أحمد بن محمد المقري المتوفى سنة 1041هـ/1631م، في الجزء السابع من كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب عن أجداده الذين كانوا يمارسون التجارة في ممالك بلاد السودان الغربي، ونوعية السلع التي كانوا يتعاملون بها، وعلاقاتهم بملوك تلك المنطقة، أيام دولة بني عبد الواد، وهو يعتبر من أهم المصادر التي عالجت موضوع التجارة الخارجية آنذاك .

3) كتب الرحلة: وأهمها:

كتاب ((الرحلة المغربية)) التي ألفها محمد العبدري البلنسي إثر ذهابه الى المشرق سنة 689هـ/ 1289م والتي حققها ونشرها أحمد بن جدّو وقد أفادتني في وصف الطرق، والتزود بمعلومات دقيقة متعلقة بالمدن والأمن والأخطار التي يتعرض لها المسافرون بين بلدان المغرب .

ـ وكتاب الرحلة المسماة: " تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لمحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة، المولود سنة 703هـ/ 1304م) وقد سجل فيه صاحبه مشاهداته أثناء رحلته

الطويلة عبر عدد كبير من البلدان في المغرب والمشرق الاسلاميين وممالك بلاد السودان خلال القرن الثامن الهجري (14م) وقد أفاد هذا البحث بصفة خاصة بحديثه عن المعاملات في الاسواق وعن السلع المتوفرة من صادرات وواردات وكذلك في وصف الرحلة عبر الصحراء وتنظيمها والأخطار التي يتعرض لها التجار والمسافرون وكذلك الرحلة بين مناطق المغرب برّا وبحرا .

كما دوّن عبد الباسط بن خليل معلومات هامة، جمعها أثناء رحلته من مصر الى المغرب والأندلس في بداية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، بكتابه ((الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم)) الذي نشره Brunschvig.R، تحت عنوان ((deux récits de voyages inédits)) ، وقد أقام في تلمسان من أوت 1464م الى أكتوبر 1466م وزار مدينة وهران وانتقل منها الى المغرب الأقصى وغرناطة فضمن كتابه أخبارا عن بعض الأحداث السياسية التي عايشها وعن العلاقات بين الامارات المغربية وعن بعض أمور التجارة، لأنه هو نفسه كان تاجرا، ونقل بعض السلع من وهران لبيعها في الأندلس، كما ذكر بعض المعلومات عن الرحلة البحرية وأنواع بعض السفن التي ركبها وكيف كان القائم بالأشغال يحشر السفن القادمة من بلاد الفرنجة في وهران .

وكتاب ((وصف افريقية)) (Description d'Afrique) لصاحبه محمد بن الحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي (Léon l'Africain)، ألفه حوالي سنة 1526 باللغة الايطالية وترجمه الى الفرنسية A. Epaulard، وتضمن وصفا هاما لمدن بلاد المغرب ومن بينها تلمسان، وبلاد السودان الغربي ويحتوي على بعض المعلومات

عن الأسواق والمعاملات التجارية والموارد التي كان يقبل عليها الناس وبعض الأسعار وكيفية التعامل بين التجار، وصفات تجار تلمسان والذهب وكثرته وأهميته في بلاد السودان الغربي وبعض الأخبار عن الرحلة والطرق .

4) كتب التاريخ : ومنها :

كتاب((العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر))لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 1406م، ويتضمن معلومات هامة عن تاريخ تلمسان والأحداث التي وقعت في المغرب الأوسط الى أواخر القرن الثامن الهجري (14 م) في المجلدين السادس والسابع من طبعة بيروت وقد نشر المعلومات التي يتضمنها هما البارون دوسلان تحت عنوان " تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب (ط ـ الجزائر 1951) ، في مجلدين ، وقد استعنت بهما لأن طبعتهما أحسن من طبعة بيروت الكثيرة الأخطاء .

وقد أعتمدت على مقدمته، تحقيق عبد الواحد وافي ،ط القاهرة 1379 هـ / 1960 م ،وبها معلومات قيمة عن التجارة وأهميتها وصفات التجار ومعاملاتهم وكيفية الحصول على الربح الوفير وأهمية سلع بلاد السودان الغربي .

وكتاب: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،لصاحبه أبي زكرياء يحي بن خلدون الذي ألفه في القرن الثامن الهجري النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ،وخصصه صاحبه لتاريخ ملوك بني عبد الواد ، فجاء مكملا لكتاب أخيه ((العبر..))

../..

وقد أفادني بصفة خاصة في التزود بمعلومات عن عهد أبي حمو موسى الثاني (1359 ـ 1389 م) الذى عاصره وتولى منصبا ساما في دولته .

وكتاب: ((نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان)) لصاحبه محمد بن عبد الله التنسي المتوفى سنة 899 هـ/ 1494 م، وقد أضاف معلومات لما جاء في كتابي " العبر" و" بغية الرواد " خاصة بالنسبة للأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) مع العلم انه عاش في قصور بني زيان، كما استفدت بالجزء الخاص بدولة الأدارسة .

5) كتب الفقه والنوازل والحسبة ومنها :

كتاب ((المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب)) لأحمد بن يحي الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ/ 1508 م، ويتضمن معلومات كثيرة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأفادني خاصة في كيفية استثمار التجار للأموال .

وكتاب((تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر))

لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، وهو فقيه توفى بتلمسان عام 871هـ/ 1467 م، حققه علي الشنوفي ونشره في : Bulletin d'Etudes Orientales Tome XIX, années 1965-1966, Institut Français de Damas، وقد وردت فيه معلومات كثيرة، من خلال الفتاوى والأحكام، عن المعاملات في الاسواق وتصرفات التجار

وطرق البيع والشراء وبعض المكاييل والموازين والغش في الدراهم.

ومؤلف: ((الدرر المكنونة في نوازل مازونة، النصف الثاني)) مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1336، لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني فقيه، عاش في مازونة وتوفي سنة 881هـ / 1478- 1479م واستفدت منه فيما يتعلق بالتجارة مع بلاد السودان، وبعض ما كان يجلب من سلع كالإماء وسعرها وكيفية التعامل: كالقراض والشركة والحوالة وحكم الشرع في ذلك.

وكذلك كتاب: ((متن الرسالة)) لابن ابي زيد القيرواني المتوفى سنة 366 هـ/ 996- 997 م، وبخاصة في شرعية استثمار رؤوس الأموال في التجارة.

وكتاب: ((التيسير في أحكام التسعير)) لصاحبه احمد سعيد المجيلدي المتوفى سنة 1094 هـ/ 1683 م، ويتضمن معلومات مهمة عن المحتسب ودوره في السوق وبعض الموازين والمكاييل والأسعار.

6) مراجع عربية:

كتاب: ((المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم)) لأستاذي موسى لقبال (طبعة الجزائر 1981)، وقد أفادني خاصة في توضيح ثورات الخوارج الصفرية ببلاد المغرب. كما استفدت من كتابه ((دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) طبعة الجزائر 1979، في التعرف على نشاط الفاطميين في المنطقة والصراع الذي دار بينهم

../..

وبين الأمويين وما نتج عنه من أحداث بالمغرب الأوسط .

وكتاب ((أبو حمو موسى الزياني ،حياته وآثاره)) ، طبعة الجزائر 1982 ، للأستاذ عبد الحميد حاجيات ، وهو يغطي الفترة الممتدة من بداية دولة بني عبد الواد ، منذ حكم يغمراسن ،الى عهد أبي حمو موسى الثاني ،وقد تطرق فيه الى مختلف الأحداث العسكرية مثل توسعات بني عبد الواد شرقا وغربا ، واصطداماتهم ببني حفص وبني مرين وهجومات هؤلاء عليهم واكتساحهم المغرب الأوسط وحصار تلمسان مرات عديدة والاستيلاء عليها أحيانا وعلاقة الأمراء الزيانيين بالقبائل المنتشرة في المنطقة .

وكتاب: ((مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493- 1591 م))طبعة الجزائر 1971 ،للأستاذ عبد القادر زبادية ،عالج فيه تاريخ بلاد السودان ،وعلاقة ملوكها بسلاطين المغرب ، والعلاقات التجارية بين الطرفين ،وذكر بعض السلع التي كانت تباع هناك .

وكتاب: (طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (في أواخر العصور الوسطى)) ،لنعيم زكي فهمي ،وقد استفدت منه خاصة فيما يتعلق بالرحلة البحرية والمحطات الهامة التي كانت السفن الأوروبية تتوقف فيها وأخطار الرحلة البحرية ومواعيدها وأهمية بعض المواد المستوردة والمصدرة واستعمالاتها المختلفة .

وكتاب: ((العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى))

طبعة دمشق ، 1980 ،لعادل زيتون ،الذى وضح فيه الرحلة البحرية بين السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط وجنوبها فتحدث

.../...

عن مواعيدها الأخطار التي تتعرض لها وأنواع السفن التي كانت تستعمل، وكان مفيدا أكثر عند ما تعرض لتاريخ المدن والجمهوريات الايطالية .

وكتاب: ((النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، طبعة بيروت ، القاهرة ، 1403هـ (1983م)) لعز الدين أحمد موسى الذي أفادني في موضوع الشركات وكيفية تقسيم رأس المال والأرباح والمعاملا في الأسواق .

7) مراجع اجنبية ومن أهمها :

كتاب: Traités de paix et de Commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Paris, 1866. لصاحبة Maslatrie (L . De)

وهو في جزئين اعتنى في الجزء الأول فيه بالوثائق الخاصة بعلاقة المسيحيين في جنوب غربي أوروبا بالمسلمين في بلاد المغرب منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وركز بالخصوص على العلاقة بين ايطاليا وافريقية (تونس) ، وقد تضمن الجزء الثاني معلومات غزيرة عن المبادلات التجارية بين المسيحيين والمسلمين فتعرض لكيفية سير التجارة في بلاد المغرب ونشاط المسحيين بها والامتيازات التي كانوا يحصلون عليها ، وأماكن استقرارهم ونظام حياتهم ، ونظام الضرائب والضمانات التي يمنحها اياهم الحكام وبعض المشاكل التي تعترضهم والسلع التي كانوا يتبادلونها ، ويعتبر هذا الكتاب مرجعا أساسيا أعتمدت عليه كل المؤلفات التي كتبت بعده في مجال التجارة .

../..

وكتاب: ((La berberie orientale sous les Hafsides, Brunschvig (R.)
Paris ; 1940 - 1947 وهو في جزئين خصص الجزء الأول
للتاريخ السياسي للامارة الحفصية، وبحث في الجزء الثاني موضوع
الحياة الاقتصادية، فتعرض للطرق التي كانت تربط المغرب
الأدنى بالمغرب الأوسط، والمشاكل التي تعترض طرق القوافل
مثل الفيضانات وانعدام الأمن، ووسائل النقل المستعملة، والنقل
البحري، وآثار الحروب الصليبية على التجارة في البحر الأبيض
المتوسط وأوضاع التجار المسيحيين في بلاد المغرب ودور اليهود
في مجال الصيرفة والقروض وعمليات البيع والشراء ونظام الجمارك
والأسواق وقد ركز في كل ذلك على المغرب الأدنى.

كما استفدت من مؤلفات (L' abbé Bargès) حول تلمسان
مثل: ((Tlemcen ancienne capitale de ce nom)) الذي عالج
تاريخ مدينة تلمسان فأفادني في الفترة التي حكم فيها الأدارسة
هذه المدينة وأثناء حكم يغمراسن وأبنائه وعند تعرضها لحصار
المرينيين.

والمقدمة التي كتبها عندما ترجم الجزء الخاص بتاريخ بني
زيان ملوك تلمسان ((Histoire des Béni-Zeiyen, Rois de Tlemcen))
من كتاب نظم الدر والعقيان، للتنسي وتفيد خاصة
في تعريف بني عبد الواد ومقال ((Mémoire sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan)).
وقد نشره في (Revue de l'Orient, Paris, 1853) وقد تعرض
فيه للطرق والسلع والتجار مثل أسرة المقري.

واستفدت كثيرا من المقال الهام الذي نشره Coudray
تحت عنوان ((Relations Commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan; bulletin de la Société de Géographie d'Alger 2ème année, 1887))

تناول فيه صاحبه : الطرق والمحطات التجارية بين تلمسان وبلاد السودان والصادرات والواردات بين المنطقتين والتجار والنقود .

وكتاب: ((L'Economie de l'Empire Portugais aux XV et XVI siècles, Paris 1969)) لصاحبه Godinho Victorino Magalches ، وقام فيه بدراسة هامة للطرق الصحراوية بين مدن بلاد المغرب وممالك السودان الغربي ، ووصف الرحلة والأخطار التي يتعرض لها التجار والسلع المتبادلة والمحطات الموجودة في هذه الطرق .

وكتاب:- ((Le Soudan Occidental, à l'époque des empires, dans Histoire généra--le de l'Afrique Noire, Presse universitaire de France)) لـ Mauny (R.) ، وقد تعرض فيه لممالك غانة ومالي وسنغاي وحدد مواقع بعض المدن من خلال الأبحاث الأثرية .

وكان مؤلفه : ((Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen-Age, Dakar,1961)) أكثر أهمية بالنسبة للجزء الخاص بالتجارة مع ممالك بلاد السودان حيث تطرق فيه لأهمية غاو ، كسوق تجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي وكذلك وضح بعض الطرق التي تربط تلمسان بالمنطقة الجنوبية وتعرض لوسائل النقل خاصة الجمل وأهميته وفوائده وحاجة التجار إلى الماء والراحة وأهمية الدليل وأخطار السفر أثناء الرحلة وتنظيم القوافل التجارية وأمنها .

وقد أهتم Dufourcq (Ch.E) في مؤلفاته ، بالعلاقات بين بلاد المغرب ودويلات شبه جزيرة ايبيريا وخاصة أراغونة ، وبحث العلاقات السياسية والاقتصادية بينها وبين تلمسان سيما

.../...

في مؤلفه ((L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV Siècles))
حيث تطرق الى التجارة والتجار المسيحيين وعلى رأسهم الأراغونيين وكذلك
المسلمين المغاربة ، والرحلات البحرية فعدد تاريخ بعضها وذكر
بعض أسماء التجار وأصحاب السفن وأنواعها وحمولتها وسير الرحلة
البحرية ومدتها وتوقف السفن في موانيء المغرب الأوسط،
وظروف عمل التجار في البلاد وطريقة معاملتهم وفنادقهم في
موانيء الامارة الزيانية والسلع التي كانوا يشترونها والتي
كانوا يبيعونها وموقف السلطات منهم ومشاكلهم وتنظيمهم
وأرباحهم ودور القناصل وعلاقة النشاط التجاري بالشؤون
السياسية وأهمية التجارة بين أوروبا وبلاد السودان عبر
بلاد المغرب الاسلامي وميناءي وهران وهنين وأهمية تلمسان
كرواق للبحر الأبيض المتوسط ، كما نشر بعض الرسائل والمعاهدات
التي تمت بين أمراء بني عبد الواد وملوك اراغونة وميورقة
وبيّن دور اليهود في التبادل التجاري بين المسلمين والمسيحيين وطريقة
عملهم ،وتعرض للضرائب والرسوم وتنظيم الجمارك .

وقد أهتم الأستاذ عطاء الله دهينة بتاريخ أمراء بني عبد الواد
في مؤلفه : ((Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou-Hammou Moussa
1er et d'Abou Tachéfin 1er ___ Alger , 1985))
ويتضمن توضيحات هامة حول تسمية بني زيان ،وتأسيس دولتهم،
ووضعية مدينة تلمسان أثناء تعرضها للحصار الأول وحول
الخلاف الذي دبّ بين أبي حمو موسى الأول وابنه أبي
تاشفين الأول ، وأهمية التجارة بين تلمسان وبلاد السودان
الغربي وموضوع الضرائب وبعض الموازين والمكاييل والسلع
وفي كتابه ((Les états de l'Occident Musulman aux XIII et XIV Siècles)).

استفدت منه في موضوع انتقال التجار بين البلدان الاسلامية ،وأهمية التبادل التجاري وكيفية نقل البضائع بين إمارات المغرب الاسلامي .

كما تعرض للتبادل التجاري بين المسيحيين، في جنوب أوروبا، والمسلمين،في بلاد المغرب ، فاهتم بالسلع والضرائب والأخطار التي كان التجار يتعرضون لها والدور التجاري للنصارى واليهود بين المغرب الأوسط والبلاد المسيحية .

كما نشر في نهاية هذين الكتابين نصوص بعض المعاهدات والرسائل التي كان أمراء بلاد المغرب يتبادلونها مع حكام البلاد المسيحية .

ولقد تمكنت ،بعون الله ،من انجاز هذا البحث، تحت اشراف الأستاذ الدكتور موسى لقبال الذي تتبع خطواته بكل عناية في جميع مراحله، فساعدني بملاحظاته القيمة ،كما شجعني على التغلب على جميع الصعوبات التي اعترضت طريقي، لذا فأنا أسجل اعترافي بعظيم جميله علي وأقدم له جزيل الشكر .

ولا يفوتني أن أشكر أساتذتي الذين ساهموا في تكويني وتوجيهي ولقنوني المبادئ الأساسية في منهجية البحث العلمي ولم يبخلوا علي بنصائحهم المفيدة ،وكل من أفادني في سبيل الوصول الى هذه المرحلة .

وفي الختام أقدم شكري الى كل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد لانجاز هذا العمل ،وأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم عمل يسد فجوة في بناء التاريخ الاقتصادي لبلادي الجزائر.

الفصل الأول

((تلمسان قاعدة المغرب الأوسط))

****

أ ـ تلمسان قبل قيام امارة بني عبد الواد .

ب ـ تلمسان في عهد امارة بني عبد الواد .

تلمسان قبل قيام امارة بني عبد الواد :

يذهب أغلب المؤرخين الى القول : أن تلمسان قديمة النشأة[1]، وقد أهتم الباحثون في العصر الحديث بدراسة آثارها، وتوصلوا الى أن منطقتها عرفت استقرار الانسان منذ عصر ما قبل التاريخ[2]، كما عثر على مخلفات أثرية تعود الى العصر الروماني[3]، حيث كان يطلق عليها اسم بوماريه[4].

---

1) قارن، الشريف الادريسي، وصف افريقية الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، نشره هنري بيريس، الجزائر 1957، ص54؛ ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ط. بيروت 1959- 1968، مجلد 7، ص156- 157؛ ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر 1980، ج1، ص90-91؛ البكري (أبو عبيد)، المغرب في بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، ط. الجزائر 1957، ص 76.

2) أنظر: Marcais (G) : E.I. art.; Bel (A) : Tlemcen et ses environs, Tlemcen, T.4. Nelle éd. P. 844.

3) عن هذه الآثار، أنظر: Piesse (L) et banal (J) : Tlemcen (Extrait de la revue l'Afrique Française, Páris 1889, p. 6 sq. Marcais (G) : Tlemcen, Paris, 1950, P.9 ; Thery : Tlemcen, évocation de son passé, Oran 1945, P. 22; Bel (A) : op. cit. p. 8 .

4) وتعني البساتين : Thery : op. cit. P. 21; Bel (A) : op. cit. P.8; Marcais (G) : op. cit., P.8.

حسب حسن الوزان (Léon l'Africain) فقد كانت تسمى في العهد الروماني القصيرية (Description de l'Afrique, Nelle éd. trad. de l'Italien par A. Epaulard, Paris VI 1956, P. 323.

وقد اختلفت أخبارها في العهدين الوندالي والبيزنطي[1]، وفي العهد الاسلامي حلت محلها أجادير[2]، ومعناها عند البربر حصن بداخله حجرات تمتلكها مختلف عائلات القبيلة لخزن الحبوب، كما تلجأ اليها في حالة انعدام الأمن[3] ويصفها ابن خلدون بأنها " قاعدة المغرب الأوسط[4]"، ولا يبين كيف ومتى اختفت تسمية أجادير وظهرت تسمية تلمسان، حيث يقول (وهو يتحدث عن أجادير): " اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم ... ولم نقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية (أي حوالي 45هـ (665- 666م)، توغل في ديار المغرب)) ووصل الى تلمسان وبه سميت عين أبي المهاجر...))[5] مما يستنتج منه أنه

---

1) يرد Marçais G. سبب اختطاطها في هذه الفترة الى احتمال تخريبها من طرف الوندال الذين وصلت احدى فرقهم، بعد نزولهم بوهران، الى ألطافا (أولاد ميمون) على بعد ثلاثين كيلومترا من بوماريه (op. cit., p. 10)

2) ابن خلدون (يحيي) المصدر السابق، ج 1، ص 91 .

3) انظر: Le Tourneau, E.I. Article Agadir, T.1, nouvelle édition, p. 252

4) ابن خلدون (عبد الرحمن)، المصدر السابق، ج 7، ص 156 .

5) العبر، ج 7، ص 156 .

يعتبرهما مترادفتين .

ويذهب الى أن كلمة تلمسان، في لغة زناتة ،مركبة ((من كلمتين : تلم ـ سين ،ومعناهما تجمع من اثنين ..البر والبحر))[1] ،ويضيف أخوه يحي بانه يقال لها تلشان ، وهي أيضا كلمة مركبة من تل وتعني لها ،وشان وتعني شأن : أي لها شأن[2] ،والكلمتان مأخوذتان من موقع تلمسان ،فهو وسط ،بين الصحراء والتل[3].

ويخالف Bel الأخويين في شرح مدلول كلمة تلمسان التي يتفق الجميع على أنها بربرية،ويرى ان كلمة تلمسان جمع لكلمة مفردة هي ((تلماس)) وتعني عين ماء ،وبما ان المياه متوفرة بكثرة في هذا المكان فقد أطلق عليه اسم تلمسان[4]،

وتشغل تلمسان حوضا داخليا يمتد بين البحر الأبيض المتوسط والسهول المرتفعة الاستبسية ، تفصلها عن البحر سلاسل جبلية ساحلية،تمتد من الغرب الى الشرق[5] ، وهي بذلك تعتبر مفتاح

---

1) ابن خلدون ،العبر،ج 7، ص 156 ـ 157 .

2) ابن خلدون (يحي) ، بغية الرواد ،ج 1، ص85.

3) المقري، (احمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ط . بيروت،1949 مجلد 9 ،ص341.

4) انظر: Bel, op. cit., p.9 ; Primaudaie (M.F. Elie de la); le commerce et la navigation de l'Algérie, avant la conquête française, Paris 1861,pp.264-65.

5) وهي جبال : سبع شيوخ و تسالا وبني شقران ،وبينها و بين السهول المرتفعة سلسلة من الجبال هي : جبال تلمسان والضاية وسعيدة وفرندة (انظر: Bel, op. cit.,p. 1;
Marçais G., op. cit., p.10 ; Piesse et canal, op. cit., p. 93.
حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، دمشق،1968،ص40 فما بعدها .

افريقيا[1] .

وقد اخذت تلمسان تلعب دورها في تاريخ المغرب الاسلامي منذ ولاية أبي المهاجر دينار على افريقية ، حوالي منتصف القرن الأول الهجري (7م)[2]،حيث وصل الى ((عيون تلمسان))[3]،وهناك ((ظفر بكسيلة))[4] بن لمزم ،رئيس قبيلة اوربة البرنسية ،وعند قيام ثورة ميسرة المدغري سنة 122هـ / 739م[5]، وجه الوالي الأموي ،عبيد الله بن الحبحاب[6] ،قائده ابا خالد حبيبا ابن ابي عبيدة[7] من جزيرة صقلية على

1) الادريسي ،المصدر السابق ،ص54.
2) عن هذا الموضوع أنظر : لقبال موسى ،المغرب الاسلامي ،ط.الثانية ،ص35 فما بعدها ؛ بن عميرة محمد ،دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الاسلامي ،ص33.
3) ابن خلدون ،العبر ،ج 6 ، ص216،ط. بيروت .
4) نفسه
5) هو ميسرة المدغري ،رئيس الصفرية (ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق و مراجعة ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال ، بيروت 1948 ،ج 1 ،ص59 ؛ عن نشاطه أنظر لقبال موسى ،المرجع السابق ص157 فما بعدها ؛ بن عميرة محمد المرجع السابق ص68 فما بعدها .
6) هو عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث ،مولى بني سلول،كان كاتبا ثم أصبح عامل خراج مصر ،وبعد ذلك عينه الخليفة هشام واليا على افريقية فقدم اليها في ربيع الآخر سنة 116 هـ / 735 م (ابن عذارى ،المصدر السابق ص51 ؛ لقبال موسى ،المرجع السابق ،ص106).
7) أبو خالد حبيب بن أبي عبيدة ،ويسميه ابن عذارى حبيب ابن أبي عبدة ابن عقبة بن نافع الفهري (البيان ،ج 1 ،ص51).

رأس جيش ليشارك في اخضاع ذلك الثائر الصفري بطنجة ، لكنه عندما وصل الى تلمسان بلغه أن معركة الاشراف[1] قد انتهت ، فمكث بها الى أن التحق به الوالي الجديد كلثوم ابن عياض القشيري القيسي[2]، وابن أخيه بلج ، ثم انطلقوا منها لخوض معركة وادي سبو ضد الخوارج الصفرية[3].

---

1) معركة الاشراف دارت قرب طنجة سنة 122هـ/ 739م ، بين خالد بن حميد الزناتي ، زعيم الصفرية ، بعد ميسرة المطغري (أو المدغري) ، وبين خالد بن حبيب بن أبي عبيدة ، قائد عرب القيروان الذي قتل ، مع عدد كبير من أعيان العرب وأشرافهم ، فسميت لذلك معركة الاشراف (ابن عذاري ، المصدر السابق ، 1 ، 54) .

2) انظر: لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص 107 ؛ بن عميرة محمد ، المرجع السابق ، 72 فما بعدها .

3) عنها أنظر: ابن عذاري ، المصدر السابق ، 1 ، 55 ؛ لقبال موسى ، المرجع السابق ، ص158 فما بعدها ؛ بن عميرة محمد ، المرجع السابق ، ص 74 ؛ والصفرية هم اتباع ابن الأصفر ، أو ابن الصفار وهم من الخوارج ، يختلفون عن الأباضية في حكمهم على القعدة عن القتال ، فلا يكفرونهم ((عنهم أنظر : الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل ، تحقيق كورتر ، لندن 1842 ، ج 1 ، ص102 ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، تحقيق محمد زاهد بن الحسين الكوثري ، 1948 ، ص 61 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة 1939 ، ج 4 ، ص358 ؛ ابن خلدون ، العبر [illegible] بيروت ، ص 311) .

وتتصدر تلمسان الأحداث في عهد أبي قرة اليفرني[1] الذي أعلن نفسه خليفة بها ، وتزعمه الخوارج الصفرية في ثورتهم ضد عمال الخلافة العباسية في القيروان[2] وعندما انهزم عاد ((الى مواطنه بنواحي تلمسان ...))[3] ، ويذكر ابن خلدون أن إبراهيم ابن الأغلب[4] ، نزل بها، عندما قام بحملة ضد أبي قرة[5] .

---

1) هو زعيم الصفرية ورئيس مغيلة وبني يفرن بالمغرب الأوسط ،بايعته الصفرية بالخلافة في نواحي تلمسان سنة 148هـ / 765- 766 م (العبر، 6 ،ص 225- 226) ؛ عنه أنظر : بن عميرة محمد ،المرجع السابق ص 86 فما بعدها .

2) عن هذا الموضوع أنظر : لقبال موسى ،المرجع ،ص 161؛ بن عميرة محمد المرجع السابق ،ص 86 فما بعدها .

3) العبر ،ج 7 ،ص 156 .

4) هو ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال،تولى المغرب للعباسيين من 184هـ / الى 186هـ - 800 م الى 812م ، وهو مؤسس الامارة الأغلبية بافريقية، Talbi (M), E.I., article Ibrahim 1er B. El-Aghleb T.3., nouvelle édition, p. 1006.

5) العبر ،7، ص 156؛ ويذهب ابن عذارى الى أن ابراهيم ابن الأغلب عاد من الزاب ولم يصل الى تلمسان،لأن الجند السائر معه علم بفرار أبي قرة فقرر العودة (البيان،1 ،ص 74) .

ـة 173 هـ / نوفمبر ـ ديسمبر 789 م ، نزل ادريس
ـؤسس الدولة الادريسية قرب المدينة ((فتلقاه
بن صولات أمير زناتة وتلمسان فدخل في
عليها مغراوة وبني يفرن وأمكنه من
ـها ...))[2] ، وبقي بها بضعة أشهر[3] ، ثم عاد بعد
عاصمته وليلي .

ـس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي (البيان ، 1 ،
ـزركلي خير الدين، الأعلام ، الطبعة الثانية ، 3، ص188). ؛
ـشرق اثر هزيمة الشيعة في معركة فخ أمام العباسيين
الحجة 169 هـ / جوان ـ جويلية 786 م ، ولحق بمصر مع
ه راشد ومنها توجها الى بلاد المغرب ، فنزلا بوليلي
ن هناك بدأ ادريس يستميل القبائل حتى بايعوه يوم
الجمعة 4 رمضان سنة 172 هـ / فيفرى/ماى 789م (البيان ، 1 ،83 ؛
العبر ، 4 ، ص13 أبو عبد الله التنسي ، تاريخ دولة الأدارسة
(من نظم الدر والعقيان) تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات ،
الجزائر ، 1984، ص 34 ـ 35) .

2) العبر، 7، 157؛ وقد يكون محمد بن خزر هذا هو الذى قضى على امارة
أبي قرة فتغلب على تلمسان (العبر،2،ط. دوسلان) ،ص34

3) بنى خلالها مسجدا أمر أن يكتب على منبره : " بسم الله الرحمن
الرحيم " ، هذا ما أمر به الامام ادريس بن عبد الله... وذلك
في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة (جوان ـ جويلية
790 م) (ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب روض القرطاس في
أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس تصحيح وطبع
كامل يرحنا ، أو بسالة ، 1948، ص7 و 8) ويعتقد (Bargès) ان هذا
المسجد هو الأول الذى أنشئ في تلمسان .
Tlemcen, aicienne capitale du Royaume de ce nom, Paris 1950, P.165.

وتذكر بعض المصادر أنه ولّى على تلمسان أخاه سليمان[1]، وقد توجه ادريس الثاني[2] بدوره الى تلمسان[3]، وبقي بها ثلاث سنوات[4]، ثم أقطعها لمحمد بن عمه سليمان[5] الذي اقتسمها أبناؤه، بعد ذلك، فاستقل كل واحد منهم بمدينة أو بحصن[6]، على غرار ما فعله بنو عمومتهم بفاس،

---

1) ابن عذارى، البيان، 1، ص 83 ؛ ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر، 2، ص34 (ط. درسلان) ؛ ابن أبي زرع، القرطاس، ص4 .

2) عنه، أنظر: البكري، المغرب، ص 22؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج 1، ص52؛ ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، ط، الدار البيضاء 1964، ج3، ص 196–197 ؛ التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 38.

3) البيان، 1، 211 ؛ المغرب، ص123 ؛ الحلة السيراء، 1، 53 – 54 ، القرطاس، ص 29 .

4) العبر، 4، ص 27 (ط. بيروت) .

5) نفس المصدر، 2، ص35 (ط. بيروت) ؛ وفي مكان آخر يقول عقدها لبني محمد بن عمه سليمان (العبر، 7، ص 157 (ط. بيروت).

6) نفس المصدر، ج 6، ص34 (ط. بيروت) .

وقد سيطر بنو محمد بن سليمان على تلمسان وأعمالها من بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) الى بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، بدأوا يضعفون وأخذ الزناتيون يسترجعون أمصارها شيئا فشيئا، بسيادة محمد بن خزر[1] الذي كان يشكل أكبر قوة بالمنطقة، بدليل أنه تصدى وحده للفاطميين عند استيلائهم على مدينة تاهرت[2].

1) ابن خلدون، العبر، 7، ص 52 – 53؛ أنظر. بن عمير محمد، المرجع السابق، ص 149 – 150.

2) بعد تأسيس أبي عبد الله الشيعي للدولة الفاطمية برقادة سنة 297هـ/ 910 م، على حساب الدولة الأغلبية العبر، 4، 72 فما بعدها؛ ص 439 فما بعدها) تمكن في نفس العام من القضاء على الدولة بني رستم في تاهرت (أنظر. ابن عذاري، البيان، 1 ص 153؛ العبر، 4، 72، فما بعدها؛ القبال موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الجزائر 1979، ص 340 فما بعدها) وعلى دولة بني مدرار بسجلماسة (البيان، 1، 153؛ العبر، 4، 72 فما بعدها، لقبال، المرجع السابق، ص 316، فما بعدها) حيث خلص الامام عبيد الله المهدي من السجن (أنظر: ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم نشره Vonderheyden، الجزائر باريس 1927، ص 6 وهنا وهناك، العبر، 4، 64 وهنا وهناك، لقبال، المرجع السابق، ص 316 فما بعدها)، فتولى مقاليد الأمور، وعاد الى رقادة بعدما عين على سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتي (البيان، 1، 154) وعلى تاهرت أباحميد دواس بن صولات اللهيصي (انظر. لقبال، المرجع السابق، ص 345)؛ وقد ثار أهل سجلماسة على العامل الشيعي، بعد أربعين يوما من تنصيبه، دون أن يقوم الفاطميون بأي رد فعل ضدهم، وأما تاهرت فقد ناجمها محمد بن خزر مرات عديدة، وحاول الاستيلاء عليها (البيان، 1، 160 فما بعدها)؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 175 فما بعدها.

وهو ما الفت نظر خصم هؤلاء ، أمير قرطبة ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله[1] الذي بادر بايفاد مبعوثه محمد بن عبد الله بن عيسى الى محمد بن خزر ليستميله الى صفه ضد أعدائه العبيديين فلقي منه استجابة[2] وبعدها تحولت تلمسان وأعمالها الى منطقة صراع بين الخلافتين الأموية بالأندلس والفاطمية بافريقية ، استمر الى أن رحل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الى مصر سنة 361 هـ / 971 م[3] .

وبعد ذلك أخذ أمراء مغراوة يتنافسون على السلطة بها ، ولم يصف الجو لزيري بن عطية ، منهم ، الا سنة 378هـ[4]/988-989م ، وبفضل تدعيم المنصور بن أبي عامر[5] ، حاجب الخليفة الأندلسي هشام المؤيد بالله[6] له الا ان ذلك التدعيم لم يمنع ابن عطية من اعلان تمرده على السلطة .

---

1) هو عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله أول خلفاء الأندلس (300-350هـ/912-961م (Levi-Provençal (E): E.I., T.1, art. Abd-Al-Rahmane III, Nelle éd. P.P.85-86

2) البيان ، 1 ، ص 194 ؛ العبر ، 2 ، 34 (ط. دوسلان) .

3) عن هذا الصراع أنظر . ابن خلدون ، العبر ، 6 ، 275-276 وهنا وهناك ؛ لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص 357 فما بعدها من عدة صفحات ؛ بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركات المذهبية ، ص 179 فما بعدها من عدت صفحات .

4) العبر ، 6 ، 275 (ط . بيروت) .

5) ابن خلدون ، العبر ، 2 ، ص 41-42 وهنا وهناك ؛ بن عميرة محمد ، المرجع السابق ، ص 258-259 ، عن المنصور بن أبي عامر ، أنظر . ابن حيان (القرطبي) ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، ط . بيروت 1965 ، ص 169-170 ، الحلة السيراء ، 1 ، 268 ؛ بن عميرة ، المرجع السابق ، ص 249 ، هامش 7 .

6) هو هشام الثاني المؤيد بالله بن الحكم الثاني ، تولى الخلافة بعد أبيه في صفر سنة 336هـ أكتوبر 976م ، وهو في العاشرة من عمره ، مات في ظروف غامضة بعد قيام الفتنة بالأندلس سنة 403 هـ/1013م أو سنة 451 هـ/ 1059م (Dunlop (D.M.): E.I., T.III, art. Hicham II, Nelle éd., pp. 512-513).

الأندلسية التي لم يعد لوجودها بالمغرب الأوسط أي مبرر، مادام الفاطميون صرفوا عنه أنظارهم، نهائيا، الى بلاد المشرق لكن تلك السلطة تشبثت بنفوذها في المغرب وحافظت عليه الى أن اشتعلت نار الفتنة في الأندلس سنة 398 أو 399 هـ / 1067 أو 1008 م[1].

وبقيت السلطة بتلمسان بيد الأمراء المحليين، من مغراوة وبني يفرن الزناتيين، الى أن قامت دولة المرابطين[2] واستقر يوسف ابن تاشفين[3] بمراكش، وبدأ يتوسع شرقا، فوجه حملة

1) عن النفوذ الأندلسي بالمغرب، منذ تمرد زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر الى قيام الفتنة بالأندلس (انظر: بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص259 فما بعدها من عدة صفحات).

2) العبر، 7، ص 73 – 93 (ط. بيروت)؛ أنظر: بن عميرة محمد، المرجع السابق، ص277 فما بعدها من عدة صفحات؛ عن قيام دولة المرابطين، أنظر: ابن أبي دينار (القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، 1387هـ / 1967 م، ص 105 فما بعدها؛ ابن أبي زرع (الفاسي)، القرطاس، ص 84 – 85؛ ابن خلدون، العبر، 6، ص 377 (ط. بيروت).

3) عنه أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 377؛ عنان (عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين القاهرة 1964، ص 36 فما بعدها.

الى المغرب الأوسط، قادها مزدلي تبلكان، فهزم القائد يعلى بن أمير تلمسان بختي[1]، وعاد مزدلي دون أن يستولي على عاصمته، وبعد ثلاث سنوات قاد يوسف بنفسه حملة كبيرة نحو الشرق، فهاجم مغراوة ثانية في تلمسان، وقتل أميرها العباس بن بختي واستولى على المدينة، وواصل طريقه ففتح وهران وتنس والونشريس والجزائر وعاد الى مراكش سنة 475هـ[2] / 1078 – 1079م، وترك محمد بن تينعمر المسوفي قائد الجيوش بتلمسان، فبنى بها محلة (أي معسكرا) سماها تاكرارت[3] أصبحت

---

1) العبر، 6، ص 380 – 381، (ط. بيروت)؛

2) نفسه، ص 381؛ يتحدث ابن عذارى عن حملة واحدة قادها مزدلي سنة 368هـ / 978– 977م، ودخل تلمسان سلما، لأنه حمل من يوسف بن تاشفين كتابا عرض فيه الأمان للعباس أمير تلمسان مقابل تسليمها للمرابطين، فاستجاب العباس، وتوجه الى مراكش وولى عليها مزدلي ابنه يحي (البيان 4، ص69)؛

3) هي تلمسان القديمة أو الحي القديم بتلمسان (العبر، 7، ص93) ويكتبها يحي بن خلدون؛ تاجرارت، بناها ملك لمتونة يوسف ابن تاشفين في حدود اثنتين وستين وأربعمائة هجرية / (1132– 1133م)، بمكان محلته، ولذلك سميت تاجرارت فهو اسم المحلة بلسان زناتة (بغية الرواد، ج 1، ص91).

ثغرا من ثغور المرابطين في المغرب الأوسط[1] يشنون منه الغارات على أراضي الدولة الحمادية[2]، وبقيت تابعة لهم الى أن استولت عليها قوات الموحدين بقيادة عبد المؤمن[3] (524- 558هـ /1130- 1163م) واستمرت تحت سلطتهم الى ما بعد انهزامهم في موقعة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ / 1212 م[4]، وعندئذ بدأ التفكك يسري في جسم دولتهم، وزاد في ضعفها سوء العلاقة بين الأمراء وشيوخ القبائل، ونتج عن ذلك استقلال الحفصيين[5] بافريقيا ثم استقلال بني عبد الواد بتلمسان .

---

1) ابن خلدون ، العبر، 6، ص 380 (ط. بيروت)

2) عنها أنظر . العبر، 6، 324، بورويبة (رشيد) ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ط. الجزائر، 1977، ص9، Idris (H.R): E.I., T.III, art. Hammadides P. 139 sq.

3) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي ، خليفة المهدي بن تومرت في رئاسة حركة التوحيد الاصلاحية المعروفة باسم الحركة الموحدية ، وهو مؤسس الأسرة المنسوبة اليه (Levi-Provençal (E):E.I.,T.1., art. Abd-Al-Mumin b.Ali,Nelle éd. pp.80 sq.

4) وقعت هذه المعركة بين جيش الموحدين بقيادة الخليفة الناصر وجيش النصارى بقيادة كل من ألفونسو الثاني ملك قشتالة وسانشو ملك نافار وبيدرو الثالث ملك أراغونة ، ويعرف اسمها عند النصارى بموقعة هضاب أو عقاب تولوشا (Las Navas de Tolosa) أو موقعة أبدة ، وتعرف عند المسلمين بموقعة العقاب لوقوعها بين الربى والتلال المانحة ، وليس بمعنى المعاقبة على الذنب كما تفسر أحيانا ، وقد وقعت عند سفح جبل الشارات الجنوبي ، شمال غرب مدينة أبدة (أنظر . عنان ، المرجع السابق ، ص 310 فما بعدها) .

5) نسبة الى جدهم الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الحنتاتي ، رفيق المهدي بن تومرت، استقلوا عن الدولة الموحدية وأسسوا امارة بالمغرب الأدنى استمرت من 627هـ الى 982هـ / 1229 الى 1574 Idris (H.R): E.I., T.III, art. Hafsides, Nelle éd.PP86sq

تلمسان في عهد امارة بني عبد الواد :

كان بنو عبد الواد[1] بدوا ، ينتقلون بين الصحراء والريف[2] ، وعندما استولى الموحدون على هذه المناطق ، حاولوا الوقوف في وجههم خوفا من أن يقطع عليهم هؤلاء مراعيهم في التل وكانوا قد تعودوا التنقل فيه بحرية ، لكن عبد المؤمن هزمهم ، عندما كان يزحف بجيوشه على تاشفين بن علي بوهران[3] ، ولما تأكدوا من عجزهم عن المقاومة ، راحوا يتقربون منهم[4] ، فاغتنموا فرصة هجوم ((المخضب بن عسكر المريني في خمسمائة فارس من قومه))[5] .

---

1) حول تسمية بني عبد الواد أنظر : ابن خلدون ، بغية الرواد ، 1، ص 186 فما بعدها ويطلق عليهم اسم بني زيان نسبة الى زيان أبي يغمراسن مؤسس الدولة (أنظر Dhina Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou-Hammou Moussa 1er , P. 71. ويذهب Bargès الى ان اسم بني زيان يعود الى زيان جدّ أبي حمو موسى الثاني ، وهكذا يقسم الدولة الزيانية الى فرعين : الفرع الأول ويبدأ بيغمراسن ويطلق على أمرائه اسم بني عبد الواد ، والفرع الثاني : يبدأ بأبي حمو موسى الثاني ويسميهم الزيانيين (أنظر: Al-Tannasi, histoire des Béni-Zeiyen Rois de Tlemcen, introduction PP XI - XLI, Paris, 1887).

2) العبر، 7 ، ص 159 (ط. بيروت) ؛

3) المصدر السابق ، 6 ، ص 477 ، وتاشفين بن علي هو ثالث من لقب بأمير المسلمين في دولة المرابطين وآخر من حكم من أسرته حكما فعليا من سنة 537 هـ الى 27 رمضان 539 هـ (1143 - 22 فيفري 1145 م) أو سنة 540 أو 541 هـ (1146 - 1147 م) Levi-Provençal (E). : E.I., T.4, art. Tachéfin b. Ali, P? 722).

4) Dhina Atallah op. cit. p. 70.

5) بغية الرواد ، 1 ، ص 189 ؛ العبر ، 7 ، 150 (ط. بيروت) .

على غنائم عبد المؤمن التي كانت في طريقها الى المغرب[1] ، وتصدوا له ، فأنقذوها منه ، وبذلك أكتسبوا ثقة الحكام الجدد ، فاتخذوهم ((أولياء وأنصارا وحماة لقطر تلمسان))[2] وأقطعوهم أراضي خصبة تمتد من البطحاء[3] الى ملوية وهكذا ضمنوا مراعيهم في المناطق الشمالية الغنية ، فاستقروا بها وظلوا على ولائهم للدولة الى أن أخذ الضعف يتسرب الى جسمها ، خاصة بعد ظهور بني غانية على مسرح الأحداث وما سبّبه لها هؤلاء من تخريب.

وقد انعكس ضعف سلطتها المركزية على حكام ولاياتها ، ومن بينهم السيد أبي سعيد أخي المأمون ، عامل تلمسان ، ((كان غفلا ضعيف التدبير))[4] وأداة تنفيذ في يد الحسن بن حبون[5] ، الذي استعمله لطرد بني عبد الواد من المنطقة ، لما كان يحمله لهم من ضغائن ، فقبض بإيعاز من هذا الأخير ، على شيوخهم وزجّ بهم في السجن

---

1) العبر ، 7 ، ص 150 (ط . بيروت) .
2) بغية الرواد ، 1 ، ص 198 .
3) مدينة على رافد من روافد نهر سيق تقع في سهل واسع ، هو سهل سرات (Pelissier, Mémoires Historiques et géographiques sur l'Afrique, p. 405). وتبعد على تلمسان حوالي ثلاثة أيام أو أربعة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ، 1) ص 662) .
4) العبر ، 7 ، ص 152 (ط . بيروت) .
5) هو الحسن بن حبون من مشيخة كومية ((وكان عاملا على الوطن)) نفسه .

ممـا جعـل ... هـبم بن اسماعيل بن علان[1] يتدخل للشفاعة لهم عنده دون جدوى، فاضطر الى تخليصهم بالقوة وقتل الحسن بن حبون.

وقد استعاد، بانتصاره هذا، ذكرى أمجاد قومه المرابطين، وراح يفكر في استرجاع ملكهم، فنقض طاعة الموحدين سنة 624 هـ / 1225 - 1226 م اتصل بابن غانية الذي حاول انتهاز الفرصة، ثم راح يراجع موقفه من بني عبد الواد، ورأى أن يقضي عليهم في تلمسان، غير أن أحد شيوخهم، هو جابر بن يوسف، كان يتابع الأحداث، وكان طموحا، عارفا بفنون الحرب وبشيء من أمور السياسة، فقتل ابراهيم بن اسماعيل، ولم يدع لنفسه، بل تفهم نفسية سكان تلمسان، فأعلن طاعته، أمام الملأ، للموحدين وتجنب الدخول في صراع معهم[2]، وكانت الظروف ملائمة له لأن الدولة الموحدية أصبحت في تلك الفترة عاجزة عن الدفاع على بعض أجزاء البلاد، ومنها منطقة تلمسان، وكان هذا الشيخ أراد ان يظهر مرة أخرى فضل بني عبد الواد على الموحدين وبرز كقائد محنك، وناجح كما كسب رضى

---

1) هو اسماعيل بن علان اللمتوني وهو رئيس اللمتونيين المستخدمين ضمن حامية تلمسان (العبر 7، ص 152) (ط. بيروت).

2) يرى التنسي أن جابر بن يوسف لم يتحرك من نفسه بل طلب منه ذلك الخليفة الموحدي المأمون ادريس بن المنصور وقنع منه الخطبة والسكة (انظر: التنسي (محمد بن عبد الله): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان الباب السابع، تحقيق: بوعياد محمود، الجزائر، 1975، ص 156.

رجال قبيلته ، فعدوه ، خاصة وانه خلص بعضهم من السجن ، كما شرح لهم موقف ابراهيم بن اسماعيل بن علان عليهم واتصاله ببني غانية الذي عرف عنه ميله الى التخريب والتقتيل[1] .

وهكذا تمكن جابر من ابعاد الخطر عن أهل المدينة وطمأنهم ، وأمنهم فلجتمع الناس عليه وحمدوا اسمه صنيعه[2] ، وأقره المأمون[3] حاكما على تلمسان سنة 627 هـ / 1230 م وبذلك فتح الباب أمام أبناء قبيلته للملك .

ورفضت ندرومة الدخول في طاعة جابر بن يوسف فحاصرها لكنه قتل أثناء ذلك سنة 629هـ/ 1232 – 1233 م[4] ، وخلفه ابنه الحسن[5] ، لمدة ستة أشهر ، ثم تنحى عن الامارة في ظروف غامضة ، وتولى مكانه عمه عثمان بن يوسف ، وكان فظا غليظا الى درجة العسف والجور ، فثار ضده سكان تلمسان

---

1) العبر ، 7 ، ص 152 – 153 (ط. بيروت) ؛ بغية الرواد ، 1 ، ص 199 .

2) أنظر: Marcais (G) : Tlemcen , p; 33

3) هو أبو عبد الله ادريس بن يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدي التاسع (624هـ/ 629 هـ (1227 – 1232م)) (Levi-Provençal (E) : E.I., Art . Al. Ma'mun, T.3, p. 237).

4) بغية الرواد ، ج 1 ، ص 200 .

5) لم يكن الحسن يرغب في الحكم لضعف شخصيته (العبر ، 7 ، 157) (ط. بيروت)

ومنيز للموحدين سنة 631هـ[1] (1233- 1234م)، ثم اختاروا ابن عمه زيدان بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة[2]، ونافسه على الحكم بنو مطهر وجروا معهم بني راشد[3]، حلفاءهم قبل استقرارهم في الشمال، فحاربوه، وخاضوا ضده معارك قتل أثناءها[4].

وخلفه أخوه يغمراسن سنة 633 هـ[5] (1235- 1236م)، فأعلن في البداية ولاءه الرمزي للموحدين[6]، حتى يزكوا توليته ولا يلفت نظر بني مرين، الذين كانوا جنوب المغرب

---

1) العبر، 7، ص 153 (ط. بيروت)؛ بغية الرواد، 1، ص 200.
2) يسميه ابن خلدون أحيانا: زكدان (العبر، 7، 152) (ط. بيروت) أو هو زكران أو زجدان بن زيان بن ثابت (بغية الرواد، 1، ص200)؛ والأصح زيدان (التنسي، نظم الدر والعقيان، ص156).
3) نزل بنو راشد الجبل الذي يحمل اسمهم (جبل بني راشد) عندما ضعفت الدولة الموحدية (عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني؛ حياته وآثاره الجزائر، 1982، ص 12).
4) العبر، 7، ص 153- 154؛ بغية الرواد، 1، 200؛ حاجيات، المرجع السابق، ص 12).
5) هو أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد سنة 603هـ أو 605هـ (206 أو 1208م) تولى امارة تلمسان يوم الأحد 24 ذي القعدة 633هـ/ 31 جويلية 1236م (العبر، 7، 162) (ط. بيروت)؛ بغية الرواد، 1، 204) غير أن التنسي يقول ان أبا يحي بويع في 17 جمادى الأخيرة سنة 637هـ (1240- 1241)، المصدر السابق، ص 154).
6) انظر: حاجيات، المرجع السابق، ص12-13؛ ((لم يترك (يغمراسن) من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش)) (العبر، 7، ص163 (ط. بيروت)

الأقصى، والحفصيين في افريقية، ولكي يتفادى في نفس الوقت، منافسة رؤساء القبائل المجاورة له، في المناطق التلية، كمغراوة في ناحية شلف، وبني توجين بجبل وانشريس، وبني راشد في جبل بني راشد.

لكنه عندما شرع في توسيع إمارته من ناحية شلف، اصطدم بمغراوة التي استنجدت بالأمير أبي زكرياء يحي الحفصي[1]، وكان يترقب الفرصة المناسبة لتوسيع نفوذه، هو الآخر، غربا، فاحتل تلمسان في 29 محرم سنة 640 هـ/ 29 جوان 1242 م[2] وعقد صلحا مع يغمراسن ينص على إقامة الخطبة له، دون الرشيد الموحدي[3] الذي سبق ليغمراسن أن مكنه من استعادة مدينة مكناس التي اتخذها المرينيون عاصمة لهم[4]، فرد الرشيد بالزحف على المغرب الأوسط

---

1) عنه أنظر: Idris (H.R), E.I. Article Abou-Zakariya, T.3, Nelle édit. p. 71

2) بغية الرواد، 1، ص205؛ العبر، 7، ص185 فمابعدها Fey (Henri Léon), Histoire d'Oran, avant pendant et après la domination espagnole, Oran 1958, p. 47.

ويجعلها التنسي سنة 645هـ/1247-1248م (المصدر السابق، ص 160).

3) هو أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن ادريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف العسكري ابن عبد المؤمن بن علي (بغية الرواد، 1، 205) بويع في مستهل شهر محرم سنة 630هـ/18 اكتوبر 1232م وقتل يوم الثلاثاء آخر صفر سنة 646هـ/ 23 يونيو 1248م (عنه انظر: عنان (محمد عبد الله) المرجع السابق، ج2، م7 427 فمابعدها من عدة صفحات).

4) انظر: Laraoui Abdallah, Histoire du Maghreb, Paris 1970, pp. 188-189.

ومكناس أو مكناسة الزيتون تقع على بعد 130 كلم شرق مدينة الرباط وعلى بعد 60 كلم غرب مدينة فاس (Funch Brentans (C); E.I. article Meknès, T.III, pp. 18 sqq)

لكن يغمراسن هزمه جنوب وجدة في 10 صفر 646هـ[1]/ 1248م .

وكان لهذا الانتصار نتائج عديدة منها : أن بني عبد الواد أصبحوا يشكلون قوة في المنطقة[2] ، كما أن القبائل المنتشرة حول تلمسان انقسمت التي مؤيدة ومعارضة ليغمراسن الذي تفطن للدور الذي يمكن أن تلعبه تلك القبائل لصالحه ، فاستغل أوضاعها وضرب بعضها بالبعض الآخر[3] كما قام ،من جهة أخرى ،بعدة محاولات للتوسع شرقا ، ضد

---

1) بغية الرواد ، 1 ،ص206؛ العبر ،7 ،ص170 (ط. بيروت) ؛ نظم الدر ،ص163؛ وتقع وجدة شرق المغرب الأقصى على بعد 14 كلم من الحدود الجزائرية المغربية ، في الجهة الجنوبية ، من سهل انجاد الواسع ، أسسها زيري بن عطية المغراوي سنة 384هـ/ 994م (Marçais (G.) ; E.I., Article Oujda, T.III, pp.1085-1086.).

2)حاجيات (عبد الحميد) ،أبو حمو موسى الزياني ،ص 13 .

3) ذلك بأن استقدم قبيلة بني عامر من صحراء بني يزيد (العبر ، 6 ،40 و46) (ط. بيروت) ؛ وبنو عامر عرب كانوا يضعنون في مجالات بني يزيد ، وكان هؤلاء يدفعون لهم ضريبة قدرها الف غرارة من الزرع ،تسمى القرارة ،لأن بني عامر يظاهرونهم في حروبهم (مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ،القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين الجزائر ، 1982 ، ص 156) ؛ وأقطع يغمراسن بني عامر أراضي خصبة ،بين وهران وتلمسان ليضرب بهم عرب المعقل (العبر ، 6 ،ص58-59) الذين أحدثوا اضطرابات في سهل متيجة أزعجت الدولة (مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 151 فمابعدها ، كما استقدم قبيلة حميان الهلالية فاستقرت جنوب تلمسان (مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص 151) .

مغراوة وبني توجين، وغربا ضد بني مرين وأحلافهم، وخاض في سبيل ذلك حروبا عديدة [1] وقد استطاع بصموده وحنكته السياسية أن يضع أسس امارة حكمت المغرب الأوسط حوالي ثلاثة قرون، وهو أول من أعلن استقلال قبيلة بني عبد الواد بحكم تلمسان، وبدأ ينظم شؤون امارته في الداخل، فكون أجهزة الدولة من وزارة وحجابة وكتابة وجيش ((وبعث في الجهات العمال، ولبس شارة الملك والسلطان)) [2] ووضع قواعد سياسة الدولة الخارجية التي تتمثل في توسيع منطقة حكمه، لتشمل أكبر مساحة في المغرب الأوسط، ولهذا فهو يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني عبد الواد التي اختلفت حدودها، حسب قوة أو ضعف سلاطينها، اذ وصلت شرقا الى جبل الزان (جبل أكفادو) [3]، واستقرت عند الوادي الكبير (وادي الصومام) [4]، ووصلت جنوبا الى الصحراء (صحراء نوميديا) [5]، التي تفصل بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان [6]، أما غربا فقد استقرت بوادي ملوية [7]،

---

1) قام يغمراسن بحوالي ((اثني وسبعين غزوة ضد العرب في الصحراء (بغية الرواد، 1، 207، العبر، 7، 162؛ نظم الدر، ص157 ؛ Marcais G Tlemcen, P.35 حاجيات، المرجع السابق، ص13.

2) بغية الرواد، 1، ص205؛ العبر، 7، ص162 ؛ نظم الدر، ص157.

3) أنظر: Léon l'Africain, description de l'Afrique T.2, P.323, note 2.

4) نفسه

5) نفسه

6) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط. القاهرة 1333 هـ / 1915 م، ج 5، ص149

7) Léon l'Africain, op. cit. p. 323

وكانت هذه الحدود تصل، في عهد ابن خلدون، الى بلاد تاوريرت[1]، على بعد مائة وستة وثلاثين كيلومترا الى الغرب من مدينة وجدة[2].

وقبل موت يغمراسن سنة 681هـ[3]/ 1283م، أوصى ابنه وخليفته أبا سعيد عثمان الأول[4]، بمسالمة بني مرين (غربا) والتوسع على حساب بني حفص (شرقا)، وهذا مافعله، بعد خمس سنوات من توليته مقاليد الحكم، اذ جهّز سنة 686هـ / 1286 - 1287م[6] حملة، تلبية لطلب أمير تونس أبي حفص (1284- 1295م) الذي استنجد به ضد واليه على بجاية، أبي زكريا ابن السلطان أبي اسحاق الحفصي، الذي أعلن استقلاله عنه، ومع أن هذا الأخير كان صهر أبي سعيد، فقد راح يحاصره بهدف الاستيلاء على ولايته لنفسه لكنه لم يحقق هدفه، وانما تمكن من فتح كثير من المناطق الشرقية، وأخضع امارة بني توجين بجبل ونشريس وامارة مغراوة بشلف[7].

---

1) ابن خلدون، العبر، 7، ص454؛ عنها أنظر: Léon l'Africain, description de l'Afrique: T.1, P. 297.

2) انظر جيلا لي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط. الثانية، بيروت 1384هـ/1965م، ج 2، ص132؛ بوزياني الدراجي، تطور نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد 633 - 791هـ، الجزائر 1980 - 1981، ص47.

3) توفي يوم 29 من ذي القعدة 681هـ/ 28 مارس 1283م، عند ما خرج لاستقبال عروس ابنه، ابنة السلطان الحفصي (العبر، 7، 189؛ بغية الرواد، 1، 207؛ نظم الدر، ص176).

4) ولد أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 639هـ/ 1241م وتمت له البيعة سنة 681هـ/ مارس 1283م (بغية الرواد، 1، 208؛ نظم الدر، ص 176 - 177).

5) عن هذه الوصية أنظر ابن خلدون، العبر، 7، ص190).

6) عنها أنظر: Julien Ch. A., histoire de l'Afrique du Nord, T.2., P. 140.

7) العبر، 7، 190؛ بغية الرواد، 1، 208، نظم الدر، ص177 - 178؛ حاجيات المرجع السابق، ص 14.

وبينما كان الأمير الزياني منشغلا بفتوحاته في المناطق الشرقية أخذ المرينيون يغيرون على أراضيه منذ سنة 689هـ[1] / 1289م لغرض استنزاف قبيلته، مستهدفين القضاء على دولته، ومن ثم راحوا يضربون حصارا عسكريا على عاصمته دام حوالي ثمان سنوات[2]، من شعبان سنة 698هـ/ مايو 1299م الى ذي القعدة سنة 706هـ/ مايو 1307م[3]، وعندما رأوا شدة مقاومتها أحاطوها بسياج من الأسوار، وأنشأوا مدينة المنصورة، على بعد ثلاث كيلومترات منها[4]، لاستقطاب كل الأنشطة، خاصة التجارة التي كانت تشكل عماد الحياة الاقتصادية في العاصمة الزيانية[5].

وقد أثر ذلك الحصار على النشاط التجاري لكنه لم ينقطع نهائيا، اذ استمرت سواحل المغرب الأوسط تجذب التجار[6] القطلانيين وخاصة من ميورقة التي كانت البواخر تغادرها بانتظام سنة 703هـ/1304م الى الموانئ الشرقية للدولة العبد الوادية مثل تنس وشرشال والجزائر[7]، كما لم ينقطع النشاط التجاري البرشلانيين.

---

1) هاجمها يعقوب يوسف المريني تلمسان أربع مرات وحاصرها في المرة الخامسة (بغية الرواد ج1، 209 فما بعدها)، ويذهب حاجيات الى أن هجومات المرينيين بدأت سنة 695هـ / (1285-1294م) المرجع السابق، ص15.

2) انظر: Marcais G, Tlemcen, P. 46 sq

3) أنظر: Dhina, Royaume, P. 75

4) Marcais G, op. cit., P. 57

5) عن حالة تلمسان أثناء الحصار أنظر: العبر، 7، 194 فما بعدها (ط. بيروت)؛ بغية الرواد 1، 209 فمابعدها؛ نظم الدر، ص178 فما بعدها؛ Bargès, Tlemcen, ancienne capitale du Royaume de ce nom, P. 193.

6) Marcais G, op. cit., P. 57

7) Dufourcq (Charles Emmanuel) : L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècle, Paris, 1966, P.389.

والا يطاليين والبروفانسيين والآنجدوكيين في هذه المنطقة[1] .

وبعد النزول في الموانيء المغربية كان التجار الأوروبيون يغامرون بالسفر نحو منطقة العمليات الحربية بتلمسان التي أصبحت مقر سوق سوداء مزدهرة ، وكانت المنصورة هي المستفيدة من ذلك[2] اذ أصبح يعبرها طريق الذهب الافريقي الكبير الذي يمر بخط الساحل بالصحراء وبذلك صارت تقوم مقام تلمسان ، في تصنيع المعادن الثمينة ، وفي التبادل التجاري ؛ يقصدها التجار المسلمون والمسيحيون واليهود من مختلف البلدان[3]، وكذلك السفراء المبعوثون الى السلطان المريني[4]، لكنها مع ذلك لم تعمر طويلا ، بعد انتهاء الحصار ، لأن بني زيان، بعد استعادة ملكهم أخذوا في تحطيمها شيئا فشيئا ، وانتهوا من ذلك قبل منتصف القرن التاسع الهجري[5] (الخامس عشر الميلادي) ، وأثناء الحصار أوقف الأمير عثمان بن يغمراسن الدعوة للحفصيين[6] واما توفي في فاتح ذى القعدة سنة 703هـ[7] / 5جوان 1304م خلفه ابنه أبو زيان (703هـ ـ 707هـ(1304ـ 1308م)

---

1) Dufourcq : l'Espagne catalane, P. 369

2) Ibid, p. 471

3) Julien (Ch.A). histoire de l'Afrique du Nord, T.2, p.157; Dhina : le Royaume Abdelouadide, p. 129.;Dufourcq; Ibid.

4) Marcais (G) : Tlemcen, p. 574sq.

5) Bargès : Tlemcen, ancienne capitale du Royaume de ce nom, p. 194

6) العبر، 7 ، ص207 (ط. بيروت) .

7) نفسه ،حاجيات، المرجع السابق ،ص 15 .

وفي عهده قتل أبو يعقوب يوسف المريني على يد أحد عبيده[1]، مما تسبب في انتشار الفوضى في صفوف جنده، وشجع الزيانيين الذين كانوا على وشك الاستسلام، على الخروج اليهم، فهزموهم وخلصوا أنفسهم سنة 707هـ / 1307- 1308م .

ثم عقد أبو زيان صلحا مع أبي ثابت المريني خليفة أبي يعقوب، وبدأ يسترجع بعض المناطق الشرقية، التي استولى عليها بنو مرين أثناء الحصار، وعادت الى تلمسان أهميتها السياسية والاقتصادية بالمغرب، وأصبح شغلا طينها أكثر اشتغالا عن ذي قبل، عندما كانوا يعترفون، الى حد ما، بالسيادة الحفصية[2]، ولما توفى أبو زيان يوم الأحد 21 شوّال سنة 707هـ[3]/ 15 افريل 1308 م، وخلفه أخوه أبو حمو موسى الأول، فاستهل حكمه بعقد صلح مع أبي ثابت[4] هو الآخر

---

1) في يوم الأربعاء 7 ذي القعدة، دخل عبد على أبي يعقوب يوسف فقتله بخنجر (العبر، 7، ص 199 ؛ بغية الرواد، 1، ص 24 ؛ نظم الدر، ص 182 فما بعدها ؛
Marcais (G) : Tlemcen, p. 58.

2) أنظر: Dufourcq; l'Espagne catalane, p. 470.

3) بغية الرواد، 1، ص 212؛ حاجيات، المرجع السابق، ص 16.

4) العبر، 7، ص 204 (ط. بيروت) .

ليضمن استقرار حدوده الغربية ،وأهتم بالنواحي الشرقية ، فاستعاد الزاب ودلس والجزائر التي استقل بها ابن علان[1] ، حوالي أربع وعشرين سنة ، ومع أن الحملة التي وجهها سنة 715هـ/ 1315م فشلت في تحقيق قصدها وهو ضم بجاية ، الا أن أبا حمّو استطاع أن يوسع حدود امارته الى ما كانت عليه أيام أبيه[2] ، وأهتم بشؤون الدولة في الداخل فزاد في تنظيمها حتى أعتبره ابن خلدون ((أول ملوك زناتة))[3].

وفي 22 جمادى الأول سنة 718 هـ/ 22 جوان 1318م، تآمر عليه ابنه أبو تاشفين ، مع بعض الأعلاج من بطانة ،

---

1)لم أعثر على ترجمة الكاملة ،وقد اكتفى ابن خلدون بالقول عنه :
((وكان ابن علان من مشيخة الجزائر . . فلما هلك ابن ألما زير حدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته (أي الجزائر) . . . وغلب مليكش على جباية الكثير من بلاد متيجة . . .)) (العبر ، 7 ، ص 208 ـ 209 (ط . بيروت) وبقي مستقلا بها حتى تغلب عليه المرينيون ثم أبو حمو موسى الأول (نفسه) .
2) بغية الرواد ، 1 ، ص 203 ؛ حاجيات ، المرجع السابق ، ص 16 ـ 17 .
3) العبر ، 7 ، ص 204 (ط . بيروت) وعن أعمال أبي حمو وشخصيته أنظر : Marcais (G) : Tlemcen, les villes d'art célèbres , p. 79.

فقتلوه، واستولوا على الحكم[1]، ثم راح أبو تاشفين الأول يعقد صلحا مع أبي سعيد المريني[2] 710هـ، 731هـ (1310 – 1331م) وتفرغ للناحية الشرقية، مثل أسلافه، فهزم مغراوة، وقتل رئيسها محمد بن يوسف، ثم توغل شرقا فهاجم قسنطينة سنة 720هـ/ 1320م وقام بعدة محاولات للاستيلاء على بجاية[3]، انتهت بلقاء جيوشه، التي أتى بها لتدعيم بني سليم[4]، بجيوش أبي يحي الحفصي[5]، فهزمه، ووصلت جيوش بني عبد الواد الى تونس فدخلتها وسلمتها الى حليفيهم، عمران وحمزة بن عمر السليمي، ثم عادت الى تلمسان[6]،

---

1) ولد أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول سنة 622هـ/ 1224 – 1225م، قتل أباه لأنه غضب من جفائه، وتفضيله لابن عمه أبي سرحان مسعود بن أبي عامر ابن يغمراسن بن زيان، فحرض بطانته على التخلص منه (نظم الدر، ص190 – 191؛ حاجيات، المرجع السابق، ص17؛ Dhina; Royaume Abdel-ouadide, p. 77.)

2) العبر، 7، ص225؛ عنه أنظر: Julien (Ch.A), Histoire de l'Afrique du Nord, pp. 177-178.

3) Lespes (Rene), Oran, ville et port avant l'occupation française Revue Africaine 1934, p. 281.

4) ثار بنو سليم ضد أبي يحي الحفصي وبايعوا منافسه الأمير ابن أبي عمران، وطلبوا المساعدة العسكرية من أبي تاشفين الزياني (انظر: حاجيات (عبد الحميد)، أبو حمو موسى الزياني، ص18).

5) هو أبو يحي زكريا بن يحي (895 – 899هـ (1490 – 1494م) عنه أنظر: Idris H.R, E.I., T.III, Article Abu-Yahia Zakariya, Nouvelle édition, p.71.

6) حول الصراع بين أبي تاشفين وأبي يحي، أنظر: ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر، 7، ص221، فما بعدها، ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد، 1، 218 فما بعدها؛ التنسي، نظم الدر، ص197 فما بعدها.

ولم يكف ضغط أبي تاشفين الأول على الحفصيين حتى اضطر أميرهم، أبو يحيى، الى الاستنجاد بالسلطان أبي سعيد المريني فحاول أن يصلح بين الطرفين لكن الأمير الزياني رفض وساطته.

ولما تولى الأمير أبو الحسن السلطنة، بعد وفاة أبيه، أبي سعيد، واصل سعيه لدى أبي تاشفين ليوقف غاراته على الحفصيين، ولما رأى عدم جدوى تدخله، قرر الزحف على تلمسان، فحاصرها سنة 735هـ / 1335 م واستولى على المناطق الواقعة شمالها[1]، بتنسيق، ولا شك، مع الحفصيين، وهو ما يفسر هجوم هؤلاء في نفس الوقت، على جيش بني عبد الواد، قرب بجاية، وصمد أبو تاشفين وأبناؤه في الدفاع عن عاصمتهم حتى قتلوا[2]، وسقطت تلمسان بين أيدي أبي الحسن، يوم 27 رمضان 737هـ[3] 29 ابريل 1337 م، فولى عليها ابنه، أبا عنان، وواصل سيره شرقا الى تونس، فاستولى عليها، وبقي بالمغرب

---

1) يرى باسي (Basset R.) أن أبا الحسن فعل ذلك ليقطع الاتصال بين تلمسان وبين البحر الذى قد تأتيها عن طريقه امدادات من بني الأحمر، ملوك غرناطة، حلفاء بني عبد الواد ضد المرينيين أو تموينها عن طريق الجمهوريات الايطالية التي كانت لها معها علاقات تجارية (Nedroumah et les Trarah, Paris 1901, p. 12)

2) حسب Bargès نفد انتهى، بقتل أبي تاشفين وأبنائه، الفرع الأول لبني عبد الواد وينتقل الحكم لفرع بني زيان (Tlemcen, ancienne capitale de ce nom, p. 194)

3) عن هذا الموضوع أنظر: العبر، 7، 227 فما بعدها ؛ بغية الرواد، 1، 219؛ نظم الدر، ص 200 ؛ Bargès, op. cit, p.p.193-94

الأدنى الى أن ألحقت به القبائل العربية هزيمة بالقيروان سنة 749هـ/ 1348م[1]، وبذلك وضع حد للسيطرة التي حققها على بلاد المغرب بفضل حسن استغلاله للظروف الناجمة عن العلاقات السياسية المتدهورة بين الحفصيين وبين بني عبد الواد.

اذ بلغت ابنه، بعد ذلك مباشرة أي في نفس السنة، اشاعات مفادها أن أباه هلك بالطاعون، فأسرع بالعودة الى فاس خوفا من أن يغتصب منه أقاربه العرش[2].

وكان أبو سعيد وأخوه أبو ثابت، ابنا عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن يعملان في جيش أبي الحسن، وبعد هزيمة القيروان، ربما نجم منهما من انشغال المرينيين بمشاكلهم الداخلية، أغتنما الفرصة وانسحبا مع حوالي خمسمائة فارس من مغراوة وبني توجين[3]، فسارا الى تلمسان واسترجعاها، في 22 جمادى الآخرة من نفس السنة / 18 سبتمبر 1348[4]

1) عن هذا الموضوع، أنظر Julien (Ch.A.), histoire de l'Afrique du NordT2 p141
2) دعا ابن أخي أبي عثمان لنفسه بالامارة في فاس، فتغلب عليه، أبو عنان وانتصب على العرش (حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 24).
3) وبايعهما قومهما ظاهر تونس آخر ربيع الأول سنة 749هـ/ 1348م (بغية الرواد، 1، ص 237 و 240).
4) نفسه

وتولى الأول السلطة وقاد الثاني الجيوش، وبدأ ليسترد من المرينيين أراضي الامارة[1]، فاسترجع وهران وندرومة وتدلس، وقد حاول الناصر بن أبي الحسن المريني أن يتصدى له في افريقية، فساعده أبو عنان، الذى استولى على الحكم بفاس، فهزم الأمير الزياني، الناصر، في وادى ورك ببلاد العطاف[2] في شلف، وواصل توسعاته شرقا.

وأعاد الناصر الكرة مع أبيه الذى قدم من بجاية الى الجزائر عن طريق البحر، واعترضه القائد الزياني أبو ثابت بمكان يسمى شبعزيز ن في 10 شعبان من عام 751هـ / 1349 م، فقتل الناصر، وذهب والده الى المغرب عن طريق الصحراء[3]، في محاولة فاشلة لجمع الأنصار ولاسترداد عرشه من ابنه أبي عنان[4]، (1348ـ 1358 م) لكنه مات دون أن يحقق هدفه[5].

---

1) ابن خلدون، العبر، 7، ص 248ـ 249 (ط. بيروت)، وحسب Bargès فان عثمان (أبو سعيد) أعلن نفسه حاكما على تلمسان خلال سنة 752هـ/ 1351 م (Tlemcen, ancienne capitale de ce nom, p. 195).

2) يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص242ـ 243، غير أن عبد الرحمن بن خلدون لا يذكر مشاركة الناصر بن أبي الحسن المريني في هذه المعركة بل ذكر أن الذى تصدى لأبي ثابت هو ونزمار وجموع العرب با يحاز من أبي الحسن (العبر، 7، ص 248).

3) التنسي، المصدر السابق، ص 213

4) حاجيات أبو حمو موسى الزياني، ص 213.

5) عن هذا الموضوع أنظر: Julien (Ch.A) : Histoire de l'Afrique du Nord, p.181

ولم يطمئن أبو عنان لانتصارات بني عبد الواد، فانتهز فرصة استغاثة مغراوة ضدهم[1]، وزحف عليهم، في آخر شهر ربيع الثاني 753هـ/ 14 جوان 1352م، فقتل سلطانهم، وشرد أخاه أبا ثابت الى بجاية حيث قبض عليه الحفصيون وقتله أميرهم أبو يحيى[2].

وولى أبو عنان ابنه محمد على تلمسان التي بقيت تابعة لفاس الى أن قدم أبو حمو موسى الثاني من تونس[3]، فاقتحمها، وطرده منها، في ربيع الأول سنة 760هـ/ فبراير 1359م، ثم شرع في استرداد أراضي امارته، فوجه المرينيون حملة ضده سنة 760هـ/ 1360م، فاستولوا على عاصمته[4]، لكنهم سرعان ماغادروها الى بلادهم بسبب مشاكلهم الداخلية وازعاج

---

1) وقد يكون قام بهجومه هذا ضد بني عبد الواد لكي يقطع الطريق عن أبيه (حاجيات، المرجع السابق، ص30 – 31).

2) بغية الرواد، 1، 245 فما بعدها ؛ العبر، 7، 252 ؛ نظم الدر، ص214 ؛ Bargès, Tlemcen, p. 195.

3) ولد أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيي بن يغمراسن سنة 703هـ/ 1323م بغرناطة في الأندلس، وعاد مع أبيه الى تلمسان بعد سنة، فنشأ بها، وفي سنة 737هـ/1337م، انتقل، مع عائلته، الى فاس بأمر أبي الحسن المريني الذي ضم تلمسان آنذاك، وعند ما استرجعها أبو سعيد عاد اليها أبو حمو، واستقر مع أبيه بندرومة، ولما قتل أبو عنان الأمير الزياني، أبا سعيد، غادرها أبو حمو الى تونس، وفي سنة 758هـ/ 1357م توجه الى الجنوب، فاشترك مع الدواودة في صد المرينيين هناك، ولما وصل الى الحضنة التقى ببني عامر الذين طردوا من مواطنهم في المغرب الأوسط، فتحالف شيخهم صغير معه وواصل طريقه غربا الى تلمسان (أنظر التفاصيل عند حاجيات، المرجع السابق، ص69 فما بعدها).

4) Abdellah Laroui, op. cit. , p. 215.

قبائل المعقل[1] حلفاء الأمير الزياني، لجيشهم[2].

وعاد أبو حمو الى تلمسان، ثم راح يسترجع المناطق المحيطة بها، خاصة الشرقية منها، وزحف أمير فاس، أبو سالم[3] جويلية 1359- 19 سبتمبر 1361م (759 - 761هـ) على تلمسان، فدخلها في 6 شعبان 761هـ/ 1361م بعد انسحاب أميرها الذى خالفه الى أجرسيف[5] حيث ساعدته زغبة على تخريب عدة مدن مرينية بالحدود الغربية لبلاده[6]، فاضطر أبو سالم أن يعود بسرعة الى فاس، خوفا من أن يزحف بنو زيان عليها[7] وعاد أبو حمو بدوره الى عاصمته وواصل توسعه شمالا وشرقا فضم وهران والمدية ومليانة ومتيجة والجزائر[8].

---

1) نسبة الى معقل بن الحارث، بطن من مدحج، من القحطانية، كانت مواطنهم في القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بالمغرب الأقصى، وكانوا مجاورين لبني عامر من زغبة في مواطنهم، مابين قبلة تلمسان والمحيط الأطلسي (معجم قبائل العرب، 3، ص 1123).

2) حاجيات المرجع السابق، ص 94

3) عنه أنظر: Julien (Ch.A.) : op. cit, p. 184

4) حاجيات، التاريخ السياسي لدولة بني زيان الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 404.

5) هي قرية عامرة على نهر ملوية وكانت توجد في الطريق بين وجدة ومليلة (المغرب، ص 88)

6) مثل وطاط وبلاد ملوية، (مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص 159)؛ ولكن زغبة ثارت ضده سنة 768هـ/ 1367م، فقتل أبو حمو كثيرا من رجالها بمساعدة رياح (المرجع السابق، ص 160)

7) العبر، 7، ص 260 فما بعدها.

8) حاجيات المرجع السابق، ص 404- 405.

وفي تلك الأثناء جمع أبو زيان، بن أبي سعيد الثاني، بعض القبائل، وحاول استعادة عرش أبيه من أبي حمو، ولما فشل تدخل أبو سالم المريني الى جانب قبائل بني سويد وبني عامر والمعقل لمساعدته، لكن أبوحموا استمال بني عامر فتخلوا عن خصمه وفشلت بذلك محاولته.[1]

بعدئذ تعددت تحملات أبي حمو على بجاية، فأقلقت السلطان الحفصي، فاستعان عليه بابن عمه ومنافسه على العرش، أبي زيان، فحاصره الاثنان، لكنه استطاع أن يقضي، بعد معارك عديدة، على أبي زيان[2].

ونزولا عند رغبة بني سويد[3]، زحف السلطان عبد العزيز المريني على تلمسان، فاستولى عليها في محرم سنة 772هـ / أوت 1370م[4]، وبعد وفاته سنة 774هـ[5] / 1372م عاد اليها صاحبها، واسترجع مرة أخرى المناطق الشرقية، كما ساعد

---

1) العبر، 7، ص262 فما بعدها.
2) نفسه، ج 7، ص267 - 268؛ المرجع السابق، ص117 فما بعدها.
3) بدافع الغيرة من قبيلة بني عامر، التي حظيت بمكانة مرموقة لدى أبي حمو، وبسبب الدور الكبير الذي لعبته في موازنته، طلبت قبيلة سويد من السلطان عبد العزيز المريني أن يزحف على تلمسان (مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص156 فما بعدها).
4) Laraoui (Abdallah) : op. cit, p. 215
5) توفي عبد العزيز المريني بتلمسان، بعدما أصابه مرض خطير في 22 ربيع الثاني سنة 774هـ/ 1372م (العبر، 7، ص698).

عامل سجلماسة ومراكش، عبد الرحمن بن أبي يفلوسن، في ثورته ضد ابن عمه أبي العباس، مما جعل هذا الأخير يغزو تلمسان، لكنه غادرها بعد أيام سنة 786 هـ[1] / 1375 م.

بعد ذلك دخل أبو حمو في صراع مع ابنه أبي تاشفين الذي كان يخشى منافسة اخوته، المنتصر وأبي زيان وعمير، على العرش، بعد وفاة أبيه الذي كان يعطف عليهم مما أدى الى وقوع حرب بينهما، انتهت بمقتل الأب، في غرة ذي الحجة سنة 791 هـ / 21 نوفمبر 1389 م[2].

وبتولي أبي تاشفين زمام الأمور، دخلت الدولة الزيانية مرحلة جديدة من تاريخها، تتمثل في التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية، اذ أن استنجاده بالمرينيين في حربه ضد أبيه، شجعهم على مواصلة هذه السياسة التي تجنبهم كثرة التكاليف وتمكنهم من التحكم في مصير هذه الدولة[3].

---

1) العبر، 7، ص296 – 298 (ط. بوسلان).
2) نفسه، ص353؛ نظم الدر، ص253.
3) Laraoui (Abdallah) : op. cit., p. 215 !
ويذكر الحسن الوزان (Léon l'Africain) أن ملوك فاس غزوا تلمسان عشر مرات (Description de l'Afrique, T.2, p. 323)

خاصة وأن الضعف بدأ يسري في جسم دولتهم، من جراء التنافس على الحكم آنذاك، فأخذوا يعملون على اثارة الفتن بين أفراد الأسرة الحاكمة[1]، اذ لما قامت فتنة بين أبي تاشفين وأخيه أبي زيان، وهزم الأول الثاني، استنجد بهم، فجهزوا له حملة، كلفوه بقيادتها، وعندما وصلت الى تازا[2]، توفي أبو تاشفين في 17 ربيع الثاني 975 هـ[3]/ فيفري 1393م، فأوقفوا حليفهم الجديد وأودعوه السجن وهب يوسف بن أبي حمو موسى الثاني[4]، الذي كان واليا على الجزائر، بالدخول الى تلمسان وقتل أبا ثابت ابن أبي تاشفين، وكان تولى الأمر حوالي أربعين يوما[5]، ثم استولى على الحكم،

---

1) عن سياسة المرينيين ازاء بني عبد الواد أنظر: Laraoui Abdallah : op. cit, p. 215.

2) مدينة تقع شرق المغرب الأقصى على بعد حوالي 100 كلم شرق وشمال شرق مدينة فاس بممر تازا، بين المغرب الأوسط والأقصى على الطريق الطبيعي الكبير الرابط بين الشرق والغرب (انظر: Marcais (G): E.I., Art. Taza, T.4, pp. 745 - 746).

3) نظم الدر، ص279؛ الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج 2، ص181؛ أو توفي في رمضان من نفس السنة (حاجيات، استمرار النفوذ المريني، الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني، الجزائر، 1984، ج 3، ص436).

4) ويكنى الحجاج (انظر الدر، ص213) او يوسف بن الزابية (الجزائر في التاريخ ج 3، ص426).

5) نظم الدر، ص282؛ الجزائر في التاريخ، 3، 426.

فهاجمه أبو فارس[1] بن السلطان أبي العباس المريني[2]، فلجأ الى حصن تاجحمومت[3] واستولى القائد المريني على تلمسان، ثم راح يخضع المناطق الشرقية، لكنه عاد الى فاس، بعد موت أبيه، وتولى أمر قومه ثم أطلق سراح أبي زيان، وبعثه على رأس جيش ليستولي على تلمسان، ويتولاها للمرينيين ونجح أبو زيان في مهمته، فبويع بالامارة، غرة ربيع الثاني 796 هـ / 3 فيفري 1394 م[4]، ولما حاول ان يستقل عن حلفائه المرينيين ساعدوا ضده أخاه، أبا محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني، فتولى الأمر سنة 801 هـ / 1398 م، ثم خلعوه سنة 804هـ / 1401 م، ونصبوا مكانه أخاه الآخر، أبا عبد الله، المعروف بابن خولة، ولما توفي هذا الأخير،

---

1) هو أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس المريني (حاجيات، استمرار النفوذ المريني، الجزائر في التاريخ، 3، ص426) أو هو أبو فارس أحمد بن أبي العباس" (الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج 2، ص 112) تولى أمر المرينيين من 796هـ/ 1393 م الى 799 هـ/ 1396 م (نفس المرجع).

2) هو أبو العباس أحمد المستنصر بن ابراهيم تولى الامارة في فاس مرتين الأولى، سنة 776هـ / 1374 م وتنحى في نفس السنة، والثانية سنة 789هـ/ 1387م الى 796هـ/ 1393م (نفس المرجع).

3) نظم الدر، ص283 ـ 284، أو تاجحمومت، (حاجيات، المرجع السابق، 3، ص426) ولم أعثر على تعريفه.

4) نظم الدر، ص 288.

خلفه ابنه عبد الرحمن في ذي القعدة سنة 813هـ/ مارس 1411م[1]، ثم تولى الأمر عمه السعيد بن أبي حمو آخر محرم سنة 814 هـ / 1412 م[2] ، وأعان المرينيون عليه أخاه أبا مالك عبد الواحد[3] ، فلما حقق هذا الأخير هدفه حاول أن يتخلص منهم ،لما لمسه من ضعف فيهم[4] ، فتدخل في شؤونهم حتى انه ((ملّك بفاس السلطان محمد بن أبي طريق بن أبي عنان المريني))[5].

غير ان أبا مالك تعرض لضغط الحفصيين ،من الجهة الشرقية ، بعدما حاول استرجاع المناطق التي كانت تحت نفوذهم ، فزحف أميرهم أبو فارس على تلمسان[6] ودخلها في 13 جمادى الثانية سنة 827 هـ / 13 ماى 1424 م ، وغادرها أميرها الى فاس ، فولّى عليها السلطان الحفصي محمد بن الحمراء بن أبي تاشفين الثاني ،

---

1) لم يبق على العرش سوى شهرين ،ثم أغتصبه منه عمه ،بعدما فر من السجن بفاس ،(الجزائر في التاريخ ،ج 3،ص 427) .

2) لم يستطع البقاء في الحكم لسوء سياسته،خاصة من الناحية المالية (نفس المرجع) .

3) نظم الدر ، ص318 ؛ الجزائر في التاريخ ، 3 ، ص 427

4) Berque (J) Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XVe siècle d'après un manuscrit juriprudentiel, Annales, E.S.C. Septembre-Octobre, 1970, p. 1325

5) نظم الدر ، ص324 – 325 .

6) Léon l'Africain: op.cit, T.2, p.324 .

يوم الأحد 16 جمادى الثانية[1]، وفي رجب سنة احدى وثلاثين وثمانمائة (831هـ / 1421م)، عاد أبو مالك عبد الواحد الى تلمسان، ودخلها بمساعدة السلطان الحفصي الجديد، عثمان بن أبي فارس[2].

ومنذ ذلك الحين واصل الحفصيون بتونس، مثل المرينيين بفاس تدخلاتهم، في الشؤون الداخلية لامارة بني عبد الواد، فعزلوا من شاؤوا، وولوا من شاؤوا، ومتى شاؤوا، وتوالت الاضطرابات بسبب التنافس على السلطة بين أفراد البيت الزياني الذين كانوا يستنجدون بالحفصيين تارة وبالمرينيين تارة أخرى، وتألبت ضدهم القبائل، واستقلت عنهم مناطق عديدة[3]، فزاد بذلك ضعفهم ولم يستطيعوا مقاومة الاسبان عند نزولهم بوهران سنة 914هـ/ ماي 1509م[4]، وقد صار لهؤلاء دور في سياسة البلاد الداخلية والخارجية على حد سواء،

1) نظم الدر، ص، 324 - 325.

2) Léon l'Africain: op. cit, T.2, p.324.

3) مثل تنس، والجزائر وتدلس (حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 455).

4) لقد هاجم البرتغاليون مينائي المرسى الكبير ووهران سنة 906 هـ/ 1501 م، لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليهما، وهاجم الاسبان المرسى الكبير وتغلبوا على أهله في 11 سبتمبر 1505م / 910هـ Bargès : Tlemcen, p. 303; Pelissier : Mémoire Historique et géographique, p p. 10 - 11 ; حاجيات، خطر النصارى وانهيار الدولة الزيانية، الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 456 و 13 سبتمبر 1505م (Lespes, Oran, p.295) ونزل الاسبان بوهران يوم 19 ماي 1509 (نفسه).

من ذلك أنهم ساعدوا أبا حمو الثالث[1] على دخول تلمسان، عندما استنجد بهم ضد بابا عروج[2] سنة 924هـ/ 1518 م، كما أعانوا عليهم محمد السابع[3]، لـقـلم يتمكن منها الاتراك الا بعد صراع طويل معهم وذلك سنة 962 هـ/ 1554 م[4].

فمدينة تلمسان اذن تقع بين الصحراء والتل، وتشرف على البحر الأبيض المتوسط، فلا تفصلها سوى مرتفعات ساحلية، تسمح بتسرب المؤثرات المناخية، بينما تمنع

---

1) أبو حمو الثالث (924هـ/ 1518م) هو أبو حمو موسى الثالث بن محمد الثابتي بن محمد المتوكل على الله، ويلقب بأبي قلمون، توفي سنة 924 هـ(انظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، بيروت ، 1403هـ/ 1983م، ص126 ـ 127) .

2) هو عروج بن يعقوب التركي ولد بجزيرة مدلي (Metelin) احدى جزر الأرخبيل، ركب البحر منذ سن العاشرة وعندما قبوي بأسمه أخذ ينشط في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط مع أخيه واستقر بجربة ومن هناك بدأ يقدم العون لسكان المغرب الاسلامي ضد الاسبان، (أنظر : Julien (Ch. André) : Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie - Algérie - Maroc, de la conquête Arabe à 1830, Paris, 1966, p. 254 ؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص، 156 فما بعدها .

3) هو أبو عبد الله محمد الثابتي، حكم تلمسان من سنة 934هـ/ 1528م الى سنة 947هـ/ 1545 م (انظر حاجيات المرجع السابق، ج 3، ص457) .

4) نفسه .

السلاسل الجنوبية المرتفعة، مؤثرات الصحراء من التسرب الى المنطقة، وفي نفس الوقت تحمي تلمسان دون أن تعزلها عن البلدان الممتدة جنوب الصحراء لأنها تحتوي على فتحات، أصبحت ممرات تعبرها القوافل التجارية .

وقد استقر الانسان بتلمسان منذ عصور قديمة، فسكن المغاور والكهوف، ثم نزلها الرومان، فأنشأوا بوماريه، وهي مركز لجيش الفرسان يحمي خطوط الليمس .

وفي العهد الاسلامي حلت محلها أجادير التي أسسها بنو يفرن، وكان لها دور بارز في الأحداث التي جرت بالمنطقة، وأخذ عدد سكانها يزداد شيئا فشيئا، ولما قدم اليها ادريس الأول، بنى بها مسجدا، وأصبحت تابعة لفاس، عاصمة الأدارسة، واستقل بها بنو عمومتهم السليمانيون ثم أصبحت محل صراع، بين الفاطميين في افريقية وأنصار الأمويين بالأندلس، وعندما زحف المرابطون على المغرب الأوسط، أمر يوسف بن تاشفين أميرهم ببناء تاجرارت قرب أجادير، فاصبحت تابعة لمراكش وتطور بها العمران والعلوم والتجارة .

وأدى الزحف الهلالي على المغرب الأدنى الى انتقال مراكز التجارة الى المدن الساحلية في الشمال والى المدن بالغرب مثل تلمسان التي استقطبت طرق التجارة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب .

ثم ، فتحها الموحدون ، وأقطعوا بني عبد الواد المناطق المجاورة لها ، بين البطحاء وملوية ، مقابل الولاء لهم ، وحصنوا الحصن القديم (أجادير) والجديد (تاجرارت) أثناء ثورة بني غانية .

وعندما ضعفت الدولة الموحدية ، استقل بنو عبد الواد ، واختاروا تلمسان عاصمة لامارتهم ، وتعرضوا لهجومات عديدة من جيرانهم في الشرق وفي الغرب أقلقت راحتهم وأثرت على استقرارهم السياسي ، كما احتكوا بالقبائل المجاورة ، فعرفوا نقاط ضعفها ومواطن قواها ، فسيطروا على الضعيفة منها واستمالوا الأخرى بوسائل مختلفة ، فأبو حمو موسى الثاني مثلا ، كثيرا ما نجح في استعادة ملكه ، ومقاومة أعدائه ، بفضل اعتماده على مساعدة قبائل بني عامر له .

وقد أدرك بنو عبد الواد أهمية موقع تلمسان الجغرافي ، فشجعوا التجارة بها فازدهرت حتى أصبحت تضاهي بعض العواصم في العالم الاسلامي ، وبقيت عاصمة للدولة الزيانية حوالي ثلاثة قرون ، رغم ما تعرضت له من هجومات متكررة ، خاصة من قبل المرينيين .

الفصل الثاني

النقل التجارى بين تلمسان والبلدان المتعاملة معها : -

أولا : النقل البرى :

أ) محطات التجارة البرية

ب) الطرق البرية

1) الطرق البرية بين امارة تلمسان و بين مدن المغرب الاسلامي .

2) الطرق البرية بين امارة تلمسان و بين ممالك بلاد السودان الغربي .

ج) وسائل النقل

د) الرحلة البرية

1) بين بلدان المغرب الاسلامي .

2) بين امارة تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي

ثانيا : النقل البحرى :

أ) الموانيء

ب) الخطوط البحرية

1) بين امارة تلمسان و بين امارات المغرب الاسلامي.

2) بين امارة تلمسان وجمهوريات جنوب أوروبا .

ج) وسائل النقل البحرى .

د) الرحلة البحرية .

النقل التجارى بين امارة تلمسان والبلدان المتعاملة معها :

أولا : النقل البري :

أ) محطات التجارة البرية :

كانت التجارة بين بلدان المغرب الاسلامي ، عادية ، اذ توجد بالمدن أسواق ، يتم فيها بيع وشراء مواد يحتاجها السكان يوميا ، ويتخذها التجار محطات لراحتهم، ورغم أنها تدر على أصحابها أموالا طائلة الا أنها أقل أهمية من التجارة مع ممالك بلاد السودان الغربي، الذى ظهرت في الطرق المؤدية اليه محطات ، تنزل بها القوافل التجارية للراحة، ثم تطورت تدريجيا ،بفضل التجارة، الى أسواق، ثم الى مدن ،وأهم هذه المحطات:

وجدة: تقع على الطريق الرابط بين تلمسان و فاس،أغلب سكانها من التجار[1] ، تبعد عن العاصمة الزيانية بحوالي ثلاث مراحل[2] ، وهي محطة القوافل المتجهة ،منها ، الى المغرب الأقصى أو العائدة منه اليها .

سجلماسة :

مدينة تجارية ، تبعد على تلمسان بحوالي عشر مراحل[3] ،أسسها الصفرية[4]

---

1) البكرى ،المصدر السابق ،ص 88 .

2) نفسه

3) أنظر Dufourcq (Ch.E): l'Espagne Catalane,p136

4) ((اختطها يزيد بن الأسود ،أو عيسى بن الأسود ،من موالي العرب ،وقيل مدرار ابن عبد الله . . .))وكان صاحب ماشية ، . . . ،ينتجع موضع سجلماسة . . . فكان يجتمع اليه اهل تلك الصحراء من مكناسة والبربر ،وكانوا يدينون بدين الصفرية من الخوارج فاجتمع اليه جماعة منهم ، فلما بلغوا أربعين رجلا ،قدموا عليهم يزيد بن الأسود وخلعوا طاعة الخلفاء . . .)) (القلقشندي ،المصدر السابق ،ج 5،ص 163ــ 164) .

سنـــة 140هـ[1] / 757- 758 م عـلـى الضـفـة اليـسـرى لنهر زيـز[2]، فـــي أول الصحـراء[3]، جنـوب المغـرب الأ قـصـى[4] ؛ وكـانـت عـاصمـة تافيلالت[5] وتطـورت بسرعــة بـفـضـل مـوقعهـا عـلـى الطـريـق الرابـط بـين عـالم البحـر الأ بـيـض المتـوسـط وبـلا د الـسـودان الغـربـي[6] ،فكانـت القـوافـل التجـاريـة تنـطـلـق منهـا الـى الشمـال والشرق والجنوب[7] ؛ فهـي كمـا لا حـظ الحبيـب الجنحـانـي عـبـارة عن ((ميناء صحراوي)) تـتجـمـع فـيـه مختلـف البـضـائـع المتـبادلـة بـين منـطـقـة البحـر الأ بـيض المتـوسـط وبـين بـلا د الـسـودان[8] ،وقـد بـقـيـت سجلماسة تلعب دورا هـا مـا في التبـادل التجـاري بين مـد ن الشمـال والجنوب حتـى النـصـف الأ ول من القـرن الـرابـع عـشر المـيـلا دي،وكـان التلمسانيـون يتـاجـرون مـع بـلا د السـودان عـن طـريـق وكـالا ت أقـيـمت في سجلماسة

---

1) البكـري،المصـد ر السابـق،ص48 ؛ وحسب ابن عـذاري ،فان ابتداء بناء سجلماسة كان سنة 141هـ/ 758- 759م (المصـد ر السـابق،جـ 1 ، ص71) .

2) اليعقـوبي (احمد بن جعفـر بن وهب بـن واضـح)، صـفة المغرب (مأ خـوذ من كتاب البـلـد ان)، ليـد ن،مطـبعة بريل ، 1861،ص74 Léon L'Africain; op.cit; t.1 .p. 424; Colin GEORGES(S) ,E.I.,Article Sidjilmassa,T.4,p.419.

3) البكـري،نـفـس المصـد ر،ص148 .

4) القـلقـشنـد ي، نـفـس المصـد ر،جـ 5، ص164 .

5) Colin Georges (S);op. cit, p. 419

6) ابن بطـوطة ،الرحلـة ،ط. بيـروت ،القاهـرة ص440؛ Lessard (Jean Michel); Sidjilmassa, dans Hesperis Tamuda, volume X, fascicule 1-2, 1969, p.6.

7) عـن هـذا الموضـوع أنـظـر: الجنحـانـي الحبيـب،الحياة الاقتـصـاديـة والاجتماعـيـة في سجلماسـة عـاصمـة بني مـدرار ، نـدوة الحضـارة الاسـلا ميـة، في ذكـرى الأ ستـاذ الـدكتـور أحمـد فكـري ،16 - 20 اكتـوبـر 1976،الاسكنـدريـة 1983 ،ص 152 .

8) نـفـس المرجـع ، ص 152 فما بعدهـا .

وعلى رأسها شركة الاخوة المقري[1]، وقد جعل منها ازدهار أسواقها محل تنافس بين المرينيين والحفصيين وبني عبد الواد[2].

وقد أخذت سجلماسة تضمحل شيئا فشيئا، عندما انتشر الأعراب في الطريق الرابط بينها وبين تلمسان، منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، لأن التجار اضطروا الى تحويل طريقهم الى توات[3].

<u>توات</u> :

يشتمل اقليم توات على ما يزيد عن الثلاثمائة وخمسين من الواحات والقصور المتناثرة، فوق مساحة تغطي حوالي الفي ميل مربع من الصحراء[4] وأشهر قصورها تمنطيت[5].

---

1) Godinho Victorino Magalahes : L'Economie de l'Empire Portugais aux XV et XVI siècle, Paris 1969, p. 12.

2) حاول الحفصيون الاستيلاء عليها سنة 1243م وفي سنة 1257م استولى عليها المرينيون الى سنة 1264م حيث سيطر عليها بنو عبد الواد وعاد اليها المرينيون مرة أخرى سنة 1274م (انظر ما قبل، ص 33 فما بعدها).

3) ابن خلدون، العبر، 7، ص 118 ــ 119 (ط. بيروت).

4) تبعد أقرب نقطة من توات عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500 كلم، وهي اليوم تقع ضمن امتداد أدرار ــ تيميمون ــ عين صالح (انظر: فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ص 1 ــ 2).

5) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 119، وتمنطيت أو تمنطيط هي آخر قصور توات من جانب الشرق (العبر، 7، 119) وكانت عاصمة اقليم توات ومقرا لقاضي الجماعة (فرج محمود، المرجع السابق، ص 6).

وقد ازدهرت واحات توات اقتصاديا، وامتلأت أسواقها بالسلع الواردة من تلمسان ومن مالي، خاصة بعد أن استقطبت التجار الذين كانوا ينشطون ما بين سجلماسة وإيوالاتن، لكثرة هجمات الأعراب على قوافلهم[1]، فأصبحت بذلك ملتقى لشبكة هامة من الطرق تصلها بعدد كبير من المدن الواقعة في شرقها أو غربها أو شمالها أو جنوبها[2]. ويتزود التجار في توات بما يحتاجونه من غذاء وماء ويغيّرون بها الجمال والأدلاء كما يعرضون بضائعهم للبيع في غالب الأحيان[3].

تغازى:

تعتبر هذه القرية محطة القوافل التجارية، القادمة من سجلماسة وتوات وطرابلس وغدامس وعين صالح، في اتجاه بلاد السودان، وتقع جنوب سجلماسة بحوالي خمسة وعشرين يوما، وتسمى مدينة الملح، لأنه

---

1) العبر، 7، 119 (ط. بيروت).

2) عن هذا الموضوع أنظر: Godinho, op. cit, pp.107 et 112.

3) الشيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضرية حتى القرن السادس عشر الميلادي، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد 1404هـ / 1984م، ص 80.

كان يشكل مادة لبناء المنازل ،وكان يصدر الى مختلف مدن بلاد السودان[1] .

والى الملح يعود فضل احداث الطريق الذى يمر بها ليصل بين مدن بلاد المغرب وبين مدن بلاد السودان ،وكانت مدن الشمال تمونها بما تحتاجه من مواد غذائية[2] .

وكانت تغازى تابعة لقبيلة مسوفة ثم ضمتها امبراطورية سنغاى اليها من سنة 899 الى سنة 935 هـ (1493 – 1528م) حيث دخلت تحت نفوذ السعديين بالمغرب الأقصى وفرضوا عليها زكاة المعدن[3].

<u>أودغست :</u>

هي واحة تقع على بعد احدى وخمسين مرحلة جنوب سجلماسة[4] ، واثنتي عشر مرحلة شمال غرب غانة[5] ، استقطبت طرق التجارة في تلك المنطقة ،منذ القرن 3 الى 5هـ(التاسع الى القرن الحادى عشر الميلاديين)وكانت تستقبل السفن

---

1) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 441.
2) أنظر : Godinho, op. cit, p. 106.
3) الشيخ الأمين عوض الله تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضرية حتى القرن السادس عشر الميلادى ،في تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ،معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد 1404– 1984،ص 79 .
4) البكرى ،المصدر السابق ،ص 159 ، يجعلها القلقشندى ستا وأربعين مرحلة (المصدر السابق ، ص 159) ، أما ياقوت الحموي فيجعل موقعها مرة على مسيرة شهرين من سجلماسة عن طريق السوس الأقصى ، ويجعله مرة أخرى على مسيرة نيف وأربعين مرحلة من نفس المدينة في رمال ومفاوز (معجم البلدان ،مجلد 1 ،ج 1 ،ص 399– 400).
5) الادريسي ،المصدر السابق ، ص 19 .

من المحيط الأطلسي[1].

وقد جاء في حديث أبي عبيد البكري، عن سوقها، في القرن الحادي عشر الميلادي أنها كانت ((عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه، وضوضاء أهله وتبايعهم بالتبر (الذهب) وليست عندهم فضة ... وذهب أوذغست أجود من ذهب أهل الأرض وأصحه ...))[2] لكن الادريسي الذي عاش في القرن 6 هـ (الثاني عشر الميلادي) يصف التجارة فيها بـ ((قليلة))[3] أما القلقشندي الذي عاش في نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين (8 – 9هـ) فيقول بأن أسواقها عديدة[4].

والذي يقارن بين أقوال هؤلاء الجغرافيين الثلاثة، يلاحظ أن التجارة لم تكن مستقرة على حال واحدة بأودغست في الفترة الواقعة ما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، بل كانت تتأرجح بين القوة والضعف، واذا كان عدم وجود معلومات تاريخية أخرى تسمح للباحث بمتابعة تطور هذا التأرجح بدقة، فان المخلفات الأثارية، التي عثر عليها بمكان أودغست،

1) القلقشندي، المصدر السابق، ص159.
2) المغرب، ص158 – 159.
3) المصدر السابق، ص 19.
4) المصدر السابق، ص 159.

تؤكد أنها بقيت تلعب دورها كسوق وكمحطة للقوافل القادمة من الشمال، حتى القرن 8 هـ (الرابع عشر الميلادي[1]) ومنذ ذلك الوقت حلت محلها في النشاط التجاري ايوالاتن[2].

ايوالاتن :

تأسست مدينة ايوالاتن سنة 1224 م[3]، شمال غانة، في طريق القوافل القادمة من سجلماسة، على مسيرة حوالي شهرين منها[4]، وهي تبعد عن تمبكتو، غربا بحوالي 450 كلم، وعن المحيط الأطلسي، شرقا بحوالي 900 كلم وكانت سوقا يقصده التجار المغاربة[5]، وأغلب سكانها من مسوفة، كانوا يمارسون مهنة أدلاء القوافل التجارية في الصحراء ويقدمون لها الخدمات الضرورية، وقد استقر بها، في النصف الأول من القرن 8هـ (الرابع عشر الميلادي) اثنان من أسرة المقري، هما عبد الواحد وعلي، واتصلا بسلطان مالي منسى (أي الملك)، موسى (1307 – 1332م)، عندما هاجم المدينة منسى علي، ملك

---

1) Lessard : op. cit, p. 25; Devis : Routes de Commerces et échanges en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée, dans revue d'histoire économique et sociale, Paris 1972, n° 1, p. 366.

2) Devis : op. cit, p. 366.

3) Godinho: op. cit, p. 106.

4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص442، حسب العمري فانه " لا يوجد في الصحراء بين سجلماسة وايوالاتن الا تابلبالت (Tobelbet Ou Tabelbalet) وتفصل بين المدينتين مساحة شاسعة تقدر بخمسة عشر يوما ولا يوجد بها ماء (انظر: Omari (Ibnfadl-Allah), Masalik el Absar fi Mamalik el Amsar, I, l'Afrique moins l'Egypte, traduit et annoté, par Gaudefroy-Demombynes, Paris 1927, p. 202).

5) Léon l'Africain: op. cit, pp. 463-64.

التكرور، وكانت تابعة للامبراطورية المالية [1]، فأمنهما موسى وشجع تجارتهما [2] وصار يمونانه بما تحتاجه من بضائع [3].

ومنذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين اخذت مدينة ايوالاتن تضمحل، لأن التجار بمن فيهم المغاربة، بدأوا يتخلون عنها، ويتوجهون الى تمبكتو وغاو، خاصة بعد ما لاحظ المصريون، منهم، أن ملوك مالي كانوا ينفقون كميات كبيرة من الذهب أثناء ذهابهم الى الحج وعودتهم منه، مما أقام الدليل الكافي، في نظرهم، على غناء ذلك البلد بالمعدن الثمين، وشجعهم على العودة الى التعامل الواسع مع ممالك بلاد السودان الغربي.

---

1) التكرور أي بلاد السودان (أنظر: (Maurice) Delafosse : E. I., Art Songhaï, T.4, p.4, 511-512 وحسب ياقوت الحموي، فهي بلاد تنسب الى بلاد السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج (معجم البلدان، 1، 86)؛ وحسب Cuoq (Joseph) فان التكرور هي احدى المقاطعات الثلاثة عشر من امبراطورية مالي تقع على المحيط الأطلسي Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, Paris 1984, p. 81.
وحسب حسن ابراهيم حسن فان التكرور هي احدى الأقاليم أو الممالك الخمسة، مالي وصوصو وغانة وكوكو وتكرور (انتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص 102).

2) هاجم منسى علي ملك التكرور ايوالاتن في عهد السلطان المالي منسى موسى (1307- 1332م) انظر حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 104، Cuoq (Joseph) : op. cit, p.91
وهكذا يكون الاخوان المقري قد تواجدا في المدينة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) في حين يذكر دهينة أنهما تواجدا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (Les Etats de l'Occident Musulman au XIII, XIV et XVe siècle, p. 368).

3) المقري، المصدر السابق، ص 110.

بعدما كان المغاربة يحتكرون تجارتها من قبل[1].

بذلك أخذ الفقر يغزو ايوالاتن، شيئا فشيئا، مما لفت نظر الحسن الوزان (Léon l'Africain) في بداية القرن السادس عشر الميلادي (10هـ)، فلاحظ أنها أصبحت عبارة عن مملكة صغيرة متواضعة الامكانيات[2] ثم اضمحلت أكثر في عهد مملكة سنغاي[3].

تمبكتو[4]:

أسس هذه المدينة طوارق مشقرن[5]، حوالي سنة 494هـ

---

1) انظر: Coudray, Relations Commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan dans bulletin de la Société de géographie d'Alger, 2è année 1887, p.250

حسب العمري فان منسى موسى ((خرج من بلاده، بمائة حمل من الذهب أنفقها خلال رحلته الى الحج سواء في القبائل الموجودة بين بلاده والقاهرة وفي القاهرة نفسها او بينها وبين الحجاز الشريف، في الذهاب والأياب حتى نفذ ما معه من المال وصار يقترض من التجار)) (Omari : op. cit, p. 75).

2) Description, T.1, p. 463.

3) Devisse, commerce, p. 366.

4) يقال ان تمبكتو تعني بئر بكتو، و بكتو هو اسم امرأة عهد اليها الطوارق بحراسة بئر كانت توجد في ذلك المكان الذى اتخذه الطوارق في القرن التاسع الميلادى مكانا ينتجعون فيه بمواشيهم في فصل الجفاف بالسودان، وكثرت الآبار بعد ذلك وصار المكان الأول مركز الاستراحة التجار (السعدى عبد الرحمن) ، تاريخ السودان طبعة باريس 1898، ص 20.

5) السعدى، نفس المصدر، ص 20.

1100 م[1] ، حول آبار ماء عذب[2] مما جعل التجار يتخذونها مقاما للراحة فنقطة التقاء بينهم[3] ، وأخذت تجارة ايوالاتن تتحول اليها بالتدريج الى أن بلغت أوجها في القرن (10هـ) السادس عشر الميلادي[4] ، وكان تجار كل بلد فيها ينزلون حيّا خاصا بهم .

وقد أكتسبت هذه المنطقة التجارية أهمية استراتيجية ، من موقعها الجغرافي ، فهي تستقطب الطرق الصحراوية المؤدية الى الشمال (بلاد المغرب) والغرب (ساحل المحيط الأطلسي) والشرق (ليبيا ومصر) والجنوب ، في نفس الوقت ، كان لها ميناء كابرا الذي يبعد عن نهر النيجر بإثني عشر ميلا[5] ، بينما تقع هي على بعد أربعة أميال من النهر[6] ، وموقعها هذا جعلها تتجنب أخطار فيضانه في حين تستفيد من النقل فيه وكان يوجد بها عدد كبير من حوانيت الحياكين والحدادين والبزازين والخرازين ، وقد أهتم ملوكها

---

1) حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 218 ؛ زبادية ، ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو ، مجلة الأصالة ، عدد 53 ، ص 10 ، هامش 4 .

2) Léon l'Africain, op. cit, p. 467

3) السعدي ، نفس المصدر ، ص 20 .

4) أنظر : (Davidson (Basil) : Les Royaumes Africains) Hollande 1967, P. 84 ; Condray Op. cit, P. 252.

5) Léon l'Africain, op. cit, p. 467 .

6) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 451 .

بالتجـــارة وشجعوهـــا ، ونتيجـــة لا زدهـــا رهـــا حـــاول بعض الأوربيين الـــوصـــول اليهـــا [1] .

عـــانـــة (Ghana) :

كـــانـــت كلمـــة غـــانـــة ، تعني حـــاكـــم منطقـــة الأوكـــار [2] ، ثـــم صـــارت تطلـــق علـــى عـــاصمـــة أول مـــملكـــة قـــامـــت ببلاد السودان النيجـــيرى (Nigérien) ، وتقـــع باقـــليم كـــومـــبي صـــالح التـــابـــع لـــدائـــرة (cercle) عيـــون العـــتروس [3] ، وتقـــع علـــى بعـــد خمـــسين يـــومـــا مـــن سجلمـــاســـة [4] ، وكـــانـــت غـــانـــة العاصمـــة تتكـــون مـــن

---

1) يـــذكـــر Basil Davidson اسمـــاء بعض المغـــامـــرين مـــن مختلـــف مـــدن جنـــوب أوروبـــا ، حاولـــوا الوصـــول الى بلاد السودان أمثال الميـــورقي Jacmé Ferrer الـــذى أبحر الى وادى الذهب (Rio De Oro) سنـــة 1346م ، يريـــد الوصـــول الى بـــلاد السودان الغنيـــة بالذهب ، وكذلـــك الميورقي أبراهام كرسيـــك Abraham Cresques الـــذى رسم سنـــة 1375م خـــريطـــة للمنطـــة أبرز فـــيهـــا أهمـــية التجارة وكمـــيـــات الذهـــب المتـــوفـــرة و Anselme D'I Salguier الـــذى عـــاد الـــى مـــرسيليـــا سنـــة 1413م بعـــد زيـــارة بـــلاد السودان والجنـــوى Malfante الـــذى وصـــل الـــى تـــوات والفلـــورنـــسي Benedetto Dei الـــذى تـــوجـــه الـــى Tombouctou وأقـــام عـــلاقات تجاريـــة (أنظر: Basil (D) : op, cit., pp 84 - 86).

2) ويسمـــي البكـــرى مـــدينـــة غـــانـــة الأوكار (المصـــدر السابـــق ، ص 74) وتـــقـــع علـــى بعـــد 350 كـــلـــم الـــى الشمـــال مـــن باماكـــو ، و 95 كـــلم الى الغرب وشمـــال غـــرب نـــارة Nara ، و 70 كـــلم جنـــوب وجنـــوب شـــرق تـــيمـــيدرة ; (Cornevin ; E.I., Art. Ghana, T.II, p. 1025, nouvelle édition); زبادية ، مـــملكة سنغاى عهد الأسيفـــيين ، ص 16 ; دافيد سون ، افريقيـــا تحـــت اضـــواء جـــديدة ، تـــرجمـــة م. أحمـــد ، بيروت ، 1963 ، ص 183) .

3) من مقاطعات تيمـــبدرة Timbedra الجمهوريـــة موريطانيـــا (Cornevin, op.cit., p. 1025)

4) القـــلقشنـــدى ، المصـــدر السابـــق ، ج 5 ، ص 284 .

مدينتين ، في منخفض ،على نهر النيجر [1] ، ((المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة ... ومدينة الملك على ستة أميال من الأولى ...)) [2] .

وعرفت غانة ازدهارا اقتصاديا يعتمد على عنصرين هامين :

- الأول موقعها الاستراتيجي ،ما بين شمال الصحراء (بلاد المغرب الاسلامي) وبين جنوبها (بلاد ساحل المحيط الأطلسي) ، مما أهّلها الى استقبال القوافل القادمة من الشمال ومن الجنوب معا ، خاصة وأن مناجم الذهب توجد في ونقارة (بامبوك) ، جنوبا [3] ، ومناجم الملح توجد بتغازى شمالا .

والعنصر الثاني : تشجيع ملوكها للتجارة ؛ ذلك أنهم فتحوا البلاد في وجه التجار حتى أصبحت عاصمتهم ،على حد تعبير البكري ،أوسع ((المدن متجرا واليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها)) [4] ونظموا الضرائب

---

1) الادريسي المصدر السابق ، ص 7 و 8 ؛ البكري ، المصدر السابق ، ص 74 .
2) البكري ، المصدر السابق ، ص 175 .
3) Lessard : op. cit, p. 26 .
4) المصدر السابق ، ص175 ؛ وقد أكتشف آثار المرينيين Albert Bonnuel de Mezières سنة 1914 م، وقام Mauny Thomassey بحفريات في المكان سنة 1950م ،واكتشف الاثنان المدينة التي كان يسكنها التجار المسلمون (أنظر : Basil (Davidson) : op. ct, p. 80).

فكانوا يجبون، على كل حمل من الملح يدخل بلادهم، دينارا ذهبا، وعلى الحمل الذي يخرج منها دينارين، وعلى حمل النحاس خمسة مثاقيل ذهبا، وعلى حمل المتاع عشرة منها[1].

وقد عثر في موقع مدينة غانة على آثار عديدة[2] يدل بعضها على وجود تجارة متبادلة مع بلدان المغرب الاسلامي[3].

<u>غاو</u>[4] (Gao) :

تقع في نهاية طريق القوافل التجارية من الشرق ومن الشمال، وقد تأسست حول آبار ماء، على بعد أربعمائة ميل[5] (450 كلم) جنوب شرق مدينة تمبكتو[6]

---

1) البكري، المصدر السابق، ص 176.

2) من الآثار التي عثر عليها، بعض الأوزان وبعض الأدوات الحديدية مثل السكاكين، والحراب والمسامير، وأدوات زراعية وقطع من الفخار، كتبت عليها آيات قرآنية (أنظر: دافيدسون، افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة م. أحمد، ص 141).

3) وكانت بعض المنازل تتكون من طابقين، يستعمل الدور الأرضي مخزنا للبضائع والأعلى لأصحابها، وأغلبها كان ملكا لتجار مغاربة (انظر: Basil (Davidson): op, cit, p. 80)

4) تسمى هذه المدينة في المصادر القديمة كاوكاو Kaw Kaw و كوكو KOUKOU, كانكو Kankou أو كونكو KOUNKOU (Cornevin (R) : E.I. art. Gao, I. II, p, 999 nlle édition)

5) Léon l'Africain, op. cit, T.2., p,470.

5) كانت غاو تشمل مدينتين مميزتين الأولى للسلطان وحاشيته وهي صاني Sané وقد عثر بجوارها على نصب ملكية (Stèles Royales) يعود تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي، والثانية غاو القديمة (Gao ancien)، وتقع في ملتقى تيلمسي Tilemsi بالنيجر، وهي خاصة بالتجار (أنظر: Mauny (R) : Le Soudan occidental, à l'époque des empires, dans Histoire Générale de l'Afrique Noire, PRESSE Universitaire de France, p. 197).

وكانت عاصمة الدولة سنغاي منذ انتشار الاسلام بها، حوالي سنة 1000م[1]، ثم أصبحت تابعة لامبراطورية مالي، منذ سنة 1235 م الى سنة 1335 م، ثم استرجعتها سنغاي بعد ذلك[2]، وهي محطة للقوافل المغربية، التي كانت تأتيها من تمبكتو، عندما كانت المواصلات نشطة بين بلدي المغرب والسودان الغربي، غير أن الأوضاع تغيرت في أواخر عهد مملكة سنغاي فأصبحت المواصلات في الطرق الشرقية أكثر نشاطا بسبب ازدهار ممالك الهاوسة فصارت القوافل تصل تنبكتو عن طريق غاو[3]، ويتضح من خلال بقاياها الأثرية أنها كانت سوقا للسلع من مختلف الجهات[4]، وكان أغلب سكانها من التجار الأثرياء الذين يتنقلون باستمرار ببضائعهم[5]، كما كان يقصدها عدد كبير من سكان الجنوب، ومعهم كميات هامة من الذهب لشراء البضائع المستوردة من الشمال، سواء من المغرب أو من أوروبا[6].

---

1) زبادية، سنغاي، ص 25 و ص 108؛ Mauny, op. cit, t . 197

2) Cuoq (Joseph) : op. cit.131 : Mauny, Ibid.

3) أنظر: الشيخ الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص 83.

4) Mauny, tableau géographique de l'Ouest africain, au moyen âge, Dakar 1961. p. 499.

5) Léon l'Africain, op. cit, T.2, p. 470.

6) Condray, op. cit, p. 253.

مـــالــــي (Mali)

لـم يـكـــن الاسـم الــذي أطـلقـتـه الـمـصـادر الـعـربـيـة عـلى هـــذه المـديـنــة ، أي ((مـــالـــي)) حسب هنري لابوري (H. Labouret) هــو نـفـس الاسـم الــذي كــان مـتـداولا بـيـن سـكـانـهـا ، اذ أن اكـتـشـاف مـخـطـوط ((تـاريـخ الفـتـح)) ونـشـره سـنـة 1913م ، كـمـا يـقـول ،يـكـشـف في الـواقـع عـن وجـود عـاصـمـتـين : الأولى أو القـديـمـة وكـانـت تـسـمـى جـريـبـة (Djeriba أو Djariba) والثـانـيـة وكـانـت تـسـمـى نـيـانـي (Niani) ، وقـد مـكـنـت الأبحـاث التـي أجـريـت في وادي النيجـر مـن العـثـور عـلـى مـوقـعـيهـمـا : وتـقـع أولا هـمـا عـنـد مـلـتـقـى نـهـري النـيـجـر والسـنـكـرانـي ،في المـكـان المعـروف بـ Mani أو Mali Tombou ،ومعـنـاه أطـلال مـالـي وكـانـت بـدون شـك مـهـد أسـرة Keita ،مـن القـرن 11 الـى القـرن 13 م ،ولا تـوجـد بـشـأنـهـا أيـة مـعلـومـات، أمـا ثـانـيهـمـا (Niani) فـتـقـع عـلـى الضـفـة اليـسـرى للسـنـكـرانـي ، قـرب مـكـان مـا يـزال يـحـمـل اسـمـهـا الـى اليـوم ، ويـحـتـمـل أن تـأسـيسـهـا كـان سـنـة 1238م أو بـعـدهـا بـقـلـيـل[1] أي في عـهـد المـلـك سـون ديـاتـا[2] (Sun Dyata) ،مـؤسـس امبراطـوريـة مـالـي[3] وتبعـد مـديـنـة نـيـانـي Niani ،اذا ،عن ايوالاتن بمسيرة اربعة وعـشريـن يـومـا[4]

---

1) أنظر : Labouret (H) : E.I., T.III, Art, Mali, pp. 216 - 217

2) يحتمل ان يكون الملك Sun dyata حكم من سنة 1230 الى سنة 1255م،و هو من أسرة (Manding des Keita) (Cuoq (J), op. cit, p. 70 sq

3) عن هذا الموضوع أنظر Cuoq (J),op.cit, p.70 sq

4) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص450، يسمي Gaudefroy - Demonbynes العاصمة المالية Nyéni ،ويعتقد ان هذه أصح التسميات التي أوردها في هامش 2،ص52–53 من ترجمة الكتاب مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ،لابن فضل الله العمري (انظر : Omari op. Cit)

وهي عاصمة أقاليم الدولة التي بلغ عدد المدن والقرى والمراكز السكانية بها أربعة عشر ولهذا أطلق عليها الاسم الرسمي الدولة ((مالي))[1] وحسب العمري فان ((طولها يبلغ بريدا[2] تقريبا وكذلك عرضها وهي ليست محاطة بسور الحصن وسكانها معزولون ،عموما ، وللملك مجموعة من القصور يحيط بها سور دائري ، ويحاصرها أحد روافد النيل من جهاتها الأربع ويوجد على احداها جسر يمكن المشي عليه على الأقدام ، عندما تكون المياه منخفضة أما في الجهات الأخرى فلا يمكن ذلك الا في السفن))[3].

وقد أصبحت مركزا تجاريا هاما في بلاد السودان الغربي .ومحطة للقوافل التجارية العابرة للصحراء ، وفد عليها التجار المغاربة والمصريون ،قبل نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) ، فكانوا يدخلونها برخصة خاصة ، ويسكنون أحياء خاصة منها ، ويرأسهم شيوخهم[4] ، وكان يرأس التلمسانيين ، عندما زارها ابن بطوطة ، الفقيه الجزولي ، صهر عبد الواحد المقري[5] ، وقد فقدت أهمية ((مالي)) بعد سقوط

---

1) Omari : op, cit ., p. 57

2) والبريد هو المسافة الفاصلة بين محطتي بريد (Omari:op.cit, p.60, note3)

3) نفس المصدر ،ص 60

4) أنظر : Coudray:op,cit.p.251

5) ابن بطوطة ،المصدر السابق ، ص 450

الامبراطورية حيث ان الحسن الوزان ، عندما زار المنطقة في القرن السادس عشر الميلادي (10هـ) وجد هذه التسمية تطلق على قرية صغيرة[1] . الى جانب المحطات التجارية المذكورة ، توجد مراكز أقل أهمية ،كانت تستقبل القوافل التجارية ،على طول الطرق الرابطة ،بين تلمسان ومالك بلاد السودان الغربي ، ومنها :

ثـادمكـة :

وتقع هذه المحطة، شمال غاو[2] ، على بعد تسعة أيام منها[3] ، وكانت ملتقى للقوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب ومصر وبرقة من جهة ، ومن غانة وغاو من جهة أخرى[4] ، وكان التجار يتعاملون في أسواقها بدنانير ذهبية غير مختوم عليها وتسمى الصلع[5] .

تكـدة :

تقع على بعد عشرين مرحلة جنوب غرب ورقلة تقريبا ، أسسها الملثمون من صنهاجة في طريق القوافل الرابط بين بلاد المشرق الاسلامي ومالي[6] ويسميها العمرى تيجدة ،وكان بها المنجم الوحيد للنحاس الأحمر بامبراطورية مالي ، وكان انتاجه يؤخذ ، في عهد الأمبراطور منسى موسى الى عاصمة البلاد ،وتباع مائة مثقال منه بسبعين مثقالا من الذهب،أى أن قيمته كانت تمثل ثلثي قيمة الذهب،وكان يعتبر أكبر مصدر للضرائب التي كانت تجبيها الدولة آنذاك[7]

1) أنظر الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ،ص 82.

2) Cuoq (J) : op, cit, p. 16 .

3) Ibid, p.137

4) أنظر:حسن ابراهيم حسن ،المرجع السابق ، ص 109.

5) البكرى، المصدر السابق ،ص 181 .

6) ابن خلدون ،العبر ،7، ص 108 .

7) أنظر: Omari : op. cit, pp. 80 - 81 ؛ الشيخ الأمين عوض الله ،المرجع السابق ،ص79-80.

ب) الطرق البرية :

كانت تتصل بين امارة تلمسان وغيرها ،من البلدان المتعاملة معها ، تجاريا ، في العصور الوسطى ، نوعان من الطرق يتمثل أولهما في الطرق البرية وثانيهما في الخطوط البحرية .

1) الطرق البرية بين امارة تلمسان ومدن بلاد المغرب:

كانت كل الطرق ، التي تربط المغرب الأدنى بالمغرب الأقصى ، تمر عبر تلمسان ، بحكم موقع الامارة الزيانية ، وسط المغرب الاسلامي ،وبين اماراته ،كما كان التجار يتنقلون باستمرار بين تلمسان وبين المناطق الساحلية والجبلية والصحراوية ،من مدينة الى مدينة ،ومن سوق الى سوق ،بطريقة دائمة ، لبيع منتجاتهم الزراعية والصناعية ،وشراء ما يحتاجون اليه من سلع ،وأهم تلك الطرق هي :

- الطريق الساحلي :

من الطرق التي يستعملها التجار عادة : الطريق الذي يربط أهم المدن الساحلية ببعضها البعض، زيادة على ربطها بمدن داخلية فهو يربط مدينة مكناس، بالمغرب الأقصى ،بمدينة فاس ثم تلمسان وبعدها البطحاء فقلعة هوارة ومازونة ومليانة والجزائر[1] ،حيث يتفرع الى فرعين : الفرع الأول : ويمر الى تادلس ويقطع منطقة القبائل ، أو يحيط بها من الجنوب الى بجاية ،ثم

1) Brunschvig, deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord Abdalbasit b. Khalil et Adorme, Paris 1936, pp. 40-41.

قسنطينة ويتحول الى عنابة[1] ، ويقطع حوض مجردة عبر باجة[2] ثم تونس ، ومن هناك يعبر قاعدة الرأس الطيب ، ولا يبتعد عن الساحل اذ يمر بسوسة ثم صفاقس وقابس وطرابلس والاسكندرية[3].

الفرع الثاني : ويتجه من الجزائر الى سطيف وميلة وقسنطينة وقالمة ، ويبدو انه كان من أهم الطرق في تلك الفترة[4].

- الطرق الداخلية : أهمها :

- الطريق الممتد عبر الهضاب ، مرورا بالجريد ، ثم يعرج على الأوراس ، ويتجه شمالا ، فيعبر ممر الحضنة الى قسنطينة ثم بجاية وبعدها مليانة[5] ، ويمر بحوض الشلف الى تلمسان ، ومنها الى تازة[6] وبعدها فاس[7] ، ومكناس[8] ، ثم مراكش ، وهناك طريق آخر يخرج من تلمسان ، فيحاذي سفوح الأطلس الصحراوي الشمالية ، حتى المسيلة ، ومنها الى نقاوس ثم بغاية الى تبسة ، وتدخل القوافل وسط وجنوب تونس ، ولكن هذا الطريق لا يستعمل بكثرة لانعدام الأمن ، خاصة بعد دخول الهلاليين المنطقة في القرن (5هـ) الحادي عشر الميلادي.

---

1) وتسمى ايضا بونة (ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 14) ؛ وبلد العناب Brunschvig op. cit, pp. 40 - 41).

2) Brunschvig (R):op,cit,p. 40 .

3) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 14 فيما بعدها .

4) Brunschvig (R),La berberie orientale sous les Hafsides Paris 1940-1947,T.1,p290.

5) ابن بطوطة ، نفس المصدر ، ص 657 .

6) أسسها الأفارقة القدماء ، وكانت كبيرة ، في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، وهي تبعد ثمانين ميلا عن فاس (128 كلم) و 250 ميلا عن المحيط الأطلسي (300 كلم) ، و75 ميلا عن البحر الابيض المتوسط (120كلم) (Léon l'Africain,op.cit, T.2., p. 302).

7) ابن بطوطة ، نفس المصدر ، ص 657 .

8) أنظر : Marçais (G), Tlemcen et le Commerce eurafricain au moyen âge, dans eurafrique , Alger, Juillet 1953, p.6.

كما تمر القوافل من منطقة تافللت ،جنوب المغرب الأقصى ،الى توات ، وتواصل طريقها الى السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي ثم الأوراس فالى المغرب الأدنى[1] .

2) الطرق البرية بين تلمسان وممالك بلاد السودان:

تنطلق من العاصمة الزيانية طرق برية أخرى، الى جانب الطرق التي تربط ببلاد المغرب ، تتبعها القوافل التجارية ، الى ممالك بلاد السودان ، وتظهر في الخرائط التي تمثلها ، على شكل شبكة من الخطوط المتقاطعة والمتوازية : فالأودية المنحدرة من الأطلس الصحراوي، في اتجاه الجنوب والجنوب الغربي ،أو الشرقي ، تكون ممرات تنمو بها بعض الأشجار من الأعشاب، ففي العروق والحمادات نجد بعض الحياة البشرية والحيوانية ممكنة فيها ، ولو لفترة وجيزة من السنة ،ويؤدى الى فتح طرق تسهل التوغل في الصحراء[2].

كما أن الواحات المنتشرة ، في شكل خطوط متوازية، ما بين جبال الأطلس الكبير ، بأقصى المغرب وبين الحدود التونسية - الليبية ،عبارة عن نقاط للتقاطع والالتقاء، وهي المراكز الضرورية للتبادل التجاري في المنطقة ؛ بذلك كانت الصحراء منطقة عبور متواصل ومنظم ، ربطت ، في العصور الوسطى بين سكان المنطقتين الشمالية والجنوبية ، كما ربطت

1) انظر: Brunschvig (R), la Berberie Orientale, T.2, P.238.

2) انظر: Godinho, op. cit, p. 110 .

عدة مدن مغربية ببلاد السودان، ومن بينها تلمسان[1] التي كانت تعد من بين المدن السبع التي تضرب السكة الذهبية، بفضل ازدهار تجارتها مع ممالك بلاد السودان[2]، خاصة بعد زحف الهلاليين على بلاد المغرب، في القرن (5هـ) السادس عشر الميلادي، وما تبع ذلك من اختناق النشاط التجاري، في مناطقه الشرقية، بسبب الأضرار التي لحقت بالأرياف، والعزلة التي عرفتها المدن، وانعدام الأمن في الطرقات التي تصل بينها، زيادة على ضعف المحور الشرقي الذي كان يربط مصر بمملكة غانة، من بلاد السودان[3]، كل ذلك أدى الى تحول النشاط التجارى تدريجيا، من المدن الداخلية، نحو الساحل، ومن المناطق الشرقية نحو الغربية[4].

وقد كانت مدينة تلمسان نقطة التقاء الطرق التجارية الرئيسية التي تربط المغرب الأدنى بالمغرب الأقصى، من جهة، وتربط بين البحر الأبيض المتوسط وبين الصحراء، من جهة أخرى، مما أهلها للاستفادة من الوضعية الجديدة، فأصبحت مركزا تجاريا هاما بالمنطقة[5].

1) أنظر: COU DRAY : op. cit, P. 230

2) المدن السبعة التي كانت تضرب السكة الذهبية أيام المرابطين هي: سجلماسة وأغمات، ومراكش وتلمسان وفاس وسبتة ونول (وتبعد هذه المدينة الأخيرة عن سوس بثلاثة مراحل) (البكرى، المصدر السابق، ص 161 ـ 162).

3) انظر: ايف لاكوست العلامة ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، ط. بيروت 1978، ص 21.

4) أنظر: Marçais (G): op, cit.p.6.

5) id، دهينة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر في التاريخ مج 3، ص 477.

وكانت القوافل ، منذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين (5 ـ 6 هـ) ، تخرج من تلمسان ، فتتجه غربا نحو فاس ، ومن هناك تأخذ طريقها الى سجلماسة ، في اتجاه بلاد السودان ، فتقطع رحلاتها على ثلاث مراحل كبرى هي :

المرحلة الأولى :

وتنتهي عند حد سجلماسة أو توات أو عين صالح ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق ، وأهم هذه الطرق :

ـ طريق تلمسان ـ سجلماسة :

وينقسم بدوره الى فرعين :

ـ فرع يصل بين تلمسان ووجدة وبينهما ثلاثة مراحل[1] ، ويقطع منطقة أنجاد التي لا تخلو من الأخطار خاصة قطاع الطرق ، ويصل الى تازة ، عبر تاوريرت وجرسيف[2] ، الى فاس[3] التي تفصلها عن تلمسان مسافة عشرة أيام[4] ، ثم يتجه نحو الجنوب حيث يقطع بعض المدن ، ومنها صفرو[5] ، وتادلا ، وأغمات وريكة[6] ،

1) البكري ، المصدر السابق ، ص 87 .
2) انظر : Godinho, op.cit, p.112 .
3) Léon l'Africain, op, cit. T.2., P.326 .
4) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 156 .
5) أو هو صفروي (البكري ، المصدر السابق ، ص 146 ، الادريسي المصدر السابق ، ص 55) .
6) أغمات مدينتان : أغمات ايلان ، وأغمات وريكة ، ويفصل الاثنتين ثمانية أميال ، والمدينة الأولى مخصصة لأهل المنطقة ، والثانية للتجار والغرباء (البكري ، المصدر السابق ، ص 153) ويذكر القلقشندي أنها مدينة واحدة ، كانت قاعدة ملك يوسف بن تاشفين ، قبل بناء مراكش (نفس المصدر ، 5 ، 171) ، يذكر البكري فرعا ثانيا لهذا الطريق ، بين صفروي وأغمات (المصدر السابق ، ص 153) ، لكن المصادر المستخدمة ، في هذا البحث لا تشير الى استخدامه في الفترة الخاصة به (أي بالبحث) .

ودرعة[1]، ثم تقطع الأطلس الكبير، وتسير شرقا حتى تصل الى سجلماسة[2]، عبر حوض وادي درعة وهذا الطريق أطول من الفرع الثاني لكنه أكثر أمنا[3].

- فرع آخر، يربط تلمسان بوجدة، ثم بجبل تامريت، الواقع على مسيرة يومين الى الجنوب من مدينة تلمسان، ثم يقطع وادي غير[4] (الساورة) الى سجلماسة ومدة السفر فيه حوالي خمسة عشر يوما[5]، فهو أقصر من سابقه لكنه أكثر خطرا لذلك يفضل أصحاب القوافل اتّباع الفرع الأول في غالب الأحيان[6].

يلتقي الفرعان، اذا، في سجلماسة وتبلغ المسافة، عموما، بينها وبين عاصمة بني عبد الواد، حوالي عشرة مراحل[7].

- طريق تلمسان - توات :

ويقطع الهضاب الاستبسية، عبر مرتفعات جنوب تلمسان وحوض وادي مقرو ش، الى ممر جبل ترني[8]، عند سفح جبل الناظور، فحوض تافنة في اتجاه سبدو ومن هناك

---

1) منطقة تمتد جنوب الأطلس الصغير على طول 250 ميلا، على الطريق الرابط بين فاس وتمبكتو (Léon l'Africain, op, cit. p. 421 sq)

2) أنظر: Bargès, Mémoire sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan, dans revue de l'orient, Paris 1853, p.7; Lessard, Sidjilmassa, P.15.

3) أنظر: Coudray , op, cit., p.231 .

4) Bargès , op. cit, p. 7 ; id .

5) Bargès, op,cit., p.7 .

6) الادريسي، المصدر السابق، ص 56 .

7) انظر: Dufourcq, L'Espagne Catalane, p. 137 .

8) Lessard, Sidjilmassa, P. 18 .

ينقسم الى :

1) فرع يشق نعامة وتيوت (Tiout) ومغرار المزدوجة (Les deux Maghrar) وغوبرات (Goubirats) وأولاد سيدى عيسى، ثم توات، ويقطع هذا الطريق في مدة أربعة وعشرين يوما[1].

وفرع ثان: يتجه الى سبدو (جنوب تلمسان) ويعبر عسلة وبوسمغون الى تيميمون في تسعة عشر يوما[2].

وفرع ثالث يمر عبر منطقة أولاد سيدى الشيخ لينضم الى طريق القوافل التي تنطلق من جبال قصور وجبال عمور[3]، فتقضي اثنين وعشرين يوما لتصل الى تيميمون، ويخرج من هذا الطريق عدة فروع من بينها.

الطريق الرابط بين وجدة وفقيق (فجيج) وقورارة ثم تيقورارين[4] التي تبعد عنها بحوالي مائة وعشرين ميلا الى الشرق وهي نقطة تجمع القوافل الى بلاد

(1 Coudray :op. cit, p. 230

(2 Ibid,

(3 Ibid.

(4 Léon l'Africain,OP,CIT,2,CARTE

وتيقورارين أو هي تيكورارين، تقع على بعد عشر مراحل قبلة تلمسان وهي عبارة عن مجموعة قصور تقارب المائة (ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص118- 119) (ط. بيروت).

السودان[1] . وتستغرق الرحلة فيه عشرين يوما[2] .

وتنعطف القوافل أحيانا الى الشرق فتتجه من تيميمون الى عين صالح، عبر قصور، وتقطع تلك المسافة في ثمانية وعشرين يوما[3] .

وهناك طريق مباشر،بين تلمسان وعين صالح ،طوله 1280 كلم ،ويقطع في اثني وثلاثين يوما[4]

وبفضل هذه الشبكة من الطرقات ،كان الاتصال بين تلمسان وبين هذه المحطات يوميا تقريبا[5]

المرحلة الثانية :

وتتمثل في قطع الطرق التي تصل كلاً من سجلماسة وتوات وعين صالح بممالك السودان الغربي : فمن سجلماسة تقطع القوافل طريقا يصل الى تغازى ،مدينة الملح ،ويقدر طوله بمسيرة خمسة وعشرين يوما[6]، ثم يصل هذه المدينة بإيوالاتن[7] ، بداية بلاد السودان، وتبعد عنها بخمسة وثلاثين يوما[8] .

---

1) léon l'Africani, Op,Cit,T.2,pp.435-436 .

2) Coudray , Op,Cit , p230 .

3) Ibid .

4) Ibid .

5) Ibid .

6) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 441 فمابعدها .

7) هي الآن في تراب موريطانيا وتدعى ولاتة (بوزياني ،المرجع السابق ،ص 222).

8) ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج 7 ،ص 119 .

وهناك طريق يربط سجلماسة بتلبالت ،الواقعة على بعد ثلاث مراحل جنوبا[1] ، ثم بتغازى،ومنها ينعطف شرقا الى تادمكة ثم ينحدر جنوبا فينتهي في تمبكتو، وتبلغ المسافة ،بين تغازى وتمبكتو،حوالي خمسمائة ميل (ثمانمائة كيلومترا)[2].

وفي القرن (8هـ) الرابع عشر الميلادى ((لما صارت الأعراب ، من بادية السوس، يغيرون على سابلتها (أى الطريق الرابط بين سجلماسة وايوالاتن) ويعترضون رفاقها فتركوا تلك وتهجوا الطريق الى بلاد السودان من أعلى تمنطيت))[3]
وصار الاتصال بين توات وبلاد السودان الغربي يتم عبر عدة طرق :

هناك طريق كان يربط توات بإيوالاتن ، مرورا بتغازى ، التي يتوجه فرع منها الى ايوالاتن وتدوم الرحلة فيه خمسة وثلاثين يوما[4] .

وطريق آخر يمر بتادنى ثم بحروان فايوالاتن.

وطريق ثالث يبدأ في توات ويتجه الى تغازى ،وينتهي في تمبكتو على بعد خمسة وعشرين يوما .

وطريق رابع: تقطع فيه القوافل المسافة مباشرة بين توات وتادمكة (معناها مكة الجديدة)، مرورا بصحراء أدرار ايفوراس.

وطريق خامس: يصل بين توات وبين مدينة تكدة عبر هضبة الهقار التي أصبحت نقطة التقاء القوافل بفضل مراعيها وحقولها وواحاتها[5]

---

1) ابن خلدون،العبر،7، 119.

2) Léon l'Africain;op,cit.,T.2, p. 468.

3) العبر،7، 119.

4) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص441.

5) أنظر: Godinho:op,cit. p. 109.

ومن عين صالح كانت القوافل تسير الى صحراء أدرار ايفوراس ثم الى تادمكة ، وقد اشتهر هذا الطريق ببئر عين زيزة[1] .

وطريق آخر يربط بين عين صالح وتكدة عبر الهقار، حيث يلتقي بالطريق الرابط بينها وبين توات[2].

المرحلة الثالثة :

ويتم قطع طريقها ، داخل بلاد السودان الغربي كما يلي : من إيوالاتن كانت القوافل تسير الى زاغرى (ديورة) ، على بعد عشرة أيام ثم الى نهر النيجر، حيث تقصد بلد كارسخو ،من مملكة مالي[3] ، ومنها الى نهر صنصرة ،الواقع على بعد حوالي عشرة أميال من مدينة مالي (نياني)، وأخيرا تصل الى هذه المدينة الأخيرة التي تبعد على إيوالاتن بمسيرة أربعة وعشرين يوما[4] .

كما كانت القوافل تسير،من ايوالاتن الى غانة،الواقعة على مسيرة خمسة عشر يوما منها ،ثم تتوجه ،من غانة

---

1) أنظر: Léon l'Africain, op.cit,T.2,p. 450.
2) أنظر الخريطة رقم 1 .
3) تقوم،مكان مدينة كارسخو،قرية نكوكورو (بوزياني،المرجع السابق ،ص 222) وكانت كارسخو وزاغرى تمتدان على نهر النيجر وكانتا تابعتين لمملكة مالي (ابن بطوطة، المصدر السابق،ص 442) .
4) نفس المصدر، ص 443 .

مباشرة ،الى مدينة مالي؛ ولهذا الطريق فرع يخرج من غانة الى أود غست ، في الشمال الغربي ،ثم يتجه الى مالي جنوبا[1] ، وهناك طريق يربط مدينة تمبكتو بمدينة مالي[2].

وطريق آخر يربطها بمدينة غا و ثم بكوكيا وبعدها تكدة[3] ومنها تتوجه نحو أغادس ،في الجنوب الشرقي ، وغات في الشمال الشرقي ، وهذه الأخيرة محطة القوافل المتوجهة الى ليبيا ومصر[4] .

أ) وسائل النقل :

قبل بداية الرحلة ،كان لا بد على التجار والمسافرين أن يستعدوا لها ، باختيار وسيلة النقل وتحديد الطريق وتأجير الدليل والتزوّد بالماء والغذاء ،وكانت وسائل النقل تختار حسب نوعية الطريق :

فبين بلدان المغرب الاسلامي : كانت القوافل تنتقل عبر ممرات بسيطة ، اذ لم تكن هناك طرق معبدة ،وفي فصل المطر تجتاز الأدوية بواسطة مجازات[5]، وتضطر القوافل ،أحيانا ، الى تغير الطريق ،وينقل

---

1) ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص443.
2) نفس المصدر، ص 451ـ 452.
3) كان الطريق بين كوكيا وبين تكدة جزءا من الطريق الذى تسلكه القوافل المتوجهة الى غدامس (نفس المصدر،ص 452ـ 453) .
4) انظر خريطة رقم 1 .
5) Brunschvig, la berberie orientale, T.2. p.237; Vanacker (Cl) ; La géographie économique de l'Afrique du Nord, selon les auteurs arabes,du IX siècle au milieu du XII siècle,dans Annales E.S.C; Mai - Juin, 1973, p. 662.

التجار سلعهم على الحمير والبغال والجمال[1]، وتقسم الرحلة بين بلدان المغرب الاسلامي الى مراحل[2].

أما وسيلة النقل التي استعملت بين تلمسان وبلاد السودان فهي الجمل، أقدر الحيوانات على قطع الفلاة[3]، فهو الذي يمكن الطوارق من الوصول الى المناطق العشبية بالأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى[4].

وقد يعود تطور استعمال الجمل الى أهميته كوسيلة نقل، بالاضافة الى كونه يسد كل حاجيات الانسان على وجه التقريب، فهو يتغذى بلحمه، ويروي عطشه من لبن نوقه، ويصنع من وبره الخيام والألبسة ويستطيع الجمل أن يبقى عدة أيام دون ارتواء[5].

ويهتم رجال القافلة باختيار الجمل المناسب للرحلة أي ((الجمل السمين، فالتجربة بينت أن الجمل عندما يحمل أثقالا لمدة خمسة أيام دون أن يأكل، فانه يستهلك شحم سنمه، وبعد خمسة أيام أخرى يستهلك شحم بطنه

---

1) Brunschvig, op,cit., T.2, p. 236 ؛ تستعمل الحمير في المناطق السهلية والقليلة الارتفاع، أما البغال فتستعمل في المناطق المرتفعة والصخرية والجمال في المناطق الصحراوية (ibid)

2) مراحل مفردها مرحلة، والمرحلة المنزلة يرتحل منها وما بين المنزلتين مرحلة (ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، 14، ص 297).

3) زبادية، المرجع السابق، ص 196.

4) زاهر رياض، كشف القارة الافريقية منذ أقدم العصور، ص 66.

5) أنظر: Godinho: op. cit., p. 100.

وبعد خمسة أيام أخرى يستهلك شحم أفخاذه وبعد ذلك لن يقوى على حمل مائة رطل (34 كلغ) ...))[1].

وجمال افريقيا تستطيع حمل المتاع مدة أربعين الى خمسين يوما ، دون الاضطرار الى مدها بالغذاء ، ماعدا ماترعاه من الأعشاب ، بعد رفع الحمولة عنها[2].

د) الرحلة البرية :

قبل الشروع في الرحلة ، يحدد التجار المتنقلون ، بين بلدان المغرب الاسلامي ، طريق رحلتهم ، فيختارون الطريق الأقصر ، والأكثر أمنا ، والذى تتخلله المدن التجارية الهامة .

أما أصحاب القوافل المتوجهة الى بلاد السودان فيحددون الطريق الذى سيتبعونه لمدة شهرين تقريبا[3]، فيختارون المسلك الذى تتخلله بعض المراعي ، وتنتشر على طوله الآبار ، لأن الجمال تتحمل العطش ، ولكن لمدة لا تصل شهرين كما أنها تحتاج الى الغذاء[4].

---

1) Léon l'Africain; op. cit., T.2, p.555.

2) يذكر ليون الافريقي أن الجمل العادي من نوع الهجين يستطيع أن يحمل ألف رطل ايطالي (340 كلغ) (id) ، الا أن Godinho لا يسلم بهذا ، حيث يقول : ((ان التجربة الحديثة تعلمنا ان الجمل يستطيع ان يحمل بين 120 و 150 كلغ ، وحمولة قدرها 300 كلغ تكفي لسحق الجمل تعبا)) (op. cit., p.119).

3) تدوم الرحلة شهرين لأن التجار يتوقفون للراحة ، وللبيع والشراء ، أثناء مرورهم ببعض القرى والأسواق (أنظر : (Lessard; op. cit., p. 14).

4) Godinho; op. cit., pp.113-114.

وقبل بداية الرحلة يتزود المسافرون بالماء ثم يجددونه كلما سنحت الفرصة ، ومن أجل ذلك تستعمل القربة[1] ، وتُلف حولها زربية أو تطلى بالقطران النباتي ، لحماية الماء من التبخر ، بسبب الحرارة المرتفعة في الطرق الصحراوية ((ويخيطون حولها التلاليس خوف الريح[2])) وتشد الى جانبي الراحلة بقطعة حبل[3] .

ولا بد للقافلة من دليل في الصحراء ، حتى تستطيع الاهتداء الى الطريق ، وينجو رجالها من الضياع ويسمي ابن بطوطة الدليل الذى كان يقود الرحلة الى بلاد السودان التكشيف[4] ، وفي الغالب يختار الدليل من الملثمين ، الذين يعرفون مسالك الصحراء الوعرة ، وآبارها النادرة ، وأغلبهم من مسوفة[5] .

ويعتبر الاهتداء الى الطريق من أصعب الأمور التي تواجه المسافرين في الصحراء ((فبلاد الهكار ... كثيرة الحجارة ، طريقها وعر ...))[6] ، كما تغطي الرمال المتنقلة جزءا كبيرا من سطح الصحراء ، فلا يثبت بها طريق ، بل كلما تهب الريح ، تنقل الرمال في اتجاهها .

---

1) القربة هي وعاء يصنع من جلد الماعز في الغالب ، وأحيانا من جلد الغنم ، فتحاط جميع الفتحات باحكام ، ماعدا فتحة الرقبة ، وتملأ بالماء من فتحة لها وتستعمل للتفريغ (أنظر Godinho: op.cit, p. 114 ؛ وتسمى أيضا أسقية (ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441) .

2) نفسه .

3) نفسه .

4) نفسه .

5) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441 ؛ Léon l'Africain:op.cit, T.2,p.463,note14.

6) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 445 .

وامتداد أطراف الصحراء الواسعة يزيد من صعوبة السير في الاتجاه المرغوب فيه، لهذا يعتمد الدليل المحنك على الاهتداء بالشمس أو النجوم[1].

وقد كان الدليل يكترى بأثمان مرتفعة، فابن بطوطة وأصحابه، أكتروا ((التكشيف)) في رحلتهم من تغنشازي التي ايوالاتن، بمائة مثقال من الذهب[2]. وهو ما يدل، ولا شك، على مدى أهمية الدليل في هذه المناطق، وفي بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) كان ملوك تمبكتو يدفعون لرسلهم الى سجلماسة حوالي ((خمسمائة دوكا))[3] (مايعادل حوالي 7300 مثقال من الذهب).

وينضم التجار الى بعضهم، فيكونون قافلة يخضع أفرادها لرئيس تكون له عليهم سلطة مطلقة، ولا يمكن لأحد من المسافرين أن يبتعد عن القافلة، خاصة في الصحراء، واذا فعل تاه وكان الموت نهايته[4].

---

1) يذكر ابن بطوطة أن الدليل الذي كان يقود قافلتهم ((أعور العين الواحدة مريض الثانية)) ويضيف بأنه ((أعرف الناس بالطريق)) (المصدر السابق، ص442)، لكنه لا يوضح كيف كان يهتدي الى الطريق، ويرى Godinho أن هذا الدليل كان له مساعد يذكر له احوال الطريق فيتبعها ومن ورائه القافلة (op. cit, p. 115) وربما كان هذا الدليل يستعمل طريقة اقتفاء الأثر.

2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 442.

3) هذا المبلغ هو ثمن الرحلة ذهابا وأيابا (أنظر: Léon l'Africain: op, cit., PP. 556 - 557).

4) زاهر رياض، المرجع السابق، ص66؛ Godinho: op.cit, p. 117.

وعلى رجال القافلة واجب المساعدة المتبادلة ،فاذا ماتت دابة أحدهم ،فانه يركب مع أحد رفاقه ويفرق متاعه على بعضهم ،كما يسقي بعضهم البعض عند الضرورة[1] .

وقبل المسير تحمّل الجمال بالأثقال ،وذلك بلمس الحيوان في ركبتيه وعنقه بعصا ، فيسقط على الأرض، وعندما يشعر أن الحمولة التي وضعت فوقه كافية ينهض[2] .

وتستغرق عملية وضع الأمتعة ،فوق الجمال المتوجهة الى بلاد السودان ،ساعتين أوثلاثا لأنها عملية صعبة ، فالجمال تقاوم ،وغالبا ماتلقي بحمولتها على الأرض ،ومع مرور الأيام تصبح هذه العملية أسهل وتتم في وقت أقصر[3].

ويستخدم الطبل للاعلام عن بدء الرحيل ،وربما كان عدد الرجال كبيرا لذلك استعمل الطبل لجمعهم[4] ، وتسير القافلة بعد صلاة العصر، بين الساعتين الثالثة والرابعة ،وتقضي جزءا كبيرا من الليل في السير ، ثم تتوقف لتأخذ قسطا من الراحة ،وعند طلوع الفجر تستأنف سفرها حتى ترتفع درجة الحرارة ، فتتوقف مرة أخرى،

---

1) ابن بطوطة المصدر السابق ،ص 453 .

2) Léon l'Africain; op.cit, T.2., p. 556.

3) Godinho; op.cit, p; 114.

4) المقرى ،المصدر السابق ،7 ،ص 130 .

وتنزل الأثقال عن الجمال ، وتنصب الخيام الى أن تنخفض درجة الحرارة ، فتستأنف القافلة رحلتها مرة أخرى ،وفي بعض الأحيان تقضي الليل كله في السير[1] .

ويتراوح متوسط سرعة القافلة في الصحراء بين ثلاثة وأربعة كيلومترات في الساعة الواحدة ،وتقطع القافلة مابين خمسة وثلاثين ، وأربعين كيلومترا ، بمعدل عشر ساعات في اليوم ، واذا أراد رجال القافلة زيادة السرعة فانهم يستطيعون أن يقطعوا خمسة كيلومترات في الساعة وهكذا تقطع القافلة خمسين كيلومترا في اليوم ،ولا يمكنها أن تتجاوز هذه السرعة ،لأن الجمل لا يستطيع أن يتحمل سرعة كبيرة لمدة طويلة ،وكذلك الأمر بالنسبة للرجال الذين يسايرون القافلة مشيا على الأقدام[2] .

ويختفل التجار على تمييز قافلتهم التجارية ، عن القوافل الأخرى ، فيرفعون راية أمامها .

ويتعرض التجار، أثناء رحلاتهم ،لعدة أخطار منها :

<u>ندرة الماء</u> :

فالمسافر الى بلاد السودان يتعرض الى العطش، لذا فهو يختار الطريق الذى يتوفر فيه الماء على مسافات متقاربة ،أى على بعد كل يومين أو ثلاثة[3] ،لأنه من النادر العثور عليه كل يوم وربما لا يعثر عليه الابعد أسبوع أو اسبوعين[4] .

1) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 442؛ Lessard (J.M.): op.cit, p. 14.

2) Godinho: op.cit, pp. 113-114.

3) ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 455 .

4) Godinho: op.cit, p. 114.

ويسجل ليون الافريقي قلته في بعض المناطق، خاصة بين ايوالاتن وتمبكتو حيث لا يوجد الا بعد مائة أو مائتي ميل، وكذلك على طول الطريق الرابط بين سجلماسة وتمبكتو حيث لا يعثر عليه طيلة مائتي ميل[1].

فالخطر الرئيسي والطبيعي، اذا، يتمثل في هذه الظاهرة، لأن مناخ الصحراء حار، والمدى الحراري اليومي فيها كبير، وماؤها قليل، فالمسافر يقطع عشرات الكيلومترات دون أن يعثر على بئر، أو عين ماء، أو مجرى، فيستبد به العطش الى أن يهلك أحيانا. وقد وصف ابن بطوطة، أثناء رحلته من تغازى الى ايوالاتن، حدثا من هذا النوع فقال: ((ولقد لقينا قافلة في طريقنا، فأخبرونا أن بعض الرجال انقطعوا عنهم، فوجدنا أحدهم ميّتا تحت شجرة ... وعليه ثيابه، وفي يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه))[2].

وقد حاول المسافرون ايجاد حلول لهذا المشكل، فراحوا يتكيفون مع الظروف الطبيعية التي كانت تختلف

---

1) Léon l'Africain, op. cit, T.2. p, 556.

2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 442.

من منطقة لأخرى، مستغلين في ذلك كل الوسائل بدءا بتخزين ماء المطر، في الأماكن التي يتوفر فيها[1].

ويعتبر الاعتماد على مثل هذا الماء مغامرة، لأن توفره يبقى رهن الصدف، فالمطر في الصحراء لا ينزل بانتظام، وكمياته متذبذبة، وسرعان ما يتبخر لشدة الحرارة، وغياب الصدفة الحسنة يتسبب في هلاك رجال القافلة[2].

ويلجأ المسافرون أحيانا الى شراء الماء[3]، وإذا تعذر الحصول عليه، لجأوا الى بقر بطون الحيوانات مثل الجمال، والبقر الوحشي، لشرب ما أكتنزه من ماء[4].

أما الآبار والاحساء[5] التي تزودهم بما يحتاجون اليه من ماء، فغالبا ما توجد عند مفترق الطرق ومنها التي توجد في المدن.

---

1) في الطريق الرابط بين إيوالاتن ومالي، كانت تنمو أشجار ذات جذوع ضخمة، يستنقع فيها ماء المطر، فتصبح كأنها بئر، ويشرب الناس من ذلك الماء (ابن بطوطة المصدر السابق، ص 441).

2) Godinho: op. cit, p. 115.

3) يقوم ببيع الماء رجال من مسوفة (ابن بطوطة، المصدر السابق، ص441.)

4) هذا النوع من البقر اذا قتلت الواحدة منه، وجد في بطونها الماء ((ولقد كان أهل مسوفة يعصرون الكرش ويشربون الماء الذى فيه (ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 442).

5) نفسه، والاحساء مفرده الحسي، حفيرة قريبة القعر، قيل انه لا يكون الا في أرض أسفلها حجارة، وفوقها رمل، فاذا أمطرت نشفه الرمل فاذا انتهى الى الحجارة أمسكته (ابن منظور، لسان العرب، مجلد 9، ج 18، ص193).

الرياح والعواصف:

تؤثر الرياح الشارية الجافة ، والعواصف الرملية الفجائية كثيرا على القافلة وتلحق بها أضرارا جسيمة، انها من أكبر أعداء القوافل الصحراوية ،فهي تحمل ذرات الرمال الدقيقة ، وتدفع بها الى كل أجزاء جسم الانسان فتصيبه كالسكاكين الحادة،ويكون ألمها مريعا ، واذا تراكمت ذرات الرمال حول الواقف قبرته في بضع دقائق ولذا لا بد من سرعة الحركة أثناء هبوب العاصفة[1].

الضياع:

ومن الأخطار المألوفة في هذه المنطقة أيضا ، الضياع، فلا تظهر بها الطرق ولا آثارها ، وسطحها عبارة عن رمال تنقلها الريح فتصنع منها كثبانا في مكان ثم تنقلها إلى آخر[2] . والنتيجة الحتمية للضياع هو الموت ،وقد لجأ التجار الى المحافظة على وحدة القافلة لتفادي هذا الخطر، وذلك بوصل ذيل الجمل الأول برأس الجمل الثاني بحبل ، ولا بد أن يكون الجمل الأول قد درب قبل ذلك[1] .

---

1) زاهر رياض ،المرجع السابق ، ص 66 .
2) نفسه.
3) زاهر رياض،المرجع السابق ،ص 66.

وقد كان الخوف من الضياع يستبد بنفوس المسافرين عبر الصحراء الى حد جعلهم يلقون مسؤولية ذلك على الشياطين، وهو ما عبر عنه ابن بطوطة بقوله: ((وتلك الصحراء كثيرة الشياطين، فان كان التكشيف منفردا، لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك ...))[1] .

قطاع الطرق:

زيادة عن الأخطار الطبيعية، هناك أخطار أخرى، تتمثل في تعرض رجال القافلة التجارية لما يقنات قطاع الطرق في مناطق مختلفة، شمال وجنوب البلاد، ففي الطريق الرابط بين تلمسان وفاس، وفي أنجاد يوجد لصوص، أغلبهم من الأعراب[2]، ينشطون خاصة في فصل الشتاء منتهزين، في ذلك، فرصة رحيل القبائل المكلفة بحراسة الطريق الى الجنوب[3] . ويصف العبدرى المفازة الواقعة جنوب غرب تلمسان، بأنها ((من أضر بقاع الأرض على المسافرين لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله واشدهم اذاية))[4] كما كانت بعض القبائل الرحل

---

1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 441.

2) Léon l'Africain:op,cit, T.2. p. 324.

3) لقد كان ملوك بني عبد الواد يدفعون أموالا ويقدمون هدايا كثيرة للقبائل العربية المنتشرة حول طرق القوافل المتوجهة الى الغرب والجنوب حتى تحرسها، ومع ذلك، فان الأعراب كثيرا ماكانوا يغيرون على التجار(op,cit,T.2 , p. 324 et 336)

4) العبدرى البلنسي، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، ص 8 - 9 .

تنتشر حول الطريق التجاري في المنطقة الممتدة بين جبال الأطلس الصحراوي وبين بلاد السودان ، لتأخذ ماتحتاجه من القافلة ، فقد أعترض قافلة ابن بطوطة في ((بلاد شكار... طائفة من البربر ملثمون...))[1] فقراء ، لم يسمحوا لأصحابه بالمرور الا بعدما غرموا لهم ((أثوابا وسواها))[2].

أمن القافلة :

كانت القافلة تحافظ على أمنها ، بالاعتماد على عدة وسائل منها :

لقد قامت الدولة الزيانية ، عندما كانت في أوج قوتها ، ببناء أبراج للمراقبة في النقاط الاستراتيجية ، من الطرق الشمالية ، كما كانت تدفع مبالغا من المال ، للقبائل المنتشرة حول الطرق حتى تحرسها وتضمن الحماية الضرورية للتجار[3] ، ولما ضعفت الدولة فقد الأمن ، في ربوعها ، حتى أن ليون الافريقي يسجل ، في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، ((أنه من النادرا يجاد بعض الطرق المضمونة في هذا البلد))[4] .

---

1) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 445 ؛ Godinho: op, cit. p. 17 ؛
ولقد انتشرت الأعراب في الطريق الرابط بين تلمسان وسجلماسة وكانوا يعترضون سبيل النواقل التجارية أيام ابن خلدون (أنظر : العبر ، 7 ، ص 119) ، (ط. بيروت) .

2) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 445 .

3) Léon l'Africain, op, cit, T.2., p. 326 .

4) op, cit, T.2, p. 324 .

كما عملت بعض ممالك بلاد السودان، مثل مالي على توفير الأمن الذي استمر طيلة القرن الرابع عشر الميلادي، وقد لفت ذلك نظر ابن بطوطة، فتحدث عن ((شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم، سارقا أو غاصبا[1])) ، ولم يكن الاعتماد على الدولة كافيا، بل كان لا بد من اللجوء الى وسائل أخرى، أهمها :

الدفاع عن النفس: إذ كان بعض التجار يحملون السلاح، لاستخدامه عند التعرض للاعتداءات و يستعين البعض بحراس مسلحين من بعض قبائل البدو[2] ، وأحيانا يلجؤون الى استعمال عدد كبير من العبيد ، لهذا الغرض، في طرق بلاد السودان[3] كما يتجمع التجار في قوافل، للتعاون في الدفاع[4].

كما كان التجار يتقون شر اللصوص الذين كانوا ينتشرون في أغلب الطرق، بدفع إتاوة مرور وحماية، لشيوخ القبائل التي يجتازون مواطنها، وكانت تقدر في القرن السادس عشر الميلادي

---

1) المصدر السابق، ص 450 .

2) Godinho; op, cit, p. 117.

3) Léon l'Africain; op, cit., T.2, p.473.

4) Brunschvig; La berberie, T.2. p.237.

بـ ((قطعة قماش قيمتها دوكا [1] واحد على حمولة جمل تقريبا)) [2] .

استعمال الحيلة :

وكان التجار يلجؤون أيضا الى الحيلة ، لتخليص أنفسهم والنجاة بأموالهم ،كما فعل أربعة منهم أثناء عودتهم من فاس الى تلمسان سنة 870هـ / 1465م ، بعد أن باعوا سلعهم فكروا في حيلة انطلت على اللصوص،اذ تظاهروا بأنهم مصابين بالجذام [3] ،وأنهم يجولون بحميرهم عليها زادهم وأثاثهم ،فكانوا اذا اجتازوا على العرب ،ورأوهم على تلك الحال ،هربوا فارين منهم وابتعدوا ،عنهم خشية العدوى [4] .

وأخيرا كان التجار يختارون الدليل الذى يستطيع أن يلعب دورا كبيرا في حماية قافلتهم ،أولا،من رجال قبيلة

---

1) دوكا : Ducat ، عملة ذهبية أخذ اسمها من الشعار الذى كان بها عندما queni tu regis, iste ducatus, اخترعت بصقلية في القرن الثاني عشر الميلادي ،وقد ضربت منها انواع متعددة في مختلف الدول sit tibi, christe, datus الأوربية (Dezobry et Bachelet, Dictionnaire de Biographie et d'histoire, p. 899).

2) Godinho, op, cit, p.117; Léon l'Africain, op, cit, T.2., p.473.

3) الجذم : القطع وسرعة القطع ،والأجذام : المقطوع اليد ،والجذام من الداء معروف لتجذم الأصابع وتقطعها ،ورجل اجذم ومجذوم ، نزل به الجذام (ابن منظور لسان العرب، مجلد 7 ،ج 14،ص 353ـ 354) .

4) Brunschvig , Deux recits de Voyage inédits, pp. 58 - 59.

وثانيا،من رجال القبائل المتخالفة معها[1] .

ثانيا : النقل البحري :

أ) الموانيء :

تبعد تلمسان ،عاصمة الدولة الزيانية ،عن ساحل البحر الأبيض المتوسط بحوالي خمسين كيلومترا ،فقد كانت تمارس تجارتها البحرية عن طريق موانئها الواقعة بين نهر ملوية غربا وبجاية شرقا ،وأهمها :

هُنين :

يبعد ميناء هنين عن تلمسان حوالي اثنتي عشر مرحلة[2]، وهو حصن قديم ، تحول الى ميناء صغير ،يمون مدينة ندرومة ، ثم أصبح في القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) مدينة ذات أسواق مزدهرة [3] ،وأصبح ميناؤها مركزا لصناعة السفن[4] ، عملت السلطات آنذاك على تحصينه وتحصين المدينة ، خوفا من هجمات القراصنة[5].

وكان الميناء واسعا يصل عرض مرساه الى ثمانية أمتار

---

1) Godinho; op, cit, p. 116.

2) الادريسي ،المصدر السابق ،ص 111ـ 112 ؛ البكري ،المصدر السابق ،ص80 ؛ وهي حوالي 54 كلم (Léon l'Africain ; op, cit. , p. 329)

3) الادريسي ،نفسه؛البكري ،نفسه؛ عن وصف المدينة أنظر: Léon l'Africain:id .

4) Marçais (G.) : Honain, Recherches d'archéologie musulmane, Revue Africaine, 4ème trimestre 1928, Alger 1928, p. 334.

5) Marçais (G.) : Les villes de la Côte Algérienne et la piraterie au moyen âge, dans A.I.E.O.T. 13, p. 137.

ونصف، فيستقبل السفن الصغيرة والكبيرة، من شبه جزيرة إيبيريا، اذ لا يفصله عن المرية إلاّ مسافة يومين، وبعد استيلاء الاسبان على وهران سنة 1509 م تحول البناء دقة الى ميناء هنين الذي أصبح المموّن الرئيسي للعاصمة الزيانية[1]، وعندما استولى عليه الاسبان سنة 1533 م حطموه وحطموا مدينته[2].

وهران والمرسى الكبير:

يقع ميناء وهران عند تقاطع دائرة عرض 35 درجة و 42 دقيقة و 53 ثانية، شمالا، بخط طول: درجتين و 58 دقيقة و 53 ثانية، غربا، في خليج، عرضه ثمانية وعشرين كيلومترا وخمسين مترا[3]، عند السفح الشرقي للسلسلة الجبلية الساحلية التي تطل عليه. وقد أسس جماعة من التجار الأندلسيين نواة مدينة وهران[4] سنة 290هـ/ 903م، لممارسة التجارة مع تلمسان[5] لكن ميناءها، لم يشهد

---

1) عند ما سقطت وهران في يد الاسبان، خرج سكان هنين من المدينة خوفا من هجمات الأعداء وبقيت السفن تأتي الى الميناء فقد شاهد ليون الافريقي، في بداية القرن السادس عشر الميلادي، باخرة جنوية محملة ببضائع تكفي تلمسان مدة خمس سنوات، كما قال، والتقى بكاتب الملك (Secrétaire du Roi) فأطلعه على حصيلة الرسوم التي بلغت خمسة عشر ألف دوكا ذهبية (op. cit, T.2, p. 330)

2) Pelliassier: Mémoire Historique, p. 404

3) Offrey (R.); Oran Merselkebir, Bourg, 1938, p.35; Fey (Henri-Léon); Histoire d'Oran, p. 29.

4) لقد تم استقرار محمد بن عون وأتباعه، بعد اتفاق تم بينهم وبين نفزة ((وبني مسقن وهم من أزداجة ... فاستوطنوها سبعة أعوام)) عن هذا الموضوع أنظر: البكري، المصدر السابق، ص، 70 فما بعدها.

5) Offrey; op, cit., p.9; Dufourcq; l'Espagne Catalane, p. 134.

تطورا كبيرا لأنه لم يكن محميا من الرياح[1] ، مما جعلها تعتمد على المرسى الكبير،الواقع على بعد ميلين منها[2] ويتكامل الميناءان ؛ فالأول يتوفر على المياه[3] التي يحتاجها المسافرون ،وهي مفقودة في المرسى الكبير ، وهذا الأخير يوفر أهم ما تتطلبه عملية إرساء السفن ، خاصة الكبيرة ، من مكان وحماية للارساء[4] ، وكان البحارة ،اذا اضطربت الأحوال الجوية ، ينزلون سلعهم في المرسى الكبير،وينقلونها بواسطة زوارق صغيرة الى ميناء وهران حيث تؤخذ الى اسواق ومخازن المدينة ، فكثرت السلع بأسواقها وازدهرت تجارتها[5] وكان ميناء المرسى الكبير محطة لسفن جنوة وبيزا ومرسيليا ،ومنذ القرن (7هـ) (الثالث عشر الميلادى) أقبلت عليه سفن برشلونة[6] ، ويشهد ليون الافريقي بأنه لا يوجد ميناء يضاهيه في العالم كله، اذ تستطيع مئات السفن الاحتماء فيه من العواصف[7] وبفضل الميناءين ، أصبحت مدينة وهران مركز تبادل تجارى

---

1) الادريسي ،المصدر السابق ،ص57 ؛ البكرى ،المصدر السابق ،ص70 ؛ Léon l'Africain ; op. cit, T.2, p. 342.

2) الادريسي ،المصدر السابق ،ص 57.

3) البكرى ،نفس المصدر ،ص 70 .

4) Marçais (G.) ; Les villes de la Côte Algérienne, p. 132 ; Léon l'Africain; op. cit., T.2., p. 342.

5) الادريسي ،نفس المصدر ،البكرى ، نفس المصدر ،ص70 .

6) Dufourcq ; op. cit., p. 134.

7) Léon l'Africain; op.cit.,T.2,p.342.

هـام بين تلمسان ومدن شمال البحر الأبيض المتوسط[1]، وبقيت كذلك الى آخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس الميلاديين، حيث بدأ الاسبان يهاجمونها، ثم احتلوها[2].

ومن الموانئ الأخرى التي كانت تستقبل السفن التجارية على أرض الدولة الزيانية، لكن لا توجد بشأنها معلومات كافية لابراز دورها آنذاك :

مستغانم: أسسها الموحدون[3]، قرب مصب نهر الشلف[4]، وكانت سفن الأوربيين وخاصة الايطاليين، تتوقف في مينائها الصغير الذي كان يشتهر بتجارة الصوف[5].

أرزاو (أو أرزيو)، وتقع بين وهران ومستغانم، على بعد سبعة كيلومتر، شرق مدينة أرزيو الحالية[6]، وكانت تصدر الحبوب الى كثير من البلدان[7].

تنس: كانت مدينة تنس حصنا على البحر، ينزل به

---

1) Offrey ; op. cit., p. 9 ; Fey ; Oran , p. 50.

2) Léon l'Africain; op.cit, T.2., p. 329.

3) Pellissier; op.cit., pp. 402 - 403.

4) البكري، المصدر السابق، ص 69؛ Léon l'Africain; op. cit, T.2.p. 343.

5) انظر: مابعد، ص 167 و ص 192.

6) Marçais (G.) ; E.I. Art, Arzaw, T.2, p. 700; Nllc édit.

7) الادريسي، المصدر السابق، ص 71 ــ 72.

البحارة الأندلسيون الذين أسسوا المدينة على بعد ميلين من البحر[1] ، وهي تبعد عن وهران بحوالي 204 ميلا[2] ، وكان ميناؤها يستقبل السفن المغربية والأندلسية والأوربية[3]، فازدهرت بها التجارة وتطورت المدينة[4].

<u>برشك</u> : تقع هذه المدينة على بعد ستة وثلاثين ميلا من تنس، وبها ميناء برشك الذي يستقبل ،في بعض الأحيان،سفنا من أوربا[5]، وفي الغالب كان أهله ينتقلون منه، بسلعهم وأهمها التين والكتان ،الى موانيء الجزائر وبجاية وتونس فيحصلون على أرباح معتبرة[6] .

<u>شرشال</u> : مدينة كبيرة وقديمة[7] ، تبعد عن الجزائر بحوالي سبعين ميلا[8] ، استقر بها كثير من الأندلسيين ،خاصة بعد سقوط غرناطة (1492م) وطوّروا بها صناعة الحرير الطبيعي[9]. ولها ميناء يتوفر على الماء[10] .

---

1) البكري، المصدر السابق، ص 81.
2) الادريسي ، المصدر السابق، ص 57.
3) نفسه، ص 57 – 58.
4) Marçais (G.) ; Les villes de la côte algérienne , p. 130.
5) الادريسي ،المصدر السابق ،ص57، وهي فورايا حاليا (انظر: Marçais (G.) ; op, cit, p. 139).
6) Léon l'Africain ; op, cit, T.2, p.344.
7) Id.
8) الادريسي ،المصدر السابق ،ص 71–72.
9) Léon l'Africain ;op.cit, T.2. p.345.
10) البكر،المصدر السابق،ص 81.

الجزائر: وهي جزائر بني مزغنة [1]، تشرف على سهل متيجة الغني بالقمح من النوع الجيد [2]، ولها مرسى مأمون، يتوفر على الماء، وتأتيه السفن ((من افريقية والأندلس وغيرها ...))[3].

ب) الطرق البحرية :

ترتبط امارة تلمسان بغيرها من البلدان التي كانت تتعامل معها تجاريا، بطرق بحرية، نظرا لوقوعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وأهم الخطوط البحرية التي كانت تصل هذه الامارة بغيرها :

1) الخط البحرى بين امارة تلمسان وبقية المدن الساحلية بالمغرب الاسلامي : ويتمثل في خط الاتصال الذى كان موجودا بين موانيء بلاد المغرب الاسلامي، ذلك أن المغاربة كانوا ينقلون سلعهم عبر خط بحري، يربط موانيء كل من طرابلس وقابس وصفاقس والمهدية وسوسة وتونس وبنزرت والقالة وعنابة وسكيكدة وبجاية والجزائر وشرشال وتنس ووهران وهنين وسبتة و طنجة وأصيلا والحريش وسلا والرباط وأنفا ومالقة والمرية[4]

1) الادريسي، المصدر السابق، ص 61ـ 62؛ البكرى، المصدر السابق، ص 66.
2) Léon l'Africain; op. cit, T.2., p. 348.
3) الادريسي، المصدر السابق، ص61ـ 62.
4) الادريسي، المصدر السابق، ص56 فما بعدها؛ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص656 فما بعدها؛ Brunschvig ; La berberie Orientale , T.2 , p. 238.

وكان أصحاب السفن يمارسون التبادل التجاري عند وصولهم الى موانئ الدولة الزيانية (أي الجزائر وشرشال وتنس ووهران وهنين) كما كانت ، ولا شك ، لسكان تلك النواحي ، سفن يرحلون بها ، كغيرهم ، لممارسة النشاط التجاري .

2) الخطوط البحرية بين امارة تلمسان وجمهوريات جنوب غرب أوروبا :

ظهرت خطوط بحرية ، منذ القرن (6 هـ) الثاني عشر الميلادي تربط موانئ جمهوريات ايطاليا ، خاصة جنوة والبندقية ، بموانئ المشرق والمغرب الاسلاميين ومنها :

خط جنوة بلاد المغرب: ويخرج من جنوة ليحاذي سواحل جنوب أوروبا الغربية الى مرسيليا[1] ، ثم برشلونة فبلنسية فقطالونية[2] ومن هناك تتجه إما شرقا الى جزيرة ميورقة فمباشرة الى موانئ امارة تلمسان وإما جنوبا ، عن طريق مضيق جبل طارق ، ثم تحاذي سواحل بلاد المغرب الاسلامي الشمالية حيث كانت السفن تتوقف ، لغرض التبادل التجاري[3] .

---

1) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 184 ؛ Pernoud (Régine); Histoire du Commerce de Marseille, le moyen âge, jusqu'à 1291, Paris 1949, p. 193.

2) نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص 182 .

3) ولجنوة فرع آخر من هذا الطريق ، يخرج من مينائها ويذهب مباشرة الى تونس فيحاذي سواحلها الشرقية ويمر بالأسكندرية ويصعد شمالا فيمر بموانئ بلاد الشام (نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق، ص 182) .

خط البندقية بلاد المغرب:

وينطلق من البندقية ، فيتوجه الى الاسكندرية[1] ثم يمر بالموانيء المغربية[2] ، ويصل الى المرية بالأندلس، وكانت السفن، أثناء رحلتها الطويلة ، تتوقف في موانيء طرابلس وتونس وبجاية ووهران ، وتقوم بعملية التبادل التجاري فيها .

الخط المباشر: جنوب ايطاليا ـ المغرب الأوسط:

وكانت سفن ايطاليا الجنوبية ، تتوجه ، في بعض الأحيان ، مباشرة الى موانيء المغرب الأوسط ، فتقطع المسافة بين سردانية وبين تنس، في مدة عشرة أيام ، تقريبا ، ثم تقصد مازونة فمستغانم ، ومنها ينتقل التجار بسلعهم الى مدينة تلمسان[3] .

خط فلورنسا ـ بلاد المغرب:

منذ عام 1458م، كانت تخرج ، سنويا ، سفينتان ، من ميناء فلورنسا :(بورتوبيزانو)[4] الى السواحل الشمالية لبلاد المغرب مرورا بجنوة ، وتتوجهان على التوالي الى موانيء : تونس

---

1) المرجع السابق ، ص 179 .

2) Brunschvig, La Berberie Orientale, T.2. pp.268-269 .

3) اتبع هذا الطريق الجفن الذى كان يركبه ابن بطوطة عندما كان عائدا من مصر في طريقه الى المغرب الأقصى ، (المصدر السابق ، 656ـ 657) .

4) على إثر موت أدفونش الخامس، ملك أراغونة وصقلية ونابلي ، وبعد تولي أخيه فرديناند الأول ، يوم 27 جوان 1458 م ، قرر المجلس الأعلى لكومونة فلورنسا اعادة تنشيط الملاحة رسميا مع سواحل بلاد المغرب ، (Brunschvig ; op. cit., T.2. p. 265).

وعنابة والقل وبجاية، وتواصلان طريقهما غربا فتمران بموانئ المغرب الأوسط ومنها: وهران وهنين فموانئ المغرب الأقصى وبعدها الأندلس، ثم تعودان من حيث أتتا[1].

خط برشلونة – بلاد المغرب:

وكان يربط برشلونة[2] ببلنسية، ثم جزيرة ميورقة، ملتقى خطوط الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومن هناك يتجه شمالا الى مدن جنوب فرنسا، أو جنوبا الى موانئ بلاد المغرب، ثم تواصل السفن طريقها الى جنوب ايطاليا واليونان فالاسكندرية[3].

وكانت سفن المسيحيين تستطيع الارساء، بكل حرية، في موانئ بلاد المغرب، وكان يمكن للتجار أن يتزودوا، فيها، بكل ما أرادوا من المواد الغذائية والماء ومتطلبات الابحار، كما كان بامكانهم اللجوء اليها والاحتماء بها، أثناء تعرضهم لخطر العواصف[4].

---

1) Brunschvig : op. cit, T.2., p.265

2) كانت برشلونة ملتقى الطرق البحرية بين كل من ايطاليا وفرنسا واسبانيا وكانت مركزا تجاريا هاما في تلك المنطقة بفضل موقعها الجغرافي ومينائها المحصن وأحواضه المستعملة لبناء وترميم السفن، وكان يحتوي على مخازن واسعة للسلع المستوردة ؛ (Pernoud (Régine) Les villes marchandes au XIV et XV siècle, Paris, 1948, pp. 41 – 42).

3) Pernoud (Régine) ; op. cit, p. 42.

4) انظر: المعاهدة التي تمت بين أبي حمو موسى، الأمير الزياني، والملك بطرس الرابع ملك أراغونة، في الملحق 3؛ Maslatrie ; Traités de Paix, T.1., p. 185.

ج) وسائل النقل البحري:

بدأت صناعة السفن عند المغاربة تضعف منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بعد رحيل الفاطميين الى مصر، واستمر ذلك الضعف رغم المجهودات التي بذلها الموحدون لاحيائها من جديد[1]، واضطرت الامارات التي قامت على انقاض الدولة الموحدية الى الاعتماد بدرجة كبيرة، في مواصلاتها وتجارتها البحرية، على الأوربيين المسيحيين[2]، الذين أخذوا يتفوقون في هذا المجال على المسلمين عموما، ومن بينهم المغاربة، ذلك أن جمهوريات ومدن جنوب غرب أوروبا، وعلى رأسها الجمهوريات الايطالية، أخذت تهتم بصناعة السفن التجارية وكونت الملاحين ونظمت الرحلات البحرية في شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط ابتداء من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)؛ فقد أدركت تلك الجمهوريات ان تطور الملاحة هو أساس ازدهار النشاط التجاري بها، فزادت في طول وعرض سفنها وعدد أشرعتها لتزيد من حمولتها، وتضمن الراحة للركاب، وكان تطور الملاحة أهم عامل لنمو بعض الجمهوريات والمدن الأوروبية مثل: البندقية وجنوة وبيزا وبرشلونة.

ومن ثم ظهرت، في البحر الأبيض المتوسط، أنواع عديدة من السفن، منها الصغيرة التي استعملت في نقل البضائع بين

---

(1) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969، ص 200 فما بعدها.

(2) Brunschvig, la Berberie Orientale, T.2., p. 97.

موانيء الدولة الواحدة ،ومنها الكبيرة التي استعملت لقطع المسافات الطويلة ، ولم يختلف المغاربة عموما عن غيرهم في هذا المجال[1] ، وقد استخدمت في تلك الفترة المراكب ذات المجاذيف وذات الأشرعة القطنية أو الكتانية[2].

ومن أنواع السفن التي استعملها التلمسانيون : البطسة: وهي متعددة السطوح ، والأشرعة ،تستعمل عادة لنقل البضائع[3] ، وكانوا يستخدمون هذا النوع من السفن للتنقل بين امارات المغرب الاسلامي[4].

كما استخدموا ، كغيرهم من المغاربة والأوروبيين آنذاك، الجفنة[5]، وهي مستديرة تشبه القصعة ،وتستخدم في نقل

---

1) أنظر: السيد عبد العزيز سالم .وأحمد مختار العبادى ،المرجع السابق ،ص200 فمابعدها.

2) أنظر : نجاة باشا ،التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع حتي القرن الثامن ، تونس، 1976،ص 100.

3) البطسة وجمعها بطس،ويسميها الأوروبيون naves , navis , nef , nefau، وتستعمل أحيانا في المعارك البحرية (عادل زيتون،العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دمشق ،1400هـ/ 1980م،ص56) .

4) في سنة 1315م ، ابحرت مجموعة من التجار التلمسانيين والبجائيين والتونسيين في بطسة تلمسانية ،كانت تقوم برحلة عبر موانيء المملكة الزيانية (Dufourcq ; Commerce du Maghreb médiéval avec l'Europe chrétienne et marine musulmane : données connues et problèmes en suspens (communication au Congrés d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, Tunis, Décembre 1974): Actes du Congrés."Série histoire n°1", Tome 1, Tunis 1979, pp. 181, 182; Dhina, les Etats de l'Occident Musulman, p.360).

5) أطلق عليها الأوروبيون اسما بنفس المعنى، Round Ships ; naves rondes (عادل زيتون ،المرجع السابق ،ص56) .

الشحنات الثقيلة ، وتعتمد على الشراع[1]، وقد تطورت صناعتها في أواخر العصور الوسطى حتى ظهرت في أشكال متنوعة وأحجام مختلفة[2].

واستعمل الأوروبيون والمغاربة[3] ومنهم التلمسانيون، الشونية أو الشيني وجمعها شواني[4]، وهي مستطيلة الشكل وتتكون من عدة طوابق كالقلعة[5]، مجهزة بشراعين أو ثلاثة ،وتستخدم المجاذيف في حالة سكون الرياح[6].

وقد أصبحت عنصرا أساسيا للأساطيل التجارية بعد الشلندي[7] منذ القرن (3 هـ) التاسع الميلادي[8] وتحمل عددا قليلا من المسلمين للدفاع عنها في حالة تعرضها

---

1) المرجع السابق ،56- 57 .
2) انظر: Bragadin ; Histoire des Républiques Italiennes, pp.41 - 42.
3) البكري ،المصدر السابق ،ص83 ; Dufourcq ; L'Espagne catalane, p. 36; Brunschvig ; Deux récits, p. 67.
4) يطلق عليها الأوربيون أسماء عديدة هي galley , galée , galère .
وتسمى أيضا شينية أو شاني ،وهي نوع من سفن التجارة وتطلق أيضا على سفن حربية (عادل زيتون ،المرجع السابق ،ص56 ; علي محمود فهمي ،التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي ترجمة قاسم عبده قاسم ، بيروت، 1402 هـ / 1981 م، ص143.
5) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ،المرجع السابق ، ص252، هامش 2.
6) يصل عدد المجاذيف الى المائة أحيانا (Brunschvig , Deux voyages, p. 67)
7) عنه انظر: علي محمود فهمي ،المرجع السابق ،ص141 - 142 .
8) Bragadin: op. cit, p.37 ; Fey : op. cit., p. 46 .

لهجمات القراصنة[1]، وكانت تستخدم في غالب الأحيان لنقل بضائع خفيفة الوزن، مرتفعة السعر، مثل التوابل[2].

وقد جابت البحر الأبيض المتوسط أنواع أخرى من السفن، ومنها: الشَّطي وهي مراكب صغيرة، تتنقل قرب الشواطئ، وبين الموانئ المتقاربة[3] والطراد أو الطريدة[4] وهي سفينة صغيرة وسريعة[5]، مزودة بالمجاذيف وشراع مثلث[6] وهي مفتوحة في ظهرها، استخدمها الجنويون، في القرن (7 هـ) الثالث عشر الميلادي، لنقل الخيل والمؤن للصليبيين، وحمولتها أربعون فرساً[7]، وأصبحت تستعمل في النقل التجاري، عند نهاية القرن (7هـ) الثالث عشر الميلادي[8].

---

1) Bragadin, Op.cit., pp. 40 _41.

2) عادل زيتون، المرجع السابق، ص56.

3) ابن بطوطة، المصدر السابق، 665.

4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 665؛ وهناك نوع آخر من السفن ويسمى الطرادة وجمعها طرادات وهي سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الحركة غير مدرعة، وهي من سفن البحر الأبيض المتوسط ولا يزيد طولها عن سبعة أذرع، وعرضها ذرعان ونصف ذراع (السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 252؛ علي محمود فهمي، المرجع السابق، ص148 — 149؛ (Fey, OP·CIT., P46)

5) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، نفس المرجع، ص 252.

6) Bragadin:Op.Cit.,p.41.

7) صابر محمد ذياب، سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، من أوائل القرن الثاني حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة 1973، ص109؛ علي محمود فهمي المرجع السابق، ص 149.

8) عادل زيتون، المرجع السابق، ص 56— 57؛ علي محمود فهمي، نفس المرجع، ص149.

والليني (lenys) : وتستعمل بكثرة ،لأن خصائصها تتماشى مع ظروف الملاحة في البحر الأبيض المتوسط ،فهي تستطيع التنقل بالمجاذيف في حالة سكون الرياح ،على عكس الأنواع الأخرى التي تستعمل الأشرعة الى جانب المجاذيف ويتميز هذا النوع بالسرعة والخفة ،وهي ليست متخصصة كالأنواع الكبيرة ، للصفقات والغزو، بل هي متعددة الاستخدامات[1] .

وهناك الساجيتة أو ساجيت وتعني هذه الكلمة السهم وتطلق على سفينة شراعية مزودة بمجذاف أو مجذافين[2] وهناك القرقورة وهي مركب صغير[3] .

ويلاحظ انه من الصعب معرفة ما اذا كان التلمسانيون قد ملكوا كل هذه الأنواع من السفن أم أقتصروا على امتلاك بعض أنواعها فقط، سواء عن طريق الشراء أم عن طريق الصنع ، كما يصعب أيضا معرفة ما إذا متلكوا أنواعا أخرى تختلف عن هذه ،لأن المصادر المعروفة حتى الآن لم تتعرض لهذا الجانب ، لكن المنطق يقتضي الاقتناع بأنهم كانوا يستفيدون،على الأقل من خدمات كل الأنواع المذكورة ، عند توقفها في موانئهم ،كما يفعل غيرهم في موانئ أخرى.

---

1) Dufourcq; op. cit; pp. 36-37 ·

2) يسمي الأوربيون هذا النوع من السفن Sagitta أو Sagette أو Saêtes أو Sageties (أنظر: Bragadin: op,cit; p. 41)

3) ركب ابن بطوطة قرقورة عند عودته من المشرق الى بلاد المغرب(المصدر السابق، ص656) .

د) الرحلة البحرية:

كان المسيطرون على التجارة البحرية في بلاد المغرب عموما، ومنها امارة تلمسان، في أغلبهم، إذا لم يكونوا كلهم، من المسلمين المغاربة: فهم الذين كانوا يرحلون في سبيلها، ومن ثم كان من الممكن تسليط الأضواء على رحلا تهم تلك، بالاعتماد على الأخبار التي سجلها عنهم بعض الرحالة والمؤرخين، انطلاقا من تلمسان، الى مختلف الجهات المتعاملة معها، في حين أن المسيطرين على التجارة البحرية، في تلك الفترة، كانوا أوربيين مسيحيين، وعلى رأسهم الايطاليون الذين كانوا يتنقلون، من أجلها في مناطق تقع خارج حدود بلدانهم، ومن بينها المغرب الاسلامي، ولذلك فان المعلومات الموجودة، مع قلتها، في هذا الموضوع، تتحدث عن أوربيين مارسوا النشاط التجاري، ما بين بلدانهم وبلاد المغرب الاسلامي، بما فيها تلمسان مما يفرض على الباحث اتخاذ أوروبا كنقطة انطلاق للرحلة التجارية بينها وبين بلاد المغرب الاسلامي.

وقد كانت الرحلة في البحر الأبيض المتوسط ترتبط بالظروف المناخية بالدرجة الأولى إذ تتحكم فيها الرياح واتجاهاتها، فالسفن الايطالية كانت تقوم برحلة في السنة، فتقلع في الربيع، وتتجه الى موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط، ثم تمر عبر موانئ الحوض، لتعود الى ايطاليا في الخريف، أو تبحر في الخريف وتعود في الربيع[1].

---

1) عادل زيتون، المرجع السابق، ص58- 59.

وكان البحارة ، بصفة عامة ، يهتدون في البحر بالنجوم،فهم يعرفون مواقعها ، ويقدرون ارتفاعها وابعادها النسبية كما كانوا يتبادلون الارشادات شفويا[1] ، وبعدما تطورت البحرية ،بظهور واستخدام وسائل جديدة كالبوصلة[2] والخرائط[3] ، أصبحت السفن الايطالية تقوم برحلتين في السنة ، احداهما في الربيع والثانية في الصيف[4] .

وكانت السفن ، في رحلتها ، غالبا ما تلجأ الى المساحلة أي تحاذي السواحل ،فلا تبتعد كثيرا عنها ،حتى لا تضل طريقها ، فتسير حول البحر الأبيض المتوسط ،ولا تقطعه الا عند الضرورة، وعبر أقصر المسافات فتتنقل في خطوط موازية لخطوط الطول حيث تساعدها الرياح على السير ومنها الرابط بين جزيرة ميورقة وبين مينائي الجزائر ودلس، وآخر يربط بين سواحل مرسية والمغرب الأوسط أي الموانيء الواقعة بين وهران والجزائر ، وبقيت الحال كذلك ، من القرن(6هـ) العاشر الميلادي الى القرن(10هـ)

---

1) نجاة باشا ،المرجع السابق ،ص100 .

2) عرف الايطاليون البوصلة منذ أواخر القرن الثاني عشر الميلادي(Bragadin; op,cit, p.23)

الا أنهم لم يستعملوها في البحر الأبيض المتوسط الا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ،فأحدث استخدامها تطورا كبيرا في عالم الملاحة والتجارة البحرية ،فتمكن التجار من استثمار أموالهم أكثر من مرة في العام الواحد (عادل زيتون ،المرجع السابق، ص60)، وسمحت البوصلة بالقيام برحلات طويلة (Bragadin; op. cit., p. 24)، واستعملها القطلانيون في القرن الثالث عشر الميلادي(Dufourcq; op.cit, p. 45)

3) حددت الخرائط البحرية حركة الرياح واتجاهاتها في بداية القرن الرابع عشر الميلادي (عادل زيتون ،المرجع السابق،ص 67 ; Dufourcq : op. cit, p. 46)

4) عادل زيتون ،المرجع السابق،ص 58– 59 .

السادس عشر الميلادي[1]،

أما الاسبان فكانوا على اتصال دائم بموانيء الامارة الزيانية خاصة بعد القرن (7هـ) الثالث عشر الميلادي، انطلاقا من جزيرة ميورقة[2].

ولم تكن مدة الرحلة محدودة، فهي تخضع في الغالب للظروف المناخية، خاصة الرياح والانقلابات الجوية وحالة البحر[3].

وتتغير سرعة السفن كثيرا في الفصل الواحد، بل في السفر الواحد، وعلى العموم فان الرحلة المباشرة بين ساحل مرسية، مثلا، وبين ميناء تنس، تدوم أربعا وعشرين ساعة، وفي بعض الأحيان تدوم الرحلة، بين الجزائر وبين ميورقة اثني عشر يوما ويصل أقصى حد للسرعة الى اثني عشر أو ثلاثة عشر ميلا في الساعة[4]. والمتوسط حوالي خمسة أميال في الساعة الواحدة[5].

حمولة السفن:

لا تذكر المصادر سوى معلومات قليلة حول هذا الموضوع منها أن حمولة السفن الايطالية كانت تتراوح بين 300 و 600 طن، خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر

---

1) Dufourcq : op. cit, p. 45 , note 6.

2) Ibid, p. 46 et p. 320.

3) Ibid , p. 46.

4) فقد سافر عبد الباسط بن خليل يوم السبت 14 ربيع الأول 871هـ/24 اكتوبر 1466م في شونية من افلندة، من ميناء وهران الى بجاية ودامت الرحلة يوما كاملا لانعدام الريح واستعمال المجاذيف(Brunschvig: Deux récits, p. 67).

5) أنظر: نجاة باشا، المرجع السابق، ص.100.

الميلادين[1] ،وقد بلغت حمولة سفينة قطلانية كبيرة في القرن (7هـ) الثالث عشر الميلادي حوالي 450 طنا[2].

وكانت الحكومات تراقب حمولة السفن ، وتمنع مازاد عن امكانيات المراكب،تجنبها للأخطار، فحكومة البندقية كانت تحدد مقدار الشحن اللازم لكل سفينة وبالنسبة لكل سلعة ،كما كانت تراقب السفن وتفتشها ، قبل إبحارها ،لأن ذلك يضايق المسافرين والملاحين ، فيشغل بعض أماكنهم، وقد كانت تتخذ ضد ربابنة السفن ، في حالة ارتكابهم مخالفات بعض الاجراءات كاجبارهم على دفع غرامات مالية[3].

ملكية السفن :

غالبا ماكانت ملكية السفينة جماعية ،ونادرا ماكان الفرد الواحد يملك سفينة كاملة ،وهذا يعود ، بدون شك ،الى ارتفاع ثمن تكلفة بناء السفن، وبالتالي ارتفاع سعرها في السوق ، حيث انه كان يتراوح ، في آخر القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) ، بين خمسمائة دينار ذهبي وبين أربعة آلاف دينار، بالنسبة للسفن الكبيرة التي تبلغ حمولتها أربعمائة وخمسين طنا و تحمل مائة وخمسين راكبا[4] ، ويقسم سعر السفينة عادة الى ستة أسهم، ويمكن للفرد الواحد امتلاك اكثر من سهم منها ،وفي بعض الاحيان يشترك المسلمون مع المسيحيين في امتلاك بعض أسهم سفينة واحدة[5].

---

1) عادل زيتون ،المرجع السابق ،ص 57.

2) Dufourcq; op. cit., p. 44

3) عادل زيتون ، المرجع السابق ،ص57.

4) Dufourcq; op. cit., p. 44.

5) مثل هلال القطلاني ،الوزير التلمساني ، الذي يملك جزءا من سفينة ميورقية سنة 1331م (Ibid, p. 57, note 8).

تأجير السفن :

تؤجر السفن للتجار، فيدفعون لملاكها مبلغا ،يتفق عليه ، يمثل ثمن العبور (الرحلة) ، وبعد وصول هؤلاء التجار الى الميناء المقصود ، تحمل السفينة تجارا آخرين، للعودة بهم أو لتواصل طريقها الى موانيء أخرى، وفي هذه الحالة يتم اتفاق آخر بين ملاكها والتجار الجدد ، وكان يمكن تأجير كل جزء من السفينة على حدة[1].
وقد كان المسيحيون ،وخاصة الجنويين والقطلانيين ،يؤجرون سفنهم ، فتقوم بنقل السلع في البحر الأبيض المتوسط، وكانت عملية تأجير السفن تدر على أصحابها أموالا طائلة ، من ذلك مثلا أن سفينة من نوع ليني أجرت من بلنسية الى وهران بمبلغ قدره الف وما ئتا فلس برشلوني ،وهو ماكان يعادل ستين دينارا ،وفي سنة 1316م أجرت سفينة من وهران الى ميورقة بمبلغ قدره سبعمائة دينار[2] .

---

1) Dufourcq ; op, cit, pp. 55-56.
2) في سنة 1403م انتقل جماعة من بجاية الى الجزائر، في سفينة شراعية من برشلونة ،وفي سنة 1466م انتقل جماعة من تجار تلمسان و وهران الى المشرق الاسلامي على متن سفينة جنوية (Heers (J.) ; Gênes au XV siècle, Paris, 1971, p. 322; Brunschvig ; Deux récits de voyage, pp. 135-136; Dhina ; Les Etats de l'Occident Musulman, p. 359; Lespes ; Oran ville et port, Revue Africaine, 1934, PP. 287 - 289).

تنظيم النقل :

وضعت بعض الترتيبات والقوانين لتنظيم العلاقة بين أصحاب السفن والتجار، فقد كانت العقود بين الطرفين (أصحاب السفن والتجار) قبل القرن الثالث عشر الميلادي، شفوية، تعتمد على الثقة المتبادلة بينهما، لكن تطور الملاحة وازدهار النشاط التجاري، بعد ذلك، أديا إلى ظهور قوانين رسمية وعقود كتابية حددت مسؤولية كل منهما تجاه الآخر.

ففي الجمهوريات الايطالية، ظهرت قوانين أعفت التاجر وخادمه وأمتعته من تكاليف النقل وألزمته بدفع تكلفة شحن بضائعه فقط، وكان أصحاب السفن لايسمحون للتجار أحيانا أن ينقلوا الحيوانات على متن سفنهم[1].

وكانت السفن التجارية تبحر، في البحر الأبيض المتوسط على شكل أساطيل، والأسطول يتكون من سفينتين على الأقل ترافقها سفن حربية، تحرسها وترد عنها هجمات القراصنة[2].

وقد أهتمت المدن الساحلية بتكوين الملاحين، فالجمهوريات الايطالية كانت تلزم ربابنة السفن التجارية

---

1) عادل زيتون، المرجع السابق، ص 59- 60.
2) نفسه، ص 58.

أن يصطحبوا معهم عددا معينا من أبناء النبلاء لتدريبهم على الملاحة، كما كانت تعتني بتسوية مشاكلهم، وتوفير الغذاء الصحي والأجور المناسبة لهم[1]، وكذلك كان شأن المدن الساحلية الأخرى في أوربا.

أخطار الملاحة:

كانت الملاحة البحرية آنذاك تعاني من بعض الأخطار، وهي تتمثل، بالاضافة الى العواصف البحرية والمعابر المائية الخطيرة وتيارات الخلجان، في القرصنة[2].

وكانت القرصنة عملا يكاد يكون شرعيا في تلك الفترة، أدى الى انتشار حالة الحرب والسلب والهجومات وردود الفعل بين بحارة السواحل الشمالية وبين بحارة السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط[3]، أي بين المسلمين والمسيحيين بصفة عامة، وفي بعض الأحيان كان التجار أنفسهم يمارسونها وبقيت الملاحة عموما تعاني طويلا من هذا المشكل الذي كان يشتد، خاصة في فصل الصحو، ولم تكن أعمال القراصنة تقتصر على البحر، بل كانوا يتحينون الفرص فينزلون السواحل ويقطعون الطرق ويختطفون الناس، فينشرون بذلك الذعر والخوف في قلوب الناس، ويزعجون التجار، وهناك بعض المعلومات سجلتها مصادر تاريخية عن بعض ماعاناه التلمسانيون من هذه الظاهرة وتبين أن البلنسيين كانوا يغتنمون كل الفرص للهجوم على سواحل تلمسان، ولم

---

1) عادل زيتون، المرجع السابق، ص 58.

2) نفسه، ص 61.

3) انظر Marçais (G.) ; les villes de la côte algérienne, p.136

يتوقفوا حتى بعد عقد المعاهدات[1] : ففي ربيع 1286م استولى القائد البلنسي Guillem Escriba ، في البحر، على سلع جلبها أحد رعايا الدولة الزيانية وهو ميمون بن عطار، عندما كان عائدا الى بلاده، من جزيرة ميورقة، وبعث السلطان عثمان بن يغمراسن احتجاجا الى الملك جقمة الثاني، ليمنع رعاياه من أعمال القرصنة[2].

وفي نفس السفينة، أمر جقمة الثاني بمحاكمة المينورقي Père Dalman الذي قبض على التاجر ابن عباس التلمساني، عندما كان يتوجه بسلعه الى جزيرة يابسة، وأطلق سراحه حتى يؤكد للسلطان الزياني عثمان أن تجار بلاده يستطيعون ممارسة نشاطهم بمملكته في أمان[3].

وفي 1 جويلية 1289م قدم اليهودي الميورقي، سعدون ابن عدا، شكوى، ضد القراصنة بيرويق Père Rôig وجوم دي كاستيل Jaune Castell وبيرينقر دي كالفات Berenguen de Calfat الذين استولوا على مركب يوم 29 جوان في مياه تنس[4]، كما أن القطلانيين، من برشلونة وميورقيين، حاصروا سواحل تلمسان عام 1315م لمدة شهر، وخطموا أسطول أبي حمو موسى

---

1) أنظر: المعاهدة التي تمت بين أبي سعيد عثمان بن يغمراسن وملك أراغونة أدفونش الثالث سنة 1286م في الملحق رقم 1 .

2) .Dufourcq; op.cit, p. 347.

3) .Dufourcq ; op. cit, p. 438

4) . Ibid, p. 325, note 3

الأول ، واستولوا على سفينة كان هذا الأخير قد أجرها من برشلونة ،وكرر البرشلونيون والبلنسيون الحصار واستولوا على سفينة يملكها أخو السلطان الزياني[1].

في ظل هذه الظروف كان التجار التلمسانيون يضطرون، في بعض الأحيان، الى دفع ضريبة فردية للسلطات الأراغونية، حتى تحميهم وتحمي سلعهم[2]، ولكن بحارة الدولة الزيانية لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الاعتداءات، بل كانوا يقومون برد الفعل؛ من ذلك أنهم هاجموا، سنة 1327م، القطلانيين في عرض البحر، فقتلوا سبعة عشر، وأسروا بعضا منهم، واستولوا على بعض ممتلكاتهم[3].

وفي محرم سنة 869هـ/ أوت 1464 م ((أحضر الى مدينة تلمسان احد عشر نفرا من الفرنج أسروا من ساحل هنين وكانوا وردوا اليها بمركب لخطف المسلمين والاغارة عليهم بالطرقات ...))[4] فأعدم منهم ستة وافتدي الباقون[5].

وقد كانت أعمال القرصنة تتسبب، من حين لآخر، في حدوث اصطدامات مسلحة في البحر، بين المسلمين والمسيحيين، وكثيرا ما تأخذ طابعا رسميا ،كما حدث بين أراغونة وتلمسان، في

---

1) Dufourcq; op.cit , p. 470

2) Ibid, p. 348.

3) Dufourcq ; op. cit , p. 484.

4) Brunschvig ; Deux récits , p. 41.

5) id.

سنوات 1263م و 1265 م و 1273 م و 1275 م ، لكن كفة المصالح الاقتصادية ، المتمثلة في العلاقات التجارية ،كانت أرجح في نهاية الأمر[1].

وللتخفيف من حدة هذه الظاهرة السلبية على التجارة البحرية ، عمدت مختلف الدول الى العمل على توفير أكبر قدر ممكن من الأمن لسفنها ، وفي هذا الاطار كانت السفن تخرج في قوافل ، حتى تتعاون على الدفاع في حالة تعرضها لهجوم ما ، وكانت تلجأ أحيانا الى الاستعانة بحراس البحر ، فقد قسمت الجمهوريات الايطالية رحلاتها الى مراحل ، في كل مرحلة يصاحب سفنها أسطول بحري خاص للحراسة ، يرافقها لنقطة الحراسة الموالية ويبقى في انتظارها هناك لحين عودتها كي يصاحبها ثانية[2]، وقد أنشأت مرسيليا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحدة بحرية من ثلاثمائة حارس للسواحل لضمان أمن الملاحة[3].

وهكذا كانت مدينة تلمسان ، عاصمة الدولة الزيانية ،ملتقى ومنطلق شبكة ، من الطرقات ، تصل بينها وبين بلاد المغرب والمشرق الاسلاميين ،وبينها وبين بلاد السودان الغربي ، فقد عبر تجارها الأودية والمرتفعات الى جانب السهول شرقا وغربا ، كما قطعوا الصحراء

---

1) Brunschvig, op.cit.,p.41

2) نعيم زكي فهمي ،المرجع السابق ، ص 179.

3) Permoud ; Les villes marchandes au XIV et XV siècle, Paris 1948, PP. 45 - 46.

التي اعتبرت لفترة طويلة عائقا يحول دون تطور العلاقات بين مدن شمال هذه المنطقة وجنوبها ، فساهموا في تنظيم عملية نقل السلع ، وفتحوا الطرق واستغلوا الوسائل المتوفرة في تلك الفترة ، وعلى رأسها الجمل . وشجعت السلطات التلمسانية التجارة ، فاهتمت بتوفير الأمن ، والحد من الأخطار ، مثل القرصنة البحرية والبحرية .

واستقبلت امارة تلمسان السفن المغربية والأوربية في موانئها المتعددة والملائمة في أغلبها للارساء ، ووفرت المخازن للسلع ، ومتطلبات و سائل النقل البحري فكانت موانئها وخاصة هنين ووهران ، محط رحال أنواع عديدة من السفن الايطالية والفرنسية والاسبانية ، الى جانب المغربية .

وهكذا لعبت امارة تلمسان دورا لا يستهان به ، في ميدان النقل ، فساهمت بذلك في ازدهار الحياة الاقتصادية في مدن وممالك بلاد السودان الغربي ، وربطت جمهوريات ومدن جنوب أوربا ببلاد ما وراء الصحراء تجاريا .

الفصل الثالث

الحركة التجارية بين امارة بني زيان وبعض بلدان العالم:

أولا : الحركة التجارية بين امارة بني زيان والبلاد الاسلامية

ثانيا : الحركة التجارية بين امارة بني زيان وبلاد السودان

ثالثا : الحركة التجارية بين امارة بني زيان ومدن جنوب أوروبا الغربية

الحركة التجارية بين امارة بني زيان وبعض بلدان العالم:

أولا : الحركة التجارية بين امارة بني زيان والبلدان الاسلامية :

كانت الحركة التجارية مستمرة بين بلدان العالم الاسلامي ، فالتجار كانوا ينتقلون بسلعهم بين المغرب والمشرق[1] ، وقد كانت المملكة الزيانية تتوسط بلاد المغرب ، ومن ثم كانت القوافل التي تخرج من النواحي الغربية الى الشرقية تضطر الى عبورها ، والعكس ، فيؤم التجار أسواق عاصمتها ((تلمسان)) حيث يبيعون ويشترون ما يمكن من السلع[2] .

ويلاحظ أن المصادر لا تشير الى نوعية السلع المتبادلة بين هؤلاء التجار ولا الى الكيفية التي كانت تتم بها عمليات التبادل ، كما لا توجد وثائق المعاهدات التجارية بين بلدان المغرب الاسلامي لأن التجارة كانت تتم تلقائيا بين المسلمين الذين كانوا أحرارا في التنقل من مدينة الى أخرى ومن ميناء لآخر ، على مستوى العالم الاسلامي ، تماما كما كان الأمر يتم داخل الدولة الواحدة .

وقد دفع عدم توفر الوثائق ، وسكوت المصادر عن هذا الموضوع ، بعض الباحثين ، مثل Brunschvig الى وصف التبادل التجاري بين بلدان المغرب الاسلامي بالقلة[3] ، رغم انه يرى فيه أمرا طبيعيا ، وهي ملاحظة ليست مبينة على أساس متين ، خاصة في ظروف معينة كاصابة

---

1) Brunschvig (R.) ; la berberie orientale sous les hafsides, T.1, p.234

2) Id.

3) Brunschvig; op. cit, p. 254

بعض المناطق بكوارث طبيعية، ومنها الجفاف على سبيل المثال، وفي مثل هذه الحالة، لا بد لسكانها، أن يلجأوا الى المناطق المجاورة لشراء ما يحتاجون اليه.

وملخص ما تيسر جمعه، في هذا المجال، أن أبا زكرياء الحفصي، عندما فر أمام عمه أبي حفص[1] الى تلمسان سنة 681هـ/ 1284م اقترض أموالا من بعض العرب الذين قدموا من بجاية للتجارة[2]، ولا يعرف عدد هؤلاء ولا شيء عن السلع التي قدموا بها، ولا عن المبلغ الذي اقترضه أبو زكرياء منهم.

وفي الربع الثاني، من القرن الرابع عشر الميلادي (8هـ)، تحدث ابن بطوطة، عندما قام برحلته، من تلمسان الى تونس، عن مجموعة من التجار، التحق بركبهم من مليانة، وذكر اسم تاجر من تونس، هو محمد بن الحجر، واسم تاجر آخر من الجزائر يعرف بابن حديدة، وأن التاجر التونسي عاد بمبلغ مالي، بعد رحلته الى تلمسان، قدره ثلاثة آلاف دينار من الذهب[3]، وهنا أيضا لا نعرف نوعية السلع ولا طريقة التعامل بين تجار المغرب الأدنى وتجار المغرب الأوسط لكن هذا المبلغ المالي يدل، ولا ريب، على أنه قام بصفقة تجارية كبيرة في عاصمة الدولة الزيانية.

---

1) انظر ماقبل، ص38.

2) Maslatrie (M. L. De), traités de paix et de Commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septen-trionale, au moyen âge, Paris 1966, T.1., p. 146.

3) الرحلة، ص 15 - 16.

وفي الربع الأخير من القرن الخامس عشر، تعرض عبد الباسط بن خليل في رحلته الى الحديث عن التجارة، فذكر أنه علم، عندما كان بوهران، في صفر من سنة 875هـ/ 30 أكتوبر 1465م ((... أن جمعا من التجار كانوا توجهوا من تلمسان وغيرها الى فاس وباعوا ما حملوه معهم للاتجار فيه ولما جرت الفتنة[1] حصروا عن الرجوع عائدين الى أوطانهم...))[2]

وكان التجار، على مستوى المغرب الاسلامي، ينقلون سلعهم أيضا عبر البحر، ودنا كذلك لا توجد في شأن هذا الموضوع، سوى شذرات نادرة، بالمصادر، لا تفي الموضوع حقه ولكنها تقوم دليلا على أن التجارة كانت قائمة بين بلدان المغرب:

ففي سنة 715هـ/ 1315م انتقلت مجموعة من التجار التونسيين والبجاويين والتلمسانيين في سفينة تلمسانية، عبر موانيء الامارة الزيانية[3].

وفي سنة 806هـ/ 1403م غادر عدد من التجار المغاربة مدينة بجاية في اتجاه مدينة الجزائر، وكانت حينذاك تابعة للدولة الزيانية[4].

---

1) يقصد بالفتنة الصراع بين بني وطاس وبني مرين، وقد ذكر عبد الباسط بهذا الصدد ((أن بني وطاس تحزبوا وجمعوا جمعا عظيمة وهي في نية حصار ليأخذها الذى يقال له مولاي الشيخ من صاحبها السيد الشريف بن عمران وأن أهل فاس في ضرر كبير بسبب ذلك وأن التجار والقوافل قد انقطعت ... بسبب الفتنة (Brunschvig (R.), Deux récits de voyage, inédits, p. 58.

2) id.

3) Dufourcq (Ch.E), Commerce du Maghreb médieval , pp: 181 - 182

4) Dhina, les Etats; Brunschvig (R.), la berberie orientale, T.1., P. 215 de l'occident musulman, p. 359.

كما توجه بعض تجار تلمسان من وهران الى تونس[1] وفي نفس الفترة كان عبد الباسط بن خليل يقوم بالتجارة عبر البحر، فيتنقل بالسلع ما بين تونس ووهران وغرناطة[2].

وفي 29 صفر من عام 871هـ/ 10 أكتوبر 1466 م ((ورد الى ساحل مدينة وهران شونية عظيمة من مراكب الفرنج الجنويين برسم الا تجار ... فتجهز كثير من تجار وهران وتلمسان للسفر فيها الى جهة بلاد تونس ..))[3].

وعندما زار الحسن الوزان (Léon l'Africain) بعض مناطق المملكة الزيانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي (10هـ) تحدث عن انتقال بعض السلع كالتين والكتان من ميناء برشك (قورايا) الى موانيء الجزائر وبجاية وتونس[4].

وقد كانت التجارة نشطة بين تلمسان والأندلس، ففي سنة 768هـ/ 1366م توجهت مجموعة من السفن التابعة لتلمسان، محملة بسلع مختلفة، الى موانيء غرناطة[5] التي كانت تعتبر أهم مركز للتبادل بين أوروبا وبالأخص ايطاليا، من جهة، وبين بلاد المغرب وعلى رأسها تلمسان، من جهة أخرى؛ فمن ميناء مالقة كانت السلع الأوربية تصدر الى تلمسان ثم الى بلاد السودان.

---

1) Heers (J), Gènes au XVe siècle, Paris 1971, p.322, Dhina, op. cit., p. 353

2) Brunschvig (R.), deux récits de voyage, p. 57 sq.

3) Ibid, p. 67

4) Description, T.2. p. 344

5) Dhina, op. cit., p. 360

وفي محرم من سنة 870هـ/ أوت - سبتمبر 1465م، اشترى عبد الباسط بن خليل من تلمسان سلعا حملها الى ميناء وهران ثم سافر بها الى الأندلس[1].

وقد ساهم الجنويون في تنشيط الحركة التجارية بين العاصمتين الزيانية والأندلسية خلال القرن الخامس عشر، حيث سجلوا تفوقا كبيرا على غيرهم، في عملية نقل البضائع الأوربية وبالأخص الايطالية منها، عبر ميناء مالقة، نحو وهران حيث كانت تنقل الى تلمسان، وكان ميناء وهران في تلك الفترة من أهم الموانيء التي يصدر منها قمح بلاد المغرب الى غرناطة[2].

أخيرا يمكن أن يستنتج من هذه المعلومات، رغم قلتها، أن الحركة التجارية بين تلمسان وغيرها، كانت نشطة، وأن التبادل بينهما كان يتم، في آن واحد، بواسطة القوافل البرية وبواسطة السفن.

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الحركة التجارية بين تلمسان وبلاد المشرق الاسلامي، لكن المصادر المستخدمة في هذا البحث لم تبين نوعية السلع المتبادلة، ولا كيفية الرحلات التجارية التي كانت تتم بينهما.

ويرى عطاء الله دهينة أن تجار المغرب الأوسط كانوا يكتفون، في أغلب الأحيان بارسال بضائعهم الى المغرب الأدنى،

---

1) Brunschvig (R.); deux récits de voyages, P.56.

2) Dhina (A) ; Le royaume Abdelwadide: quelques aspects de sa vie économique dans Majallat Et-Tarikh, n°6, Alger 1978, p.15, note 10.

ومنه توجه الى المشرق كما يأتون من افريقية ببضائع المشرق ويضيف أن التجارة بين المغاربة والمشارقة كانت، ولا شك، تدر أرباحا طائلة[1] على أصحابها.

ثانيا : الحركة التجارية بين تلمسان وبلاد السودان :

بلاد السودان :

تمتد بلاد السودان بين درجتي عرض ثمان عشر وعشرة ، شمالا ، أي بين جنوب الصحراء الافريقية وبداية منطقة الغابات.[2]

وقد سميت بلاد السودان نسبة الى سكان هذه المنطقة، للون بشرتهم ، وهذه التسمية لا تنطبق على الجزء الذي كانت تلمسان تتعامل معه ، تجاريا ، فقط ، بل تشمل كل البلاد الممتدة من المحيط الهندي، شرقا ، الى المحيط الأطلسي ، غربا ، وهي تقسم الى ثلاثة مناطق هي : السودان الشرقي ، السودان الأوسط ، والسودان الغربي[3] ، وهذا الأخير هو الجزء الذي يهم هذا البحث ، ويمتد من خط طول غرينيتش الى المحيط الأطلسي غربا[4] .

ممالك بلاد السودان الغربي :

قامت بهذا الجزء ، من بلاد السودان عدة ممالك منها :

1) Les Etats de l'Occident Musulman , p. 362

2) Kienast et Bertrand, Atlas, Paris 1968 , pp. 3940؛ انظر الخريطة 1

3) يشمل السودان الشرقي المناطق الممتدة حول النيل وروافده ، جنوب النوبة بمصر ، ويمتد السودان الأوسط حول بحيرة تشاد أما السودان الغربي فيشمل السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط حاليا (انظر. زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ، طبعة الجزائر ، ص 16).

4) Kienast et Bertrand, op. cit, PP. 39-40.

مملكة غانة :

تتحدث المصادر العربية عن ازدهار مملكة غانة مابين القرنين الثامن والحادى عشر الميلاديين ، ولا يعرف أي شيء عن أصولها ولا عن تاريخها ، قبل وصول العرب الى منطقة السوس ، جنوب المغرب الأقصى ، سنة 734م[1] / 117هـ .

وكانت مملكة غانة تشغل ، في أوج توسعها ، شرق السنغال وجنوب موريطانيا وجزء من مالي وربما غينيا ، وضمت حدودها ، في القرن الحادي عشر الميلادى (5هـ) ، الأراضي المحصورة مابين تمبكتو شرقا ومنابع نهر النيجر ، في الجنوب الشرقي ، ومنابع نهر السنغال في الجنوب الغربي ، وكانت حدودها الشمالية غامضة .

وقد شجع ملوكها التجارة مع البلدان المغربية ، وكسبوا الكثير منها ، وقد سقطت هذه الدولة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى[2] (السابع الهجرى)

أمبراطورية مالي :

يخيم غموض كبير حول مسألة أصولها ، ومن الممكن جدا أن تكون نواتها بدأت بما صار يسمى ، فيما بعد ، مقاطعة عسكرية (une chefferie) بأعلى باماكو ، خلف

---

1) Mauny (R.); Le Soudan Occidental à l'époque des grands empires dans histoire générale de l'Afrique Noire, de Madagascar et des Archipeles, presse universitaire de France, pp. 187-188.

2) أنظر حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، ط. القاهرة 1964 ، ص 100 ؛ زيادية ؛ سنغاي ، ص 16 ؛ Cuoq (J.) : op , cit, p.4sqq.

نهر النيجر، من جهة رافد السنكراني ، قرب معادن بوري (bouré)
الغنية بالذهب . وفي القرن الثالث عشر الميلادي تمكن سونديانا
(Sundiata) 628هـ - 654 هـ (1230م - 1255م) من الحاق المناطق
التي كانت تكوّن سوسو ، بما فيها مملكة غانة ،
وعرف كيف يؤسس امبراطورية امتدت الى منعطف
نهر النيجر، وشملت غربا معادن الذهب ببوري وغلام
(Ghalam) ويبدو أن هذا الملك هو الذي أسس عاصمة
نياني Niani على ضفة السنكراني بغينية عند حدود
جمهورية مالي الحالية ، وزاد توسع هذه الامبراطورية
خاصة في عهد ساكورة (Sakoura) 682هـ - 700هـ (1285-
1300م)[1] فشملت كل الجزء الغربي لبلاد السودان ويقدر
العمرى طولها بناء على المعلومات التي استقاها من الشيخ
أبي سعيد الدّكلي الذى سكن مدينة نييني (Nyéni) مدة
خمس وثلاثين سنة والذى طاف أنحاءها ، بمسيرة أربعة
اشهر وكذلك عرضها ، فهي ،حسب نفس المصدر ،على شكل
مربع يمتد الى جنوب من مدينة مراكش، خلف المناطق
الجنوبية للمغرب الأقصى على سواحل برّ الحدوة (أى
المحيط الأطلسي) ما بين مولي (Muli)[2] وتورة (Tûra)[3]
وأغلبها عامر بالسكان[4]، وقد وفر حكامها الأمن في البلاد

---

1) انظر Mauny (R.) : op, cit, pp.191-92 ؛ حسن أبراهيم حسن ،نفس المرجع ، ص، 102؛ زبادية ،نفس المرجع ،ص. 22.

2) تقع،عند حدود بلاد الهوسة ، عنها أنظر: Omari ; op. cit., p. 58, note 3

3) تقع عند منصب نهر السنغال (Ibid, note 4).

4) Ibid, p. 58 .

لتشجيع التجارة بين الشمال والجنوب[1]، فعملوا على نشر الأمن في ربوع دولتهم ((فلا يخاف المسافر، في مالي ولا المقيم سارقا ولا غاصبا))[2] حتى أصبح التجار يستطيعون السفر في أعداد قليلة، لا تتعدى ثلاثة أو أربعة مسافرين[3]، كما نظم حكام مالي الضرائب على الواردات والصادرات، فامتلأت خزينة الدولة، وازدهرت، وتطورت بها، الزراعة وكثر عدد حرفييها، وخاصة في العاصمة[4]، واحتفظت بقوتها الى بداية القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ) حيث تدهورت أحوالها[5] بسبب الاضطرابات والفتن الداخلية التي أدت الى انفجارها واستقلال كثير من مقاطعاتها عنها، ومن هذه المقاطعات مملكة سنغاي[6].

مملكة سنغاي:

كان اسم سنغاي (Songhoy (Songoi) ou Sounghay (Sougaï)) يطلق في بداية الأمر على السكان الذين كانوا يعيشون بمنطقة كوكيا Koukia، على ضفاف نهر النيجر بأعالي قاو (Gao)، وعلى اللغة التي كانت تستعملها الغالبية

1) انظر: ابن بطوطة، الرحلة، ص 444، Léon l'Africain; op.cit, p.466 وقد شملت مملكة مالي حسب العمري أقاليم كل من غانة (Ghana) و زغون (Zagun) و تيرقة (Tirakka) و تكرور (Tekrur) و سنغانة (Sanagana) و بمبوغو (Bambugu) و زرقاطبنة (Zarqatabane) و درمورة (Darmûra) وزاغة (Zaga) و كابورة (Kabora) و باراغوري (Baraguri) وغا وغاو (gaogao) (انظر: Omari ; op. cit. , pp. 54 sq).

2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 450.

3) Condray; op. cit, p. 251.

4) Léon l'Africain; op.cit, p. 466.

5) Labouret (H), E.I., T.II, art: Mali, p.216.

6) Mauny (R.) ; op. cit., pp. 195 - 196.

من السكان ثم اطلقت هذه التسمية على الدولة التي تأسست هناك ، فيما بعد[1] .

وكان يحكم السنغاي رئيس كاهن (Chef Prêtre) يسمى كانتا (Kanta) من قبيلة فاران (Clan Faran) ، قبل أن يتمكن مهاجر يمني أو بربري من انتزاع السلطة في القرن السابع الميلادي وتأسيس أسرة ضياء (Za أو Dia) التي تعاقب حوالي خمسة عشر فردا منها على الحكم ، قبل انتشار الاسلام بها سنة 357هـ / 1000م تقريبا وعندها تركت مدينة كوكيا مكانها لغاو كي تصبح عاصمة ، وقد استولت مالي على سنغاي (حوالي 654-703هـ (1255 - 1270م) لكن الأمير علي كلون (Kolon) الذى أخذه الماليون ، مع أفراد عائلته ، كرهينة ، تمكن من الفرار الى بلاده وأعلن نفسه ملكا واتخذ لقب سني سنة 735هـ / 1335م ، وفي سنة 803هـ / 1400م تمكن سني موقادو (Sonni Mogado) من الاستيلاء على العاصمة المالية ، وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادى تمكن سني علي Sonni Ali 869هـ - 898هـ (1464 - 1492م) من القضاء نهائيا على الماليين مؤسسا بذلك أكبر امبراطورية عرفتها افريقية الاستوائية في العصر الوسيط[2] .

وقد تداول الحكم من أسرة سني ثمانية عشر أميرا مابين 735 - 699 هـ (1335 و 1493 م) وبعد وفاة سني علي

---

1) أنظر : Mauny (R.); op. cit., p. 191; Delafosse (M),E.I,art. Songhoy,T.4. P.510.
زبادية ،سنغاى ،ص 25 .

2) قارن Delafosse (M.) ; Cuoq (J); op. cit., p.131 sqq; Mauny,op,cit.,p.196-7 E.I.,art.Songhoy,T.4.,p.511
زبادية ،سنغاى ،ص 25 فمابعدها

مباشرة انتقل الحكم الى أسرة الأسبقيين ،على اثر انقلاب عسكري قام به محمد الأول الكبير ضد سني بارو الذى تولى السلطة مكان أبيه علي وقد استمر حكم محمد ، الذى صار يلقب بالأسقيا الحاج محمد الكبير،من سنة 899هـ / 1493 م الى سنة 934هـ / 1528 م ، وتعاقب على الحكم بعده ثمانية ملوك من افراد أسرته التي انتهى عهدها سنة 1591 م ، على أثر الحملة التي قادها سلطان المغرب الأقصى ، مولاي أحمد المنصور الذهبي[1] 986هـ - 1055 هـ (1578م - 1603 م) .

وقد ازدهرت تجارة سنغاي الخارجية ، اذ دلت البقايا الأثرية التي عثر عليها بمكانها على أن سلعا كثيرة كانت تنقل اليها ، مدة قرون طويلة، الى القرن السادس عشر الميلادي، عبر آلاف الكيلومترات مما يؤكد وجود علاقات متنوعة بينها وبين الشمال[2] .

ولا يعرف حتى الآن تاريخ بداية الاتصال التجارى بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، فقد ظل غير منتظم ، مدة طويلة ،الى القرن العاشر الميلادى[3] حيث حدث تطور في هذا المجال لسببين هامين :

---

1) أنظر: زبادية ،المرجع السابق ،ص 31 فما بعدها من عدة صفحات ؛ Cuoq (J.) ، op. cit. , pp. 163 sqq. ، عن ترجمة المنصور وأهم أعماله أنظر Julien (Ch.A) op. cit. , p. 211 sq.

2) انظر: Devis, Route de Commerce et échange en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée, dans revue d'histoire économique et sociale, Paris. 1972, n°1, p. 45, note 8.

3) Devis, op. cit, p.45, note 8 -

مباشرة انتقل الحكم الى أسرة الأسبقيين ،على اثر انقلاب عسكري قام به محمد الأول الكبير ضد سني بارو الذى تولى السلطة مكان أبيه علي وقد استمر حكم محمد، الذى صار يلقب بالأسقيا الحاج محمد الكبير،من سنة 899هـ / 1493 م الى سنة 934هـ / 1528 م، وتعاقب على الحكم بعده ثمانية ملوك من افراد أسرته التي انتهى عهدها سنة 1591 م، على أثر الحملة التي قادها سلطان المغرب الأقصى، مولاي أحمد المنصور الذهبي[1] 986هـ - 1055 هـ (1578م- 1603 م) .

وقد ازدهرت تجارة سنغاي الخارجية ، اذ دلت البقايا الأثرية التي عثر عليها بمكانها على أن سلعا كثيرة كانت تنقل اليها ، مدة قرون طويلة، الى القرن السادس عشر الميلادي، عبر آلاف الكيلومترات مما يؤكد وجود علاقات متنوعة بينها وبين الشمال[2] .

ولا يعرف حتى الآن تاريخ بداية الاتصال التجارى بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، فقد ظل غير منتظم، مدة طويلة ،الى القرن العاشر الميلادى[3] حيث حدث تطور في هذا المجال لسببين هامين :

---

1) أنظر: زبادية ،المرجع السابق ،ص 31 فما بعدها من عدة صفحات ; Cuoq (J.) op. cit. , pp. 163 sqq. ; عن ترجمة المنصور وأهم أعماله أنظر Julien (Ch.A.) op. cit. , p. 211 sq.

2) انظر: Devis, Route de Commerce et échange en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée, dans revue d'histoire économique et sociale, Paris. 1972, n°1, p. 45, note 8.

3) Devis, op. cit, p.45, note 8.

يتمثل أولهما في قطع الرحلات التي كانت تتم عبر محور شمال شرق - جنوب غرب، بين واحات مصر وجنوب تونس وبين مصب نهر النيجر[1]، لما كان التجار يعانونه من التعرض للعواصف، وقساوة الظروف المناخية، واعتداءات البدو على قوافلهم، وتعويضها برحلات غير مباشرة، عن طريق النواحي الغربية لبلاد المغرب، أي المغرب بين الأوسط والأقصى، وهي رحلات أطول لكنها أقل خطرا، وخاصة منذ عهد أمير مصر أحمد بن طولون[2] 254هـ - 270هـ / (868م - 884م).

أما ثانيهما فيتمثل في تأسيس دولة المرابطين التي كان لها الفضل في اقامة علاقات جديدة بين منطقة غرب بلاد المغرب وهذا الجزء من الصحراء[3]، كما مكنت المغاربة من التعرف على بلاد

---

1) Lombard (M); l'Islam dans sa première grandeure, p.223;Devis,op,cit,p.49
ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص 21

2) وكان أحمد بن طولون قد منع استخدام الطريق المباشر بين بلاده ومملكة غانة، بسبب ماكان المسافرون يتعرضون له فيه من أخطار (أنظر ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص 21).

3) أنظر: Léon l'Africain; op. cit., T.2. p. 462; Godinho (V.M.) l'économie de l'Empire portugais au XV et XVIe siècle, p. 104.

السودان منذ سنة 480 هـ / 987 م[1].

وقد نتج عن تغيير طرق الرحلات التجارية، وقيام دولة المرابطين، ظهور تبادل تجاري منتظم بين المناطق الغربية لبلاد المغرب، ومن بينها تلمسان، وبين بلاد السودان الغربي؛ وأصبح المغرب الأوسط أهم منطقة تتاجر مع وسط افريقيا الغربية، سيما في عهد الموحدين[2]، بحكم موقعها الجغرافي، وبسبب وجود طرق مختصرة بينهما، وعندما سقطت الدولة الموحدية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، حلت المبادرات الخاصة محل المبادرات الرسمية في حماية التجارة التي بقيت نشطة، عبر الصحراء، ورغم المشاكل المتنوعة التي كانت تعترضها[3].

---

1) هناك خطأ ورد في كتاب الحسن الوزان في تحديد هذا التاريخ ب 380هـ/ 987م، لأن القائد المرابطي أبا بكر عمر هاجم حدود مالي وقتل في شعبان 480/ نوفمبر 1087م (قارن Description, T.2, p.461)؛ عنان (عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، ص 38)؛ ومما يلاحظ أنه ليس هناك ما يؤيد رأي Epaulard من أن المرابطين عندما حطموا مدينة أودغست تسببوا في تدهور نشاط الطريق التجاري الغربي (Description de l'Afrique, T.2., note 7) ولا يعرف أيضا ما الذي جعل Coudray ينسب الى الحسن الوزان المعلومات التي تفيد أن العلاقات التجارية بين تلمسان وبلاد السودان بدأت أيام الدولة الموحدية (Relations Commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan, dans bulletin de la Société de géographie d'Alger, 2e année 1887, p.243 بينما يذكر الحسن الوزان أن ذلك حدث في عهد المرابطين (Description, T.2., p.46).

2) Dufourcq, l'Espagne catalane, p. 311.

3) Pérès, op. cit, p. 412 ; Dhina, op. cit, p. 236.

ولم تخف على حكام تلمسان أهمية التبادل التجاري، منذ وقت مبكر، لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب، وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصور الوسطى[1]، وهذا ما يفسر محاولة الأمير يغمراسن (633 ـ 681هـ/ 1235 ـ 1283م) الاستيلاء على سجلماسة، محطة القوافل في طريق جنوب الصحراء، ودخوله في صراع مع المرينيين من أجل السيطرة عليها، وقد استولى عليها سنة 662 هـ / 1224 م لكن الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني احتلها في صفر سنة 673 هـ[2]/ 1274 م .

وكان أبو حمو موسى الأول (707 ـ 718هـ/ 1307ـ1318م) يدرك أيضا أهمية التجارة مع بلاد السودان كما يبدو ذلك من قوله : ((لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ومنه ما يغير من العوائد ويجر السفهاء الى المفاسد))[3].

وفي أيام أبي تاشفين الأول (718ـ 737هـ/1318ـ1337م) ازدهرت التجارة بين امارته وبلاد السودان ،وكتب الى جاك الثاني ، ملك أراغونة (1279ـ 1327م) قائلا :

---

1) Coudray, op. cit, p. 428 .

2) عندما استولى يغمراسن على سجلماسة ، عقد عليها لولده يحي ،وبعده لابن أخته عبد الملك بن محمد (العبر، 7، ص175ـ 176) .

3) المقري ، المصدر السابق، 7، 131 ـ 132 .

((اذا قبلتم شروط هذا الاتفاق... واذا أردتم قرضا من الذهب فاننا نقرضكم ما نستطيع...))[1] ولا شك أن التجارة مع بلاد السودان ساهمت في إثراء تلمسان والتلمسانيين[2] الى الحد الذى أصبح فيه أمراؤها قادرين على منح قروض لغيرهم وقد كان هؤلاء يراسلون ملوك مالي ، كما ارتبط هلال القطلاني ، حاجب أبي تاشفين الأول ، بالصداقة مع منسى موسى ، ملك مالي (707 هـ أو 712 هـ /1307 أو 1312م) ـ 735هـ أو 737 هـ [3]/ 1332 أو 1337 م) عندما التقى به في موسم الحج ، بمكة[4] ، وقد يكون هذا الارتباط ناتجا عن ازدهار العلاقات التجارية بين بلديهما ، كما كانت له ولا شك ، نتائج إيجابية بعد ذلك في الميدان التجاري .

وقد كوّن الاخوة المقري الخمسة شركة تجارية وتعاملوا مباشرة مع ملوك مالي الذين كانوا يحسنون استقبالهم ويشجعونهم على ممارسة التجارة في بلادهم ، وقد تبادلوا الرسائل مع منسى موسى[5] الذى خاطب بعضهم ((بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب))[6] كما كان يطلب منهم تعز ويده بما يحتاجه من بضائع

---

1) عن هذه الرسالة أنظر: Dhina, les Etats de l'occident, P.503

2) Dhina, le royaume Abdelwadide, quesques aspectd économiques p. 12 ; Marçais (G), Temcen et le Commerce Eurafricain, pp. 9 - I0.

3) Cuoq (J), op. cit., P. 79 sqq ; Mauny (R), ibid, pp. I94 - I95

4) انظر: Coudray , op. cit. , P. 247 ؛ عن رحلة منسى موسى الى الحج ، انظر: Omari, op. cit. , P. 70 sqq.

5) انظر ماقبل ص 35 ـ 36

6) المقري ، المصدر السابق ، ص 132 .

أي ((يستقضي منه ما ربه))[1] ، وهذا معناه ان الاخوة المقري كانوا همزة وصل بين سلاطين تلمسان وملوك بلاد السودان في المجال التجاري .

وقد اتخذ ، منهم ، عبد الواحد وعلي ، الذين استقرا بإيوالاتن ، بمن معهما ، ((الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الاماء ...))[2] تماما كما كان يمكنهم أن يفعلوا في بلدهم أو في أي مكان آخر من دار الاسلام ، وليس شرطا أن زواجهم ، في تلك الأقطار ،من بلاد السودان ،كان لغرض تسهيل العمليات والصفقات التجارية كما يرى Coudray[3] .

الى جانب عائلة المقري ، اشتهرت عائلات تلمسانية أخرى، بالتجارة مع بلاد السودان ، مثل عائلة العقباني ، وعائلة المرازقة ، وكانت لها علاقات حسنة مع أمراء تلمسان وملوك بلاد السودان الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم[4] ، وقد التقى ابن بطوطة، أثناء رحلته ، بعدد من التجار التلمسانيين ، وكانوا يقيمون بمالي : ذكر منهم محمد الفقيه الجزولي الذي اكترى له دارا هناك، وصهره الفقيه المقري عبد الواحد وابنه ، والشيخ اللبان التلمساني، الذي كان مقربا من منسى سليمان (حوالي 1341-1360)[5] والملاحظ أن ابن بطوطة ، عند حديثه عن تجار المغرب الأقصى

---

1) المقري ،المصدر السابق ، ص 132 .

2) نفسه .

3) op. cit., p. 247

4) id.

5) ابن بطوطة ،الرحلة ،ص444 وهنا وهناك؛ عن منسي سليمان أنظر: Mauny; op. cit., p. 195 - Cuoq (J): op. cit., p.79.

ومصر، لم يذكر مثل هذا العدد[1] .

وكان العرب المقيمون بالمغرب الأوسط من ذوي عبيد الله، من المعقل، وبني عامر، من زغبة يمارسون التجارة مع بلاد السودان، وكان ذوو عبيد الله يقومون برحلة، في شتاء كل سنة، من بلادهم الواقعة قبلة (جنوب) تلمسان[2]، فيتوجهون الى قصور توات، وبالأخص تمنطيت، ومنها الى أرض السودان[3] .

وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين بلاد المغرب، ومن بينها تلمسان، وبين بلاد السودان، الى القرن الخامس عشر الميلادي، ولما أخذت تضعف أثناءه تأثر ازدهار الممالك السودانية الذي كان قائما

---

1) انظر: Coudrey, op. cit., p. 248 .

2) ابن خلدون، العبر، 7، ص 119، وتعني كلمة القبلة، الجنوب (Dozy (R), supplément aux dictionnaires arabes, T.II, p.305 .

3) نفسه، حسب مصطفى أبو ضيف فإن التجار: يبدو أنهم كانوا يعتمدون على حماية بعض فرسان ذوي عبيد الله في الجزء الأخير من الطريق نظرا لطوله، من ناحية وكبر حجم قوافلهم من ناحية أخرى (القبائل العربية في المغرب، ص 324) .

عليها الى حد كبير حتى أن سلطان بورنو[1] كان قد بعث برسالة الى علماء توات يذكر لهم فيها أن التجار لم يعودوا يقصدون بلاده بأعداد كثيرة كما كانوا يفعلون من قبل[2] .

ويرد موني (Mauny) النقص الذي طرأ على عدد التجار، بين توات وبلاد السودان، الى تصدي التوارق

---

1) بلاد بورنو، تقع على مسيرة أربعين يوما من تكدا ، وأهلها مسلمون ، كان يحكمها أثناء قيام ابن بطوطة برحلته ملك اسمه ادريس. (الرحلة ، ص454) ؛ وتسمية بورنو تطلق على ناحية من بلاد السودان الغربي ليس لها تحديد جغرافي دقيق (أنظر: Whitting (J.) ; E.I., Art. Bornû, T.I. , p. 1297
في ناحية شمال نيجيريا (Léon l'Africain; op. cit., T.2.p. 480)
وترتبط بداية تاريخ مملكة بورنو بامبراطورية كانم Kanem التي انتشر فيها الاسلام منذ القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أو قبل ذلك وامتد نفوذها ، في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) الى مصر، وفي حوالي 791هـ / 1390م تمكنت إحدى القبائل من طرد الأسرة الصيفية Sayfide الحاكمة ؛ من كانم ، فهاجرت الى غرب بحيرة تشاد حيث أسست مدينة Binni N'gazargamu على ضفاف نهر يو Yo سنة 875هـ/1470م فأصبحت العاصمة الجديدة لمملكة بورنو والشعب الكانوري Kanuri لمدة ثلاث قرون (انظر: Whitting ; op. cit., pp. 1297 - 1298).

2) انظر: زبادية المرجع السابق، ص 213 ؛ يوجد نص ترجمة هذه الرسالة في Martin A.G.P., les Oasis Sahariennes, 1908, pp. 122-3).
أما النص العربي فقد فقد (Cuoq (J) ; op. cit., p.252, note 705) ويميل هذا الاخير الى رأي Palmer (H.R.) في كتابه The Bornû Sahara And Sudan, 1936 في القائل - ان الرسالة بعثت في عهد علي غادجيدني Ghadjideni (1465- 1497م) وان تاريخها ينبغي أن يقرأ 883هـ/1478م بدلا من 843هـ/1440م ويرد Cuoq هذا الميل الى كون ذلك يناسب أكثر ظروف ذلك العصر المتميز بتأسيس العاصمة الجديدة N gazargamu (1477م) التي كانت تبحث عن منافذ تجارية . (op,cit,p.252,note705)

لليهود ، الذين سيطروا على التجارة في المنطقة ، ومنعهم من المرور[1] .

الا أن الحركة التجارية لم تتوقف الى الأبد ،إذ سرعان ما نشطت من جديد ، في عهد مملكة سنغاي التي أصبح ملوكها يهيئون الظروف الملائمة لاستقبال التجار في وطنهم ويوفرون لهم الأمن ويستقبلونهم في قصورهم[2]، وقد صارت توات آنذاك أهم نقطة تنطلق منها القوافل الى بلاد السودان ،وتكاثر عدد التجار التواتيين في تمبكتو وغاو ،وخاصة أيام الأسقيا الحاج محمد الأول (1493 ـ 1528م) ، وقد التقى ببعضهم محمد بن عبد الكريم المغيلي[3] ، عندما زار مملكة سنغاي سنة 1502م[4] / 907 هـ .

وكما كانت الحركة التجارية نشطة بين امارة تلمسان وبلاد المغرب وبينها وبين المشرق الاسلامي وبلاد السودان ، كانت أيضا نشطة بين تلمسان وبين بلاد البحر الأبيض المتوسط المسيحية المتمثلة في جمهوريات ومدن جنوب أوروبا الغربية .

---

1) Les Juifs de l'Afrique Noire, Daker, 1949, Paris, p.360.

2) انظر زبادية ،المرجع السابق ،ص 213.

3) ينتسب الى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان ،ولا يعرف شيء عن تاريخ ولادته، اتصل بالاسقيا الحاج محمد،عندما سافر الى بلاد السودان ،فأكرمه ،واستفتاه في بعض القضايا ، توفي المغيلي سنة 909 هـ بتوات (اسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق زبادية ، الجزائر ، 1974، ص 6 فما بعدها) .

4) Mauny : op. cit., p. 373.

ثالثا : الحركة التجارية بين امارة تلمسان ومدن جنوب أوروبا :

هنا أيضا يصعب تحديد تاريخ بداية العلاقات التجارية بين مدن جنوب أوروبا الغربية ومدن المغرب الاسلامي لأن المصادر التاريخية لم تهتم كثيرا بهذا الموضوع، ويكتفي الباحثون، بالتعميم وذكر فترات تقريبية كقولهم: في بداية القرن كذا وفي آخر القرن كذا، وعند الاعتماد على النتائج التي توصل اليها هؤلاء يمكن القول أن المسيحيين، في بعض المدن الايطالية، بدأوا يحتكون بالمسلمين في المدن الساحلية، بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، منذ القرن العاشر الميلادي[1] (الرابع الهجري)، أي في نفس الوقت الذي انتظمت فيه حركة التبادل بين بلدي المغرب والسودان الغربي.

ومنذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) أصبح التبادل التجاري كثيفا بموانيء المغرب الاسلامي، اذ كان التجار، من مختلف الأديان والمناطق، يلتقون بها، مما أدى الى ظهور دينا ميكية جديدة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وقد نشط الايطاليون والبروفنساليون (الفرنسيون) والقطلانيون[2]،

---

1) Renouard5 (Yves) ; Le rôle des hommes d'affaires italiens, dans la méditerranée au moyen âge, dans Revue de la méditerranée, 1955, p.7.

2) Fey (H.L.) ; op. cit., p. 38 .

في هذه الموانيء ،ومن بينهما وهران وهنين اللذان كانت العاصمة الزيانية ، تستخدمهما لتصدير الفائض من بضائعهما الى أوربا ولاستقبال ما تحتاجه منها .

وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين مختلف مدن المغرب الاسلامي الساحلية وبين مدن جنوب أوربا الغربية ، بعد سقوط الدولة الموحدية[1]، وقيام دولة الحفصيين ؛ بالمغرب الأدنى ، ودولة الزيانيين ، بالمغرب الأوسط ، ودولة المرنيين ؛ بالمغرب الأقصى .

ويلاحظ أن العلاقات السياسية بين الامارات المغربية وجمهوريات أوربا الجنوبية كانت متوترة ، في بداية الأمر ، يطغى عليها طابع القرصنة والغارات العسكرية ، وزاد من توترها قيام الحروب الصليبية لكن المصالح التجارية صارت تأخذ مكانها شيئا فشيئا ، خاصة بعد حملة لويس التاسع[2] سنة 1270م على افريقية ، حيث تم عقد معاهدات عديدة ،ذات طابع سلمي تجاري ،بينهما ،كانت تنص في أغلبها على حماية التجار ومصالحهم في مدن بلاد المغرب[3] ؛ ومنذ نهاية القرن الثاني عشر وبداية

---

1) Dhina, Les Etats, p. 406.

2) هو لويس التاسع أو القديس لويس، ولد سنة 1215م، توج بعد وفاة أبيه لويس الثامن سنة 1226م ،وتوفي بتونس في نفس السنة التي قام فيها بحملته الصليبية عليها (أي في سنة 1270م) متأثرا بداء الطاعون (Dezobrey et Bachelet ; Dictionnaire de Biographie et d'histoire, T.2., pp. 1225 - 1226).

3) Dhina ;op.cit., p.406 ; Maslatrie :op.cit.,T.1.,p.170.

القرن الثالث عشر الميلاديين، استقرت في المملكة الزيانية جاليات تجارية: ايطالية وفرنسية وأراغونية قطلانية في مدن وهران وهنين وتلمسان[1].

وكان نشاط أغلب التجار المسيحيين منحصرا في الموانئ والمدن الساحلية وفي مدينة تلمسان[2] عاصمة الدولة الزيانية.

وقد نشطت الحركة التجارية أولا بين مملكة تلمسان والجمهوريات الايطالية، لأن الايطاليين كانوا أنشط من غيرهم في هذا المجال في البداية، ثم يأتي، بعدهم، الفرنسيون الذين كانوا يتوسطون بهم، وقد عاصروا تقريبا المرحلة الأولى من ازدهار الحركة التجارية ويأتي، بعدهم، القطلانيون الأراغونيون الذين سيطروا على الحوض الغربي، في وقت متأخر.

أ) الحركة التجارية بين امارة تلمسان وجمهوريات إيطالية:

منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، أصبحت الحركة التجارية، بين إيطاليا وبلاد المغرب، منتظمة، بفضل المنشآت التجارية في موانئ المنطقة ورسمية، بفضل المعاهدات التجارية، منذ أيام الموحدين[3].

وقد كان الايطاليون يمارسون نوعين من التجارة: تجارة التوزيع وتجارة النقل، ويغلب النوع الثاني على

1) Fey (H.L.); op.cit., p.41, note 1.

2) Maslatrie ; op. cit., T.1. p. 183.

3) Brunschvig ; La Berberie Orientale, T.1., p. 25.

الأول فيما يتعلق بنشاطهم في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، وكانت بمدينتي وهران و هنين مراكز لتخزين السلع المستوردة ، وكان الايطاليون هم الموزعين لها[1] كما كانوا ينقلون المسافرين من المشرق الى المغرب والعكس[2] .

وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، اشتد التنافس بين جمهوريات بيزا وجنوة والبندقية ، وتقلص نتيجة ذلك نشاطها التجاري مع مدن المغرب الاسلامي ، خاصة أثناء حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ، لكنها توصلت الى عقد هدنة بكريمون (Crémone) بينهما يوم 22 أوت 1270م وعاد نشاطهما الى ما كان عليه من قبل[3] .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أنشأ الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى، وبدأوا يهتمون بالتجار منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، ويراقبون الطرق البرية الشرقية ، ثم طوروا أساطيلهم البحرية ونافسوا الإيطاليين فاضطر هؤلاء أن يتخلوا شيئا فشيئا عن المنطقة ،بعدما سجلوا خسائر عديدة في تجارتهم ،وأخذوا يبحثون عن منطقة أخرى تعوضهم ما فقدوه في الحوض الشرقي ، فلم يجدوا أفضل من أن يلتفتوا من جديد الى موانئ بلاد المغرب

---

1) Pelissier ; Mémoires Historiques, p.10 etp.404.

2) Renouard ; op. cit. , pp. 9 – 10.

3) Brunschvig; op. cit., T.1., p. 25.

التي كانت تحتل مكانة هامة في ((خريطة الطرق الكبرى للتجارة الدولية))[1] .

وقد وجدوا بها ظروفا ساعدتهم على النجاح في تحقيق هدفهم، لما كان المغاربة يعانونه من ضعف في صناعة السفن آنذاك ، وسنحت لهم الفرصة ليقوموا بعمليات نقل المسافرين والبضائع بين مختلف موانيء المغرب والمشرق الاسلاميين ، ونقل السلع بين موانيء البلاد الاسلامية وموانيء البلاد المسيحية ، ولكن أهم ما كان يجلب الايطاليين هو ذهب بلاد السودان الذى كان يصل الى أغلب موانيء بلاد المغرب وخاصة تلمسان وميناءيها ، وهران وهنين ،ومنها كان يصدر الى الأندلس ومختلف أسواق إيطاليا [2] .

وهكذا أصبح الايطاليون طيلة القرن الخامس عشر الميلادي، يراقبون جزءا كبيرا من تجارة الذهب في تلمسان وميناءيها ، وفي المغرب الأقصى [3] .

ورغم المجهودات التي كانوا يبذلونها لتغطية طرق الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، فانهم لم يستطيعوا الوقوف طويلا أمام منافسة الأراغونيين

1) Heers (J) ; Le Sahara et le Commerce méditerranéen à la fin du Moyen - Age, dans Annales de l'Institut d'Etudes Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger, T. 16, Alger, 1958, p. 247.

2) Heers (J.); op. cit., pp. 247 - 248 .

3) ibid , p. 252 .

الشديدة في المغرب الأوسط، فقد بدأ الاسبان يعرقلونهم منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ)، وكثرت الخلافات بينهم، وأصبح الاينطاليون يحصلون على الذهب من قادس، وليس مباشرة من مدن المغرب الاسلامي[1].

ومما تجدر ملاحظته، أن الجمهوريات البحرية الايطالية التي كانت مستقلة بعضها عن بعض، وكانت لكل منها سياستها وعلاقاتها الخاصة مع بلاد المغرب عموما، ومنها دولة بني عبد الواد، قد اختلفت علاقات كل منها بتلمسان، حسب الظروف السياسية العامة والخاصة، ومن هنا يكون ضروريا دراسة نشاط الحركة التجارية بين امارة تلمسان وبين هذه الجمهوريات الايطالية، كل منها على حدة، حسب أهمية ذلك النشاط، وتأتي في مقدمتها جمهورية جنوة، تليها البندقية ثم بيزا وأخيرا فلورنسا.

الحركة التجارية بين امارة تلمسان وجمهورية جنوة:

أسس جنوة Genua أو Genoua بالايطالية، الليجيريون (Léguriens) حوالي 707 ق م في خليج جنوة وحصلت في عهد الأباطرة الرومانيين على دستور بلدي (Constitution Municipale) وعندما غزاها العرب سنة 936، كان يحكمها قناصل بالتناوب وعددهم أربعة أو ستة، وتدوم مهمتهم ثلاث أو أربع سنوات، يساعدهم مجلس الأعيان

---

1) Heers ; op. cit., p. 252 ; Maslatrie ; op. cit. , T.1. p. 338

وتحاسبهم جمعية الشعب التي تتداول في المسائل الهامة[1] .

وقد حصلت جنوة من بيزنطة ، على امتياز امبراطوري سنة 1056م ، أكد حق سكانها في الحصول على الرسوم الجمركية من أسواقهم ، وأصبحوا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ينتخبون قناصلهم من العائلات العريقة لقيادة القومون[2] .

ومنذ عام 1191م ، صار الجنويون ينتخبون البودستا[3] من بين نبلائهم ليحكموا مدة سنة واحدة[4] .

وكانت جنوة قد أهتمت منذ تأسيسها بالتجارة ،

---

1) Dezobry et Bachelet ; Dictionnaire de Biographie et d'histoire, T.2. , p. 1223.

2) ظهرت القومونات أول الأمر في ايطاليا ، ويعني مصطلح قومون المدينة التي ارتبطت عناصر سكانها في حلف وحصلوا على استقلال لهم عن طريق القوة ، ويطلق على المدينة ذات السلطة السياسية المستقلة ، بمعنى أن أهلها يختارون حكامهم وموظفيهم دون أن يكون هناك مندوب من قبل سيد أو حاكم خارجي يتحكم فيها ، لهذا يطلق عليها اسم الجمهورية ، أما التزامات القومون نحو السلطة السياسية العليا في الدولة كالامبراطور ، أو الملك فكانت محدودة بمبلغ معين من المال يدفع سنويا وقسط معلوم من الخدمة العسكرية (انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور ، حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت ، 1976 ، ص [illegible] ؛ Dezobry et Bachelet : op. cit., T.1. p. 681).

3) البودستا Podestats أو Potestats هم قضاة الامبراطورية الذين عينهم فريدريك الأول (Fréderic 1er) أثناء انتصاراته بايطاليا لتعويض القناصل وقد أخذت مختلف المدن الايطالية تطبق هذا النظام بمحض ارادتها ، منذ نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، (Dezobry et Bachelet :op. cit.,T.2., p. 2270)

4) عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص 33 .

وهي من أهم المدن الساحلية التي ساعدت الحروب الصليبية على تطوير البحرية فيها[1]، بسبب ما كونته من أساطيل بحرية لنقل الصليبيين وتموينهم، وهي أساطيل ساهمت في تنشيط الحركة التجارية في البحر الأبيض المتوسط[2].

وكانت علاقتها بمدن المغرب الاسلامي الساحلية في البداية تتسم بالعنف المتمثل في قيام كل طرف بعمليات القرصنة ضد الطرف الآخر وفي الغارات المتبادلة، وكانت تتخلل حالة الحرب هذه فترات سلم، تقوم فيها علاقات تجارية عادية[3]، وكانت لغارات الجنويين على الموانئ المغربية، علاقة بالحملات الصليبية وبمحاولة التوسع البحري لجمهوريتهم[4]. وفي هذا الاطار تدخل الهجومات التي شنها الجنويون على طول السواحل الشمالية، ابتداء من بجاية الى المغرب الأقصى، فيما بين 532هـ - 533هـ (1137م و 1138م)، وكانت نتيجتها إبرام معاهدات صلح وتجارة بين هذه الجمهورية ودولة الموحدين، في بلاد المغرب الاسلامي، وضعت فيها أسس

---

1) Brunschvig: op. cit.,T.1.p. 25

2) Schnapper (B.), Richardot (H.); histoire des faits économiques jusqu'à la fin du XIIIe siècle, Dalloz, 1971, p. 129.

3) انظر: Bautier (R.H.) ; Les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du Nord et l'équilibre économique méditerranéen du XII au XIVe siècle, bulletin philologique et historique, 1955, pp. 400 - 401.

4) id.

التبادل بينهما ، وبذلك بدأت العلاقات تنتظم وتزدهر بين الطرفين[1] ؛ وقد سجل وجود الجنويين في ميناء وهران منذ 1179م[2] ، وبقي هذا التبادل التجاري هاما طيلة الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي[3] ، وكانت عائدات جنوة منه كبيرة[4] .

ومن أجل الحفاظ على هذا الوضع ، حاولت جنوة السيطرة على سواحل بروفانس ولانجدوك ، جنوب فرنسا[5] ، ونافست بيزا في سردانيا وكورسيكا وصقلية وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، بدأ نشاط الجنويين يتقلص في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وقد يكون اضمحلال كليبة[6] ، وحلول ظهور القوة القطلانية[7] في المنطقة ، وما سعى اليه ملوكها من توطيد علاقاتهم مع أمراء المغرب الأوسط وخاصة تلمسان ، هو السبب الرئيسي لهذا التحول

---

1) Bautier ; op.cit., p. 400 - 401 .

2) Dufourcq ; L'Espagne Catalane et le Maghrib, p. 134 , note 22 ; ويقول Maslatrie ، أن الجنويين كانوا يمتلكون ، منذ تاريخ قديم ، ولم يحدد ذلك التاريخ مقرا للقنصلية بوهران (op. cit., p. 337-338) ، ويضيف Heers هنين (op. cit. , p. 251) .

3) Bautier ; op. cit., pp.410-411 .

4) لدرجة أن حصيلة الضرائب السنوية بميناء جنوة بلغت 4900 (جنيها على اساس أخذ 4 (دراهم Deniers) عن كل ما قيمته جنيه واحد من البضائع (Pernoud (R.) : Les villes marchandes , p. 51).

5) انظر ما بعد ص 156 فما بعدها .

6) Bautier ; op. cit., p. 414 .

7) أنظر : ما بعد ، ص 173 فما بعدها .

وكان للحملات الصليبية دور هام في ذلك أيضا، بحيث أطلع الايطاليون بصفة عامة، والجنويون بصفة خاصة،على الامكانيات التي توفرها الطرق المؤدية الى الشرق الأقصى في المجال التجاري فاندفعت((بكل قواها لغزو أسواق المشرق وجمع ثرواته))[1] .

ولما ظهرت الدولة العثمانية التي سيطرت كلية على طرق التجارة في آسيا الصغرى أبعد الايطاليون[2]، وعلى رأسهم الجنويون الذين ضيحوا، في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي المكانة الفائقة التي كانوا يحتلونها في التجارة الدولية[3]، ولتعويض مافقدوه انطلقوا كغيرهم يبحثون عن مصادر للثروة،في جهات أخرى[4]، وتردد تجارهم على مختلف المدن الساحلية المغربية ومنها مدن المغرب الأوسط،وكانوا مطلعين على ماتدره أسواق تلمسان من أرباح، فجددوا علاقاتهم التجارية معها،وحاول بعضهم التوغل في الداخل من أجل معرفة طرق الذهب وجمع أكبر كمية منه،ومن بين هؤلاء أنتونيو مالفانتي Antonio Malfanté الذى وصل الى توات عن طريق تلمسان[5].

وأمام إلحاح تجار جنوة قرر مجلس الشيوخ (السناتو) إلغاء بعض الضرائب التي فرضت على السلع المستوردة من المدن المغربية في 20 فبراير 920هـ / 1514م[6]، وكانت تجارة

(1 Boutier ; op. cit. , p. 416.

(2 Maslatrie ; op. cit. , T.1, p. 337.

(3 Ganshof (F.M.): Histoire des relations internationales, T.1, Paris, 1953, p.241.

(4 Ibid, p.242.

(5 Heers ; op. cit. , p. 253.

(6 Maslatrie: op. cit. T.1, p. 337.

جنوة، في بلاد المغرب، عرضة لمنافسة بقية الجمهوريات الايطالية كالبندقية وفلورنسا كما تعترضت لعراقيل عديدة من الفرنسيين[1] ، ومع ذلك فقد بقي عدد التجار الجنويين كبيرا في المدن المغربية الساحلية ،ومن بينها وهران وهنين، الى بداية القرن السادس عشر الميلادي عندما تعرضت السواحل المغربية للهجومات الاسبانية[2] .

2) الحركة التجارية بين امارة تلمسان وجمهورية البندقية :

تقع البندقية (Venetia بالاتينية أو Venezia بالايطالية) في نهاية (fond) خليج الأدرياتيك ، على بعد 265 كلم الى الشرق من ميلانو[3]، وقد تميز تاريخها في القرنين الميلاديين الأولين بالغموض ،والى القرن السابع الميلادي كان لكل جزيرة فيها حاكمها العسكري (Tribun) ، وفي سنة 68هـ / 697 م صار للبنادقة رئيس مدى الحياة،هو الدوق (Duc) أو الدوج (Doge)، ثم توسعوا في نفوذهم وفي تجارتهم[4] .

وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، اغتنمت طبقة التجار بالبندقية فرصة ضعف الامبراطورية البيزنطية للتخلص من سيطرتها فانتخبوا دوج المدينة الذى كان يعينه حتى ذلك الوقت الامبراطور، وفي سنة 1143م تكون السناتو

---

1) Maslatrie : op . cit., T.1, p.337

2) Léon l'Africain;op.cit.,T.2.p.324

3) اسمها مشتق من اسم Zénètes أو Hénètes الذين كانوا منتشرين بالسواحل القريبة من مصب نهر اليو Pô والجزر القائمة في تلك النواحي ،وضمتهم روما بعد الحرب الاجتماعية ومنحهم القيصر حق المدينة(Dezobry et Bachelet; op. cit,T.2.p.2872)

4) id.

(أي مجلس الكومون) البندقي، ويضم ممثلين عن معظم العائلات الغنية بالمدينة ورجال الأعمال، وتفرعت عنه التنظيمات التجارية والادارية والعسكرية ومن ثم أصبح التجار يعالجون مشاكلهم، دون العودة الى ممثل الامبراطور[1].

وخلال القرن الحادي عشر الميلادي (5هـ) كونت البندقية أساطيل بحرية لنقل الصليبيين في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط[2] حيث ركزت اهتمامها، دون أن تغفل عن أهمية حوضه الغربي، إذ كانت بواخرها تجوب موانئه[3] المختلفة ومن بينها وهران.

ولم يحدد المؤرخون تاريخ بداية نشاط البنادقية، في وهران ولا في المدن المغربية الأخرى؛ لكن تجارتهم في الحوض الغربي للمتوسط عرفت نفس التطور الذي عرفته تجارة جنوة، اذ بلغت أوجها في النصف الثاني من القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الميلاديين. ثم تدهورت في نفس الوقت الذي تطورت فيه بمناطق الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وازدهرت من جديد في الحوض الغربي

---

1) أنظر: عادل زيتون، المرجع السابق، ص 32.

2) Schnapper (B) et Richardot (H) : op. cit., p. 129.

3) Renouard ; op . cit. , pp.7-8.

أمام تصاعد القوة العثمانية وسيطرتها على طرق تجارة آسيا[1]؛ خاصة بعد الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع على افريقية سنة 1270م وهدنة كريمون التي عقدت في نفس العام بينها وبين كل من بيزا وجنوة، حيث عادت بعدهما الى نشاطها التجاري السابق مع مدن المغرب الاسلامي[2].

وأدرك البنادقة أهمية التجارة مع تلمسان والمدن المغربية الأخرى فبذلوا مجهودات كبيرة للحصول على ذهب بلاد السودان عبر وهران وتونس لتغطية الخسارة التي لحقت بتجارتهم في بلاد المشرق[3]، ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي أصبح لهم فندق خاص في تلمسان، وآخر في وهران التي كانت سفنهم الكبيرة تختلف الى مينائها المرسى الكبير[4].

وفي سنة (879هـ / 1483م) أرسل أمير تلمسان، محمد الثابتي (873 - 910هـ / 1468 - 1505م)، مبعوثا الى مجلس السيناتو البندقي، يعرض عليهم فتح قنصلية وإبرام معاهدة تعاون، لأن فندقهم كان تحت اشراف القنصل الأراغوني، وقام بنفس المحاولة في مارس 894هـ / 1488م لكن القرار البندقي الذي أتخذ في هذا الشأن بقي غير معروف[5]،

---

1) Brunschvig; op. cit., T.1., p. 269.

2) Ibid, p. 65.

3) Ganshof ; op.cit., p. 242.

4) Maslatrie, traités, T.1. p. 266; T.2., p.258، حسب Offrey فان البنادقة أصبح لهم فندق في تلمسان في القرن الخامس عشر الميلادي (op. cit., p.17)

5) انظر: Doumerc (B.) ; Venise et la dysnastie Hafside à la fin du XVe S, dans cahiers de Tunisie, Tome 29, n°117-118, 1981, P.573.

وقد يكون البنادقة استسلموا للأمر الواقع أمام التفوق الأراغوني عليهم .

وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي ، كانت السفن تتجمع وتخرج في النصف الثاني لشهر جويلية، من كل سنة ، لتبدأ رحلتها عبر موانيء البحر الأبيض المتوسط ، متجهة جنوبا الى طرابلس ثم تعود شمالا الى جربة وبعدها افريقية الشرقية ثم الشمالية فموانيء المغرب الأوسط ،وعلى رأسها وهران حيث كانت ترسو مدة عشرة أيام ، في حين أنها لم تكن ترسو بميناء بجاية أو الجزائر مثلا سوى أربعة أيام[1] ، ومن وهران تتجه الى المغرب الأقصى[2] فموانيء الأندلس ومملكة أراغونة لتعود عبر ميورقة الى ايطاليا ؛ ومن أجل هذه الرحلة الطويلة كون التجار الايطاليون سنة 1436م" المدّة" (Muda) وهو الخط التجاري الذي يؤمن المواصلات الى بلاد المغرب[3] وتسمى أيضا أسطول بلاد البرابرة[4] (La conserve de la Barbarie) ، والهدف من هذه " المدة" هو تزويد مدن المغرب الاسلامي بالمواد

1) انظر: Lespes ; Oran, ville et port , p. 292.

2) نفسه؛ Brunschvig ; op. cit, T.1.p.269.

3) Doumerc (B) ; op. cit., p. 573.

4) Maslatrie ; Traités de paix, T.1, p.266; T.2.p.258؛ وتعني كلمة " مدة " أيضا قافلة الموسم (مراكب المدة) كما تدل على وقت رحيل السفن وعودتها ، ثم تطورت لتشمل أنواع السلع التي تحمل على سفن معينة وتصل في أوقات محددة فـ(مدة سبتمبر) تدل على اسطول الشرق العائد في شهر سبتمبر الى أوروبا ، كما تطلق هذه التسمية على مدة بقاء السفن في الموانيء (مدة المدة) (أنظر نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص 178-179 ، هامش 137) .

المستوردة من الشرق،عبر البندقية ،وفتح أسواق لمصنوعاتها[1].

وقد تنافس الاسبان هذه الجمهورية بشدة وتعددت الحوادث بين الطرفين : ففي عام 893هـ / 1487 م، كثرت الخلافات بين قادة البنادقة البحريين وبين الأميرال Villamirin ، قائد الأسطول الأراغوني ،وفي عام 906هـ/ 1501 م ، أوقف الاسبان المدة البندقية،وأجبروا التجار المسيحيين الذين كانوا بها على اعتقال المسلمين الذين كانوا بسفنهم ، وصادروا أملاكهم، وفي سنة 911هـ/ 1506م منع دومينيكو كابلو (Dominico Capello) من الارساء في ميناء وهران، كما جرت العادة ، وبقي الصراع حول موانيء تلمسان قائما بين الطرفين الى أن احتلها الاسبان سنة 914هـ / 1509 م[2].

وقد أرسلت جمهورية البندقية شكوى ،الى فرانسوا كورنارو François Cornaro ،قنصلها لدى شارلكان[3]، يوم 22 مايو 1518م/ 924هـ ، توضح فيها،باسم مجلس السناتو البندقي، أنه ((عندما كانت وهران في يد المسلمين لم يكن البنادقة يدفعون سوى عشرة في المائة ، لكنهم صاروا يدفعون ضعف ذلك للملك المسيحي فيدفعون عشرة في المائة

---

1) Doumerc : op. cit., p.573.

2) Doumerc : op. cit., p.580

3) هو شارل الخامس أو شارلكان ،ولد سنة 1500م وتوج ملكا على أراغونة وقشتالة ونافار سنة 1516 وبعد وفاة جده لأبيه الامبراطور مكسيمليان الأول سنة 1519م لقب امبراطور و شملت امبراطورية أراضي شاسعة ،منها الأراضي المنخفضه ولكسمبورغ وأرتوا و فرانشكونتية ونابلي وصقلية وسردينية وأمريكا الاسبانية ،وتوفي في 1 سبتمبر1558م (Dezobry et Bachelet: op.cit,1, 565-6 ؛ الموسوعة العربية الميسرة ،ط. القاهرة 1965، ص.1064- 1065).

عند دخول الميناء وعشرة في المائة عند الخروج))[1] .

وأخيراً ضطر البنادقة الى التخلي عن ميناء وهران واللجوء الى ميناء هنين ، حيث كان يستقبلهم التجار التلمسانيون، في ظروف أحسن بكثير، ومن هناك تتوجه سلعهم الى تلمسان[2] .

3) الحركة التجارية بين امارة تلمسان وجمهورية بيزا :

تقع بيزا (Pisa و Pisae باللاتينية و Pisa بالايطالية) بمقاطعة توسكانيا Toscane، على ضفة نهر أورنو Orno وعلى بعد 80 كلم، الى الغرب، من مدينة فلورنسا، وتبعد عن البحر بأحد عشر كلم[3] .

أصبحت بيزا مستعمرة رومانية، منذ القرن الثاني قبل الميلاد[4]، ثم صارت تابعة للدولة البيزنطية الى عام 476هـ / 1081 م حيث أعطى الأمبراطور هنري الرابع أهلها براءة، منحهم بموجبها حقهم في السيادة الكاملة على مدينتهم ، كما وعدهم بعدم تعيين أي مركيز في توسكانيا دون موافقة القناصلة الاثنى عشر الذين ينتخبهم البيازنة لحكم مدينتهم، وبعد أربع سنوات شكلت مدينة بيزا قوموناً مستقلاً، حل فيه القناصلة محل السادة الاقطاعيين في إدارة شؤون المدينة[5]

---

1) Maslatrie; op. cit., T.2.p.273 sqq.

2) Basset (R); Nedromah, p.100 ; Marçais (G); Recherches d'archéologie musulmame, Honaine, p. 242.

3) Dezobry et Bachelet: op.cit, T.2.p. 2254.

4) Id.

5) عادل زيتون، المرجع السابق، ص 33.

وقد بدأ البيازنة يحتكون بالمسلمين في المدن الساحلية المغربية ، منذ القرن العاشر الميلادي ،كانت العلاقة تجارية أحيانا وحربية أحيانا أخرى ،خاصة عندما تأثرت بالحملات الصليبية[1] ، غير أن المعلومات الخاصة بالتجارة البحرية ،بين هذه الجمهورية وبين بلاد المغرب،غير متوفرة والكلام عنها ،في غالب الأحيان عام، إذ يذكرها المؤرخون الى جانب جنوة والبندقية .

فيما يخص نشاط الحركة التجارية ،بين بيزا وبين تلمسان، يرى دوفورك Dufourcq أن البيازنة كانوا يختلفون الى ميناء وهران منذ 686 هـ / 1186م [2] ، ومن المعلومات التي تيسر جمعها في هذا الموضوع أن أحد أرباب المال ،ويسمى قوالدو رينوكي Gualdo Rinucchi البيزاني، جمع زمالة[3] شخص يقال له لورانزوبنداكي Lorenzo Bendacchi ، قدرها 150 فلورين[4] ليشتري بها سلعا من بلاد المغرب، وقد أبحر في احدى بواخر شركة جيو فاني ديلا نييلو (Grovani Dell Agnello) ، ونفس الشركة ارسلت باخرة الى مدينة مستغانم الزيانية لتبيع بعض السلع وتشتري الصوف سنة 1360م[5] 762هـ .

---

1) Renouard ; op. cit., p. 7.

2) Dufourcq : l'Espagne Catalane,p.134 note 2

3) الزمالة هي عقود تجارية رسمية ،تسمى في البندقية Collegansa وفي بقية المدن الايطالية Commenda (عنها أنظر عادل زيتون،المرجع السابق،ص 37)

4) عن قيمة الفلورين أنظر ما بعد ،ص 229

5) Mekia Bensaci ; Familles et individualités pisanes, cahiers de Tunisie, T. 28, n° 113 - 114, 1980, p. 108.

وقد تطورت هذه الشركة حتى أصبحت تمثل قوة تسيّر الشئون السياسية في القومون عن طريق تولي بعض أفرادها السلطة، وقد شجع هؤلاء ابرام معاهدات تجارة وصلح مع امارات بلاد المغرب[1]، ومنها ولا شك الامارة الزيانية، لأن عدم العثور على معاهدات بين بيزا وتلمسان ليس دليلا على عدم وجودها فربما ضاعت تلك المعاهدات أو لم تكتشف بعد ؛ وفي القرن الخامس عشر الميلادي بدأت الحركة التجارية تضعف بين بيزا وبين بلاد المغرب، لأن فلورانسا بدأت تطغى عليها حتى ضمتها اليها نهائيا .

4) الحركة التجارية بين امارة تلمسان وفلورانسا :

تقع مدينة فلورانسا (Firenze بالايطالية) بمقاطعة توسكانيا، على ضفتي نهر أورنو Orno ، تبعد عن روما بـ 245كلم الى الشمال الشرقي منها ، وكانت تابعة لمركيزة توسكانيا[2] في أواخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادي بين عندما أخذت تعمل على التحرر من السلطة المركزية البيزنطية، كغيرها من المدن الايطالية الأخرى ثم توسعت شيئا فشيئا، فاستولت على بيزا وبعض المناطق الأخرى في القرن الخامس عشر الميلادي وأصبحت بذلك تسيطر وحدها على منطقة توسكانيا كلها وهكذا كونت قومون فلورنسا[3] .

---

1) Maslatrie; op. cit., T.1, p. 255.

2) Dezobry et Bachelet; op. cit., T.1p.1104.

3) Renouard (Yves) ; Histoire de Florence, France 1964, PP. 6 - 7.

وقد استخلف تجارها تجار بيزا ، منذ 863هـ/ 1458م حيث أصبحت بواخرها تخرج من ميناء بورتو بيزانو Porto Pisano أو ميناء ليفورن Lévourne ، في شهر أفريل أو أوت ، وتتوجه الى جنوة ، ومن هناك تأخذ طريقها الى موانيء المغرب الأدنى ثم الى الجزائر لترسي مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك تتوجه الى وهران فتتوقف مدة ستة أيام ومنه الى هنين لتمكث ثلاثة أيام ثم تستأنف طريقها الى موانيء الأندلس[1] .

وقد كانت تجارة فلورنسا نشطة ومنتظمة ، في موانيء بلاد المغرب الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي[2] ، لكن الهجومات الاسبانية المتكررة على وهران عرقلت تطورها مع الامارة الزيانية .

ب) الحركة التجارية بين امارة تلمسان ومدن جنوب فرنسا :

ظهرت بجنوب فرنسا منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي قومونات كل من مرسيليا ومونبيلي وناربون[3] ، وكانت تعتمد في اقتصادياتها على نشاطها التجاري ، لما كانت تتمتع به من مواقع بحرية تساعدها على التفتح على سواحل البحر الأبيض المتوسط .

وقد بدأت العلاقات التجارية بين تلك القومونات وبلاد المغرب في آخر النصف الأول من القرن الثاني عشر

---

1) Lespes ; op. cit., p. 292 ; Maslatrie ; op. cit,T. ;p333.
2) Ibid, p. 335.
3) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 447.

الميلادي ، حيث احتلت المرتبة الثانية في نشاطها التجاري ، بعد القومونات الايطالية ؛ وكانت تعتمد في البداية على ساطة جنوة لكنها أصبحت تعول على نفسها شيئا فشيئا ، منذ الثلث الثاني من النصف الثاني للقرن الثالث عشر الميلادي[1] وقد أخذت أحوال ناربون تتدهور ، منذ لك الوقت ،بسبب تراكم الرواسب في مرفئها[2] وهو ما يفسر عدم بروزها الى جانب كل من مرسيليا ومونبيلي في الوثائق والمصادر التي تتعرض لعلاقتهما التجارية مع تلمسان ،وكانت تجارتهما معها تتم عبر ميناء وهران[3] .

1) الحركة التجارية بين امارة تلمسان ومرسيليا :

أصبحت الحركة التجارية بين تلمسان ومرسيليا منتظمة ، منذ أن عقدت هذه الأخيرة معاهدة تعاون مع جنوة سنة 533 هـ / 1138م لتساعدها على عقد معاهدة تعاون وتجارة مع الدولة الموحدية[4] ، وبذلك ظهر تجار مرسيليا لأول مرة في بلاد المغرب في ظل حماية جمهورية جنوة[5] .

---

1) Brunschvig; op. cit, T.1.p.273; Boissonnade :Les relations commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord ou Maghreb, du XII au XV S, dans bulletin de section de géographie, Tome XLIV 1929, P. 4 et 6.

2) الموسوعة العربية الميسرة ،ص.1815.

3) لاتوجد ،حسب Boissonnade اية اشارة تذكر أن تجار جنوب فرنسا كانوا ينزلون ميناء هنين (ibid, p.21).

4) ينشر Maslatrie هذه المعاهدة ويحدد تاريخها بسنة 1138م (op.cit.,T.1,p.88) في حين يحدده Renouard بسنة 1211م (Histoire du commerce de Marseille p. 169).

5) Boissonnade ; op. cit., p. 8 ; Maslatrie ; op. cit., T.1.p.89; T.2.; p.17.

وقد بلغ نشاطهم أوجه في القرن الثالث عشر الميلادي ، كما تدل على ذلك سجلات تجارية تعود الى سنة 680هـ / 1288 م وأخرى تعود الى سنة 654هـ/1255م، عثر عليها بمدينة مرسيليا واستنتج منها دارسوها ان تجار هذه المدينة كانوا يختلفون الى موانيء شمال المغرب الاسلامي ، خاصة سبتة ووهران وبجاية وتونس[1].

وتمتع تجار مرسيليا بجميع امتيازات غيرهم من التجار الأوروبيين ، حيث كان لهم فندق بمدينة وهران الى جانب بعض المراكز التجارية التي يشرف عليها قناصل مستقرون أحيانا ، ومتنقلون أحيانا أخرى[2] .

وكان ينشط التجارة ، بين مرسيليا وبين موانيء تلمسان، أصحاب رؤوس الأموال والمصرفيون، مثل أسرة ماندويل Manduel [3] التي اشتهر منها ايتيان Etienne، وكان يقوم بنشاط تجاري كبير مع بلاد المغرب في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، ومن المعلومات الواردة بشأنه :أنه أقترض سنة 625هـ / 1227 م من مصرفين أو تاجرين مبلغا من المال بوهران[4] ، وفي نفس السنة كُلف، هو وشريكه ايتيان دي فانت Etienne de Fent، اليهودي Bonus Judas ،بالسفر

---

1) Maslatrie; op. cit., T.1, p. 89, T.2, P.17;Boissonnade: op. cit.,p. 8

2) Offrey ; op. cit., p. 17; Lespas; op.cit, p.291.

3) تنتسب أسرة Manduel الى المدينة المعروفة بهذا الاسم Mandolium باللاتينية وتقع شرق مدينة Nimes الفرنسية Blancard (L) ; Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge, T.1, Marseille 1884, p. XVI.

4) Lespes ; op.cit; p.291; Boissonnade;op.cit, p.14.

الى وهران وتلمسان كي يسافر لحسابهما[1]

كما استثمر أيتيان Etienne مبلغا ماليا لا تذكر المصادر قيمته بواسطة تاجر بعثه الى وهران ثم الى تلمسان[2] .

وفي سنة 629هـ/ 1232 م كان مندويل شريكا لتاجر من جنوة في وهران[3]، وفي سنة 1233 م كلف ابنه برنارد Bernard بنقل ستحمولات من القطن الى ميناء وهران، ومنه الى تلمسان[4] ، وفي سنة 646هـ/ 1248 م قام يهودي من مرسيليا هو فريسول Ferrussol بالتجارة لحسابه في مدينتي تنس والجزائر[5] ، وكان أفراد أسرة Manduel يتوجهون أحيانا بأنفسهم الى موانيء تلمسان[6] .

وقد تأثرت العلاقات التجارية بين قومونات جنوب فرنسا وبين بلاد المغرب بصفة عامة ، بسبب الحملة الصليبية التي قام بها لويس التاسع على تونس سنة 703هـ / 1270 م ، مثل ما حدث مع جمهوريات

---

1) Pernond ; Histoire du Commerce de Marseille, T.2, Paris, 1951, P. 170 ; Boissonnade ; Op . cit., p. 16.

2) Sayous (E.A.) ; Les opérations des capitalistes, revue des questions historiques, 1929, p.13.

3) Lespes ; op. cit., p.291; Boissonnade:op.cit, p.16

4) Ibid, p. 16

5) Pernoud· op. cit,T.2,p.170; id

6) Ibid, p. 16

ايطاليا ، لكن المياه سرعان ما عادت الى مجاريها[1] .

وقد لعبت أسرة أوستريا Austria دورا كبيرا في تنشيط التجارة، بين قومون مرسيليا وبين امارة تلمسان في القرن الرابع عشر الميلادي، وإن لم تكن وحدها في الميدان، وهو ما يتضح من المعلومات المدونة بسجل مؤرخ في 19 فبراير 1333 م / 734هـ ، وتتضمن سلفة قدرها أربعة عشر دوبلا ذهبيا تمت في مدينة الجزائر بين تاجرين من مرسيليا ، وفي نفس السنة أجر Jean Atous وشريكه بطرس فانسان Pierre Vincent سفينتهما La Souta Avantura لتجار من مرسيليا ومونبيلي لنقل الزيت وبضائع أخرى الى ميناء الجزائر[2] .

ويعتقد Boissonnade، أن بواخر مرسيليا كانت تقصد ميناء وهران وحده لممارسة التجارة مع الدولة الزيانية[3] غير أن ما أورده Barathier اعتمادا على ما جاء في عقود المدينة ،فيما يتعلق بتوجه بطرس أوستبريا P. Austria بباخرته Linh سنة 752هـ/ 1350م الى هنين[4] يبين أن هذا

---

1) أنظر ماقبل ،ص150 ــ 151يذكر Bautier أن الحركة التجارية بين مرسيليا ووهران انقطعت منذ 1233م لأنه لا توجد ،رأيه،معاهدة بينهما بعد هذا التاريخ Les relations commerciales, p. 411 بينما يذكر Pernoud ان عقدا سجل يوم 1 نوفمبر 1236م يشهد على وجود فندق للمرسيليين بوهران (op. cit, p.170)

2) أنظر: Baratier op.cit,p. 291

3) Les relations commerciales , p. 32

4) op. cit., p. 102

الميناء أيمن . . . يمون تمد لعب دوره في عملية التبادل بين البلدين ، مع التسليم بأن الحركة التجارية بين وهران وبين مرسيليا كانت أكثر انتظاما ونشاطا بحيث أن تجار هذه المدينة الفرنسية خصصوا للقيام برحلا تهم الى وهران ثلث عدد البواخر التي خصصوها لبجاية الحفصية التي كانت تحتل المرتبة الأولى في التعامل التجاري مع مدينتهم آنذاك وتأتي بعدها سبتة ثم وهران في المرتبة الثالثة[1].

وقد حاول تجار مرسيليا القيام بنفس دور الايطالين في نقل البضائع من المشرق الى المغرب،خلال القرن الرابع عشر الميلادي،لكنهم لم يستطيعوا الاستمرار طويلا[2] : ففي القرن الخامس عشر الميلادي تدهورت التجارة بين مدن جنوب فرنسا وبين بلاد المغرب لأسباب أهمها : قيام الاسبان والبرتغاليين بهجومات على السواحل المغربية، بالاضافة الى تطور القرصنة وحروب الروكنكيستا ومنافسة الجنويين والبنادقة التي حطمت المشاريع المرسيلية[3].

ولا يعني ضعف الحركة التجارية القضاء عليها نهائيا إذ عادت لتنشط من جديد منذ 849هـ / 1445م[4]، وقد سجل خروج السفن من موانئ جنوب فرنسا في اتجاه دلس،

---

1) Lespes : op. cit., p. 291
2) Berathier: op. cit.,p.111, note 2
3) Lespes ; op. cit., p. 292
4) Reynaud (Felix) ; Histoire du commerce de Marseille, T.2., Paris 1951, p. 398.

والجزائر في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، في سجلات مدينة مرسيليا[1] : من ذلك أن حاكم أو بيكس أون دو فيني (Seigneur d'Upaix en Dauphiné) المدعو هليون تريسمان (Hélion Tressemnes) اشترى سنة 878هـ/ 1473م سفينة للتجارة بين مرسيليا وموانيء المغرب، توجهت الى ميناء الجزائر وعادت الى مرسيليا في جويلية من السنة الموالية بفوائد كبيرة ، مما شجع شريكه مونون لوران Monon Laurent على القيام برحلة ثانية سنة 880هـ / 1475م على متن سفينة القديس أنطوان Saint - Antoine ، من مدينة طولون الى موانيء بلاد المغرب ابتداء من الجزائر، وشاركته هذه المرة عائلة التوفيتيس[2] (Altovitis) .

وفي جويلية من سنة 1477 م غادرت سفينة من نيس ميناء مرسيليا، الى وهران لنقل صفقة من القمح الى جنوة لحساب الجنويين[3] ، وفي مارس 1480 م توجه بول دو لانيت Paul de Lanhet الى وهران حيث أتصل بأخيه جرجير الذى كان يعمل لحساب التاجر الجنوى لورانت دوريا (Laurent Dauria)[4]

فهذه المعلومات إذًا تقوم دليلا على استمرار الحركة التجارية، بين مرسيلية وبين تلمسان، خلال القرن الخامس عشر وان كانت أقل من ذى قبل .

---

1) Maslatrie; op. cit., T.1. p. 316

2) Reynaud ; op. cit., pp. 403 - 404

3) Ibid, pp. ... 408 .

4) id.

2) الحركة التجارية بين امارة تلمسان و مونبليي :

تعتبر مونبيليي (Montpellier) من القومونات التجارية التي ظهرت جنوب فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي[1]، وقد اهتم بعض أصحاب رؤوس الأموال فيها بالتجارة البحرية التي كان يحتكرها، قبل ذلك، الايطاليون[2]، وأخذ تجار مونبيليي يتوا ردون، منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، على ميناء وهران[3].

وفي سنة 739هـ / 1339م تم عقد معاهدة صلح وتجارة بين السلطان أبي الحسن المريني، الذى أحتل تلمسان سنة 737 هـ / 1337م[4]، وبين ملك ميورقة ومونبيلي جقمة الثاني[5].

وكانت العمليات التجارية التي يقوم بها تجار مونبيليي تتم بفنادق القطلانيين[6] ولا توجد نصوص تدل على

1) تقع مونبيليي على بعد 8 كلم من البحر الأبيض المتوسط الذى يربطها به نهر ليز Lez ،وقد كانت قرية بسيطة قي القرن العاشر الميلادي ثم أصبحت تابعة لمملكة أراغونة سنة 1204م، وفي سنة 1276م اشتراها ملك فرنسا فليب السادس (قارن Dezobry et Bachelet ; op. cit.,T.2,p.1948;Maslatrie;op.cit,T.1,p.119; الموسوعة العربية الميسرة ،ص1788) .

2) Brunschvig; op.cit.,T.1.p.273; Boissonnade;op.cit.,pp.4 et 6.

3) ibid, p. 9.

4) عن احتلال تلمسان وعن أبي الحسن أنظر ماقبل ،ص44 ; Julien (Ch. A) ; op. cit., T.2., p. 178 sq.

5) أنظر مابعد ، ص189 فما بعدها .

6) Boissonnade ; op. cit., p. 11

امتلاكهم لمراكز تجارية أو فنادق خاصة في وهران أو تلمسان، وكانوا يصدّرون سلعهم على متن سفن تابعة لمرسيليا أحيانا[1]؛ وقد مرت حركة مونبيليي التجارية مع تلمسان بنفس المراحل التي مرت بها مثيلتها بين تلمسان ومرسيليا ولنفس الأسباب[2].

وفي القرن الخامس عشر الميلادي حصل تاجر من مونبيليي يدعى برنارد دو فو (Bernard de Vaux)، على أربع بواخر، وزوده الملك الفرنسي شارل السابع 826هـ - 866هـ (1422 - 1461م) بناء على طلب منه، برسائل الى ملوك تونس وتلمسان وفاس تتضمن: توصيات بحسن استقبال السفن الفرنسية[3]، وانقطعت بعد ذلك أخبار العلاقات التجارية بين تلمسان ومونبيليي.

جـ) الحركة التجارية بين امارة تلمسان ومملكة أراغونة:

تقع أراغونة شمال شرق أسبانيا، عاصمتها سرقوسة ((Soragosse)) فتحها المسلمون سنة 96هـ / 714م ثم صارت كونتية تابعة لنفار في القرن التاسع الميلادي، وتسمى باسم النهر الذي يمر قرب جاكا Jaoca، عاصمتها الأولى، لكنها لم تصبح مملكة الا بعد سنة 426هـ / 1034م[4] وتوسعت بعد ذلك لتضم بلنسية وسردينية وكورسيكا وجزر البليار وبيربينيون وروسيليون وسردينيا[5].

---

1) Boissonnade ; op. cit., p. 15

2) انظر ماقبل، ص170 فمابعدها.

3) Reynaud ; op. cit., p. 400.

4) Dezobry et Bachelet ; op. cit., T.1, pp. 126 - 127.

5) Maslatrie ; op. cit., T.1, p.183

وقد أخذت سفن أراغونة تختلف الى غرب ووسط بلاد المغرب منذ 1224م / 636هـ بالرغم من الصراع الذي كان يدور بين البلدين حول جزر البليار[1]، وزاد اهتمام الأراغونيين بالنشاطات البحرية وعلى رأسها التجارة، منذ ضمهم جزيرة ميورقة والجزر التابعة لها سنة 627هـ/ 1230 خاصة وان العلاقات التجارية، بينها وبين المغرب الأوسط كانت قائمة ونشيطة، فتطلعوا الى ما يمكن أن تدره عليهم أسواق مختلف مدن امارة تلمسان من فوائد[2]، سواء من السلع المحلية أو المستوردة، سيما الذهب السوداني، فكان ذلك حافزا لهم للالتفات الى هذه المنطقة بالاضافة الى أن القشتاليين كانوا ينافسونهم في المغرب الأقصى، والايطاليين في المغرب الأدنى[3].

ولهذا استهدف الأراغونيون السيطرة على طرق التجارة البحرية التي تصل سواحل الامارة الزيانية بسواحل مملكتهم وراحوا يعملون على تحقيق غايتهم في عهد جقمة الفاتح 610هـ -675هـ (1213- 1276م)[4] الذي حاول، منذ سنة 627هـ / 1230م، أن يواصل حركة الركنكيستا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد ضمه جزر البليار[5]

---

1) Maslatrie ;op.cit,T.1, pp. 75-76

2) أنظر : …roy (M) ; Précis de l'histoire de commerce, pp.102-103

3) Dufourcq ; op. cit., p. 138

4) ibid, p.311

5) ضم جقمة الأول الملقب بالفاتح جزيرة ميورقة سنة 1230/ 627هـ (العبر، 2، ط. دوسلان)، أو في 31 ديسمبر 1229، وانفصلت عن أراغونة سنة 1262م ثم عادت لتنضم اليها سنة 1343م (Maslatrie; op.cit.,p. 75) وضم جقمة الأول مينورقة سنة 1231م وفورمنتيرا سنة 1235 (…ufourcq ; op. cit., pp. 86 - 87

بتشجيع وتأييد من البابا إينوسنت الرابع Innocent IV 641 ـ 863هـ (1243ـ 1458م) ، ومن قدم عمل على تطوير أسطوله وكلف الكونت نونيو Nunyo ، سنة 627هـ / 1230 م، بمهاجمة سواحل مملكة تلمسان ،وفي سنة 628 هـ / 1231 م أرسل الأمير ال كاروتبز لمهاجمة وهران[1] .

لكن سرعان ما اتضح له أن هذه السياسة العدائية لا تدر على الخزينة الأرباح المنتظرة كما أن أصحاب السفن والتجار لم يستفيدوا منها شيئا فتدخلوا في سياسة مملكتهم؛مما جعل جقمة الأول يشرع في تغييرها تدريجيا،فأصبحت العلاقة بين بلاده وبلاد المغرب مزدوجة ،أي تجارية ـ حربية ، فقد كانت السفن تستخدم في الصادرات والواردات وكان التجار يمارسون القرصنة كلما سنحت الفرصة ؛ وفي 19 جوان 1250م أصدر الملك الأراغوني مرسوما يمنع فيه رعاياه من القيام بالقرصنة ضد البلدان المهادنة له لأنها أضرت بالتجارة[2] .

وكانت المبادرات الفردية تطغي على العلاقات التجارية بين تلمسان وأراغونة في البداية ، ومنذ أن طرأ التحول على سياسة جقمة الأول ، بادر الأمير يغمراسن بن زيان بإرسال أبي أرلان قنصلا الى برشلونة ، فعقد عدة صفقات تجارية في قطلونيا ومونبيلي، بين البيع والشراء بالجملة ، كما كانت له اتصالات برامون بانياريس

---

1) Dufourcq; op. cit., p.8 et 145

2) ibid, p. 90

(Ramon Bagnarès) أحد أصحاب رؤوس الأموال الذي كان وسيطا في العمليات التجارية التي تتم بين القطلانيين والتلمسانيين[1] .

وفي سنة 648هـ / 1250 م ، أي السنة التي صدر فيها المرسوم الأراغوني بمنح القرصنة ، باع أحد التجار التلمسانيين 500 قنطارا من الشب في العاصمة الأراغونية بمبلغ قدره 3500 بيزيتة[2] (أي حوالي 700 دينار ذهبي) ويعتقد Dufourcq أن ذلك كان لحساب الأمير الزياني[3].

وبدأت العلاقات التجارية ، بعد ذلك ، أي منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ، تتضح أكثر فأكثر بين الطرفين ، فبعد سنة 652هـ/ 1254م أصبح قائد السرية المسيحية في تلمسان مسئولا ، في نفس الوقت ، عن التجار القطلانيين في الامارة[4].

وفي 21 مارس 1265 م / 664 هـ أرسل جقمة الأول الفارس Père de vilaragut ، سفيرا أو قائدا الى تلمسان لمدة ثلاث سنوات يقوم خلالها ، بمهام عسكرية تتمثل في الاشراف على الجند المسيحيين الذين كانوا في خدمة الدولة الزيانية ، وأخرى مدنية تتمثل في رعاية التجار بعاصمتها ، وقبل نهاية مدته[5] أي في سنة 1267م / 666هـ ، عين الفارس

---

1) Dufourcq; op. cit, p.146

2) Dhina ; Le royaume abdeouadide, p.164; Brunschvig; op.cit., T.2., p. 250

3) op. cit., p.146

4) Maslatrie ; op. cit., T.1, p.187 ; Ibid, p. 151

5) لم تذكر المؤلفات المستخدمة في هذا البحث أسباب هذا التغيير ، وربما يكون الأول قد توفي .

القطلاني Guillem - Galceran للقيام بنفس المهام ، وأعيد تعيينه سنة 671هـ / 1272م[1] .

وفي 6 أوت 1274 م سمح الملك الأراغوني لرجلين من ميورقة ، لم يُعثر على اسميهما بممارسة التجارة في تلمسان[2] ، وفي 19 من نفس الشهر رخص للشركاء برنجر دارتز Berenguer d'Artes وبرنجر دوسالا Berenguer de Sala وجقمة مارتي Jaume Marti بشراء العبيد من تلمسان[3] .

وبعد ثلاثة أشهر من تنصيب بطرس الثالث ، الذي خلف أباه جقمة الأول سنة 675هـ / 1276 م ، كلف السفير Bernard Porter بالسفر الى تلمسان لعقد معاهدة مع الأمير يغمراسن ، ورغم أن المصادر لم تسجل نتائج هذه المهمة الا أن تطور الأحداث يدل على أنه تم بينهما عقد معاهدة شاملة ، عسكرية وتجارية ، اذ بقي السلم قائما بينهما مثلما كان عليه أيام أبيه ، كما أن الملك الأراغوني منح جواز مرور دائما لبعض التجار التلمسانيين ، وعلى رأسهم محمد بن أبي عبد الله بن بريدي وزير يغمراسن لتسهيل مهمتهم التجارية مع بلاده[4] ، وفي هذا دليل على أن رجال الدولة الزيانية

---

1) Dufourcq ; op. cit., pp. 151-152

2) Brunschvig; op. cit., T.1, p. 64

3) Dufourcq: op. cit, p. 139, note 2.

4) كان ذلك يوم 5 جوان 1277 م وهو صالح للاستعمال طيلة استمرار السلم والمودة بين البلدين، ويستطيع صاحبه الذهاب والعودة بأية سلعة وإرسال أي شيء باسمه وباسم أخيه الى المملكة (Dufourcq , l'Espagne catalane, p. 513, note 7.

كانوا يمارسون التجارة بأنفسهم .

وفي 14 فبراير 1278م / 677 هـ منح بطرس الثالث جواز مرور دائما ، لأربعة وعشرين مسلما من بلنسية ، للذهاب الى سواحل تلمسان بهدف توسيع التبادل التجاري بين البلدين[1] ، وقد أهتم الملك الأراغوني اهتماما خاصا بالمغرب الأوسط حتى انه عين أبنه Jacme Père قائدا بتلمسان بين سنتي 676 و 678هـ / (1277 و 1279م) ، ومن المهام التي أسندت اليه مراقبة الصادرات القطلانية الى دولة بني عبد الواد[2] .

ورغم المجهودات المبذولة من الطرفين ، للحفاظ على السلم ، فقد ساءت الأمور سنة 678هـ / 1279م ، عندما هاجم كونراد لانسيا Conrad Lancia ، سواحل تلمسان بأربع بواخر ، وهو عائد من مهاجمة المغرب الأدنى وساد التوتر الى سنة 702هـ / 1282م[3] . لكن العلاقة التجارية استؤنفت بين البلدين ، منذ بداية 1283 م ، وعاد تجار برشلونة يختلفون الى الموانيء الزيانية خاصة هنين ووهران ، واضطر بطرس الثالث الى التفاوض مع عثمان بن يغمراسن[4] (681 ـ 703هـ / 1283 ـ 1304م) .

---

1) Dufourcq: op. cit., p.314, note 3 .

2) Ibid, p. 315 .

3) قام القائد القطلاني بهذا الهجوم حتى يضغط على عثمان بن يغمراسن ليدفع المبلغ المالي المتفق عليه أيام يغمراسن وجقمة الأول ، مقابل استخدام السرية القطلانية في تلمسان (Ibid, p.317)

4) Ibid , p. 319 ، عن عثمان بن يغمراسن أنظر . حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ص 15 .

وقد سجل خروج خمس وأربعين رحلة من ميناء ميورقة، فيما بين 23 جانفي و 18 مارس 1384م / 704 هـ اتجه ثلثها الى امارة بني عبد الواد[1]، بالمغرب الأوسط، منها خمس رحلات الى وهران[2] ورحلتان الى هنين[3] ورحلتان الى ميناء مزغفران[4] ورحلتان الى برشك[5] (قوراية) ورحلة في اتجاه تنس[6] وثلاث رحلات في اتجاه الجزائر التي كانت في تلك الفترة محل صراع بين الحفصيين وبين الزيانيين[7].

ويستنتج من هذه المعلومات ان الرحلات التجارية لم تكن تتوقف في فصل الشتاء، ولم ينقطع

---

1) توجد هذه المعلومات بأرشيف بالما (انظر: Dufourcq ; L'Espagne catalane, p.320, Note 1.)

2) خرجت يوم 24 جانفي السفينة La navis، يملكها الجنوي Benxo Caba، وعلى متنها ثلاثة بحارة ميورقيين، وسفينة Le Leny يملكها احد افراد الجالية الجنوية بميورقة يسمى Lorenzo scroba، وعلى متنها بحار مسلم من نفس الجزيرة، وفي 26 جانفي خرجت سفينة Le Leny لصاحبها Bernat Bertrand؛ وفي 25 فيراير خرجت السفينتان (Les Lenys) لكل من Guillem Ricard Simon Corney (Dufourcq ;op. cit., p.320).

3) تمت الرحلة الأولى يوم 25 جانفي بخروج سفينة Le leny لصاحبها Pericon وتمت الثانية بخروج Père Ribot يوم 26 جانفي (Ibid, p. 320)

4) الأولى يوم 28 جانفي، والثانية يوم 18 مارس، قام بهما Jaume Mercader Ibid, p.320).

5) الأولى يوم 8 فبراير، قام بها Guillem Renart، والثانية يوم 25 فبراير قام بها (Ibid, p.320) Berenguer Liobet.

6) قام بهذه الرحلة Guillem Godafre يوم 25 جانفي (Ibid, p. 320)

7) انظر ماقبل، ص 38.

التجار عن موانئ بني عبد الواد ، رغم تعرضهم لخطر العواصف والهجومات الصليبية ، ولا يبرر مثل هذه الجرأة سوى الثروات الطائلة التي كانوا يجمعونها من تجارتهم تلك[1] .

وأمام تحالف غرناطة والمغرب الأقصى وقشتالة سنة 705هـ / 1285 م قرر الملك أدفونش الثالث الذى تولى الحكم سنة 703هـ / 1283 م ، بعد بطرس الثالث ، أن يجدد معا هدة السلم والهدنة مع الزيانيين وأرسل ريموندي سان ليساريو Rmonde de Licerio ، حاكم بلنسية سنة 1284 م الى تلمسان للقيام بهذه المهمة ، وفي ربيع سنة 686 هـ / 1286 م أرسل اليه عثمان بن يغمراسن وثيقة المعاهدة الى برشلونة مع Père Garcia ، وهي أقدم وثيقة معروفة الى اليوم في موضوع العلاقات بين البلدين ، وتتكون من أحد عشر بندا لم يعثر الا على نصها الاسباني[2] ، وتختص بنودها الثلاثة الأولى بمعالجة الجانب التجارى

ففي بندها الأول ((يتعهد الملك عثمان أن يعطي الملك ... أدفونش نصف المداخيل التي يحصل عليها من موانئه الحالية (أي التي كانت تابعة له آنذاك) والتي ستكون في حوزته مستقبلا ، ويمنح الملك ادفونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران ، وعلى ملك تلمسان

---

1) Dufourcq ; op. cit., p. 320

2) نشر نص هذه المعاهدة كاملا باللغة القطلانية وترجمة الى الفرنسية Dhina (A) في كتابه : Le royaume Abdelouadide, p.206. sqq.

أن يدفع نصف مداخيل كل الموانىء الأخرى التي يملكها وسيملكها الى المشرف الذي يعينه الملك أد فونش في مدينة وهران ، وهذا يشمل كل مداخيل المسيحيين الذين يصلون مختلف هذه الموانيء وهذا الفندق الذي منح للملك أد فونش، ليقيم فيه المشرف المذكور يكون حرا ومعفى من الضرائب .

بالاضافة الى ذلك يتعهد ملك تلمسان المذكور لملك أراغونة بتسديد ضريبة خمسة آلاف دينار، كان عليه أن يدفعها للملك بطرس (الثالث) عندما أرسل جقمة بيريز قائدا الى تلمسان))[1] .

ويستطيع الملك أد فونش، حسب بندها الثاني :
((اذا أحتاج مواد غذائية ، من أراضي ملك تلمسان أن يشتريها بحرية ، بنقوده ، بكل صداقة ، وتكون هذه المواد التي يحتاجها الملك أدفونش لاستعماله الخاص معفاة من الضرائب)) .

أما بندها الثالث فينص على أن ((يخضع كل المسيحيين بأراضي ملك تلمسان، مهما كان أصلهم ومقاطعاتهم ، لقانون أراغونة الذى يمثله القائد الذي يرسله ملكها لمملكة تلمسان، ويستطيع كل المسيحيين الموجودين بهذه المملكة الدخول والخروج برخصة من القائد المذكور، رغم أي حضر ، شفاهيا كان أم كتابيا يصدره ملك تلمسان)) .

---

1) طالب بهذه الضريبة الملك بطرس الثالث، وقدرها خمسة آلاف دينار ذهبي ، مقابل الكتيبة الأراغونية التي كانت تعمل في تلمسان (أنظر : Dufourcq : op. cit., p. 220)

وقد خصصت بقية بنود المعاهدة للحقوق والضمانات التي يتعهد ملك تلمسان بتوفيرها اللحامية والكتيبة التي سيبعث بها له ملك أراغونة .

ومن الواضح ان هذه المعاهدة تمنح امتيازا كبيرا للأراغونيين في امارة تلمسان دون مقابل ، وقد يكون ذلك ناتجا عن الهجوم الذى شنه هؤلاء على سواحل المغرب الأوسط[1] لإظهار قوتهم وتخويف الزيانيين ودفع ملكهم عثمان الى شراء السلم وبذلك توصلوا الى فرض هذه المعاهدة[2] .

كما ان الظروف السياسية والاقتصادية لدول الحوض الغربي للمتوسط كانت تتطلب من الأمير عثمان أن يقف هذا الموقف ، فقد كان في خلاف مع المرينيين غربا وكان يستعد للهجوم على بجاية الحفصية شرقا[3] ، ولا شك أنه كان يعول الكثير على مساعدة الكتيبة الأراغونية لتحقيق هدفه المزدوج المتمثل في التصدي للمرينيين ، من جهة ، والتوسع على حساب الحفصيين ، من جهة أخرى ، وهو ما يفسر وعده للملك أدفونش الثالث بالتنازل له عن نصف مداخيل كل المسيحيين في الموانئ التي سيتمكن منها مستقبلا ، أي بفضل مساعدة الكتيبة الأراغونية .

---

1) عن هذا الهجوم انظر ماقبل ، ص 178

Dhina (A); Les Etats de l'Occident Musulman, p.480-31; Dufourcq; op.cit, p,322 (2

3) انظر ما قبل ، ص 38 فما بعدها

وقد التفت التجار الايطاليون ،بالاضافة الى ذلك ،نحو المشرق،وضعف اهتمامهم بسواحل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وتقلص ،في الوقت نفسه، نشاط المرسيليين في المنطقة ، فلم يبق أمام عثمان الا التحالف مع الأراغونيين لإيجاد نوع من التوازن، أمام تحالف المرينيين والغرناطيين والقشتاليين فاضطر الى اظهار تلك التنازلات .

ومما يلفت النظر في هذه المعاهدة أيضا ما تعهد به حاكم تلمسان من أن ((يمنح الملك أدفونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران)) مما يدل على أن التجار الأراغونيين لم يكن لهم فندق خاص ينزلون به ، مثل الايطاليين ، قبل هذا التاريخ الذى تقلص فيه عدد التجار المسيحيين ، غير الاسبان ، وصار القطلانيون أكثر عددا ، بسبب منافستهم للايطاليين واستيلائهم على بعض المناطق من جنوب فرنسا ، ومن ثم تمكنوا من احتكار جزء كبير من التجارة الزيانية ، بدليل عدد الرحلات المسجلة في تلك الفترة ،بين ميورقة وموانيء المغرب الأوسط[1] وصاروا في حاجة الى فندق .

أما ضريبة ((خمسة آلاف دينار)) التي تعهد ملك تلمسان أن يدفعها لملك أراغونة فهي عبارة عن دين تبقى من عهد أبيه يغمراسن والملك الأراغوني بطرس الثالث، ويعود تاريخه الى سنة 1277م، ولكن الملك أدفونش لم يطالب به ، واكتفى بالمطالبة بنصف مداخيل ضرائب

1) انظر ماقبل ، ص 179

الواردات المسيحية ، وهذا يدل على كثافة التبادل وكثرة الواردات الى المملكة الزيانية ، فتكون نسبة نصف المداخيل هامة لدرجة جعلته يتغاضى عن خمسة آلاف دينار[1] .

وفيما يخص إعفاء المواد الغذائية التي يحتاجها الملك أدفونش لاستعماله الخاص من الضرائب، كما ورد في البند الثاني، فهي تحتاج الى مزيد من الدقة، لأن الاستعمال الخاص بالملك يمكن أن ينتهي عند حدود القصر، كما يمكن أن يمتد ليشمل الجيش مثلا أو حتى الرعية ، في حالة تعرضها لكوارث معينة ، ويمكن لتلك العبارة أن تصل الى هذا الحد الواسع من التفسير خاصة اذا رأى الطرف الأراغوني ما يكفي من القوة ، في نفسه، لفرضه على الطرف المقابل الذى يضطر حينئذ الى قبوله، واذا رفض استخدمت ضده القوة وحققت أهداف أكبر ، ولا يستبعد أن يكون الأراغونيون ينوون ذلك في المستقبل، وفي هذه الحالة يكون ذلك هو هدف وجود كتيبتهم الحقيقي في تلمسان، وليس مساعدة الأمير عثمان، في توسيع رقعة سلطته من جهة والدفاع عنها من جهة أخرى، كما تنص المعاهدة .

ولعل أقوى دليل مؤيد لهذا الاستنتاج هو ما جاء في البند الثالث من المعاهدة والقاضي باخضاع كل المسيحيين بأراضي ملك تلمسان ، مهما كان أصلهم ومقاطعاتهم لقانون أراغونة ، أي أن أراغونة بالتعبير الحديث تريد أن تجعل مملكة بني عبد الواد منطقة نفوذلها .

---

1) Dufourcq ; op. cit., p.322 .

أما الأمير عثمان، لا شك، وأنه كان ينظر للأمور نظرة أخرى، فقد يكون مفهومه للاستعمال الخاص هو المفهوم الضيق، أي الاستعمال الذى لا يتجاوز حدود القصر الملكي، دون أن يدرك نوايا الطرف الآخر؛ ولم يعر اهتماما لقضية اخضاع كل المسيحيين لقانون أراغونة، على اعتبار أنه يدخل في اطار المنافسة العادية بين المسيحيين بعضهم البعض، فأي مانع لذلك، خاصة إذا كان يرى أن القوانين المسيحية لا تختلف من منطقة الى أخرى، حيث ان الكلمة العليا والمسموعة كانت للبابا وهو الذي كان يحلل ويحرم عليهم التجارة مع المسلمين بصفة عامة.

وقد يعود ذلك أيضا الى انعدام علاقات رسمية، بين بني عبد الواد والدول المسيحية الأخرى، كما أن الأراغونيين كانوا في أوج توسعهم آنذاك، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومن ثم كانوا يمثلون أهم قوة سياسية بالنسبة للزيانيين في هذه المنطقة.

وقد تواصل على اثر هذه المعاهدة توافد التجار الأراغونيين، من ميورقة وبلنسية، الى موانيء الدولة الزيانية، رغم الفتور الذى كان يطرأ، من حين لآخر، على العلاقات السياسية بين البلدين[1]، وبعد موت أدفونش الثالث تولى جقمة الثاني في جوان 1291م/ 691 هـ، فواصل

---

1) حول العلاقات السياسية ومشاكلها، أنظر (Dufourcq , op. cit., p. 325)

سياسة سابقة التجارية[1] وبقي الاشراف على المسيحيين في تلمسان للقائد الأراغوني، وعين لهذا المنصب الفارس Rodrigo Sanchez de Vergags سنة 1296م / 696هـ واشترك التلمسانيون مثل التاجر ميمون بن عطار مع المسيحيين في التجارة، فكان ينقل السلع من ميورقة الى ميناء تسا ونت قرب الغزوات (نمور)[2] .

وحاول جقمة الثاني عقد معاهدة ثانية مع عثمان بن يغمراسن، فبعث اليه رسالة يوم 10 سبتمبر 1296 م/ 696 يطالبه فيها بإبرام معاهدة معه،مثل التي عقدها مع أدفونش الثالث،حتى يحصل على جزء من مداخيل الجمارك في تلمسان، لكنه لم يتوصل الى ذلك لأن الظروف قد تغيرت : فالعلاقات التجارية أخذت طريقها،وأصبح واضحا أنها ستستمر حتى في غياب مثل هذه المعاهدات، كما لم يعد في نية بني زيان الاعتماد على الكتيبة الأراغونية في الدفاع عن حدودهم أو توسيعها[3] .

وقد تعرضت تلمسان بعد ذلك لحصار فرضه عليها المرينيون[4]، استمر من سنة 700هـ الى706هـ (1299الى 1307م)

---

1) ذلك بعد فتور طرأ على العلاقات السياسية ، بين البلدين، في سنتي 1291ـ1292م
(Dufourcq;op.cit, pp. 328 et 333)

2) Ibid, p. 347 .

3) انظر ماقبل، ص 180 فما بعدها .

4) Dhina, les Etats, p. 487

لكن الأخطار الكثيرة الناجمة عنه لم تحُل دون استمرار التبادل بين الطرفين ، التلمساني والأراغوني ، فقد كان التجار الأراغونيون يغامرون بالتوجه الى مدينة تلمسان والوصول الى مواقع الحرب ،وكانت بواخر مملكة أراغونة وميورقة تنزل في تاونت وتنس وشرشال والجزائر وهنين ، ومن هناك يبعث التجار بسلعهم الى تلمسان.وكلما طال الحصار واشتدت المجاعة أقبل المغامرون على ادخال بضائعهم،خاصة في الليل من أجل الربح الوفير، وكثرت البضائع في السوق السوداء بما فيها البضائع التي فرضت عليها الكنيسة حظرا[1] .

وفور انتهاء الحصار سنة 706هـ / 1307م،أخذت تلمسان تستعيد مكانتها كحلقة وصل بين أوربا وبين بلاد السودان تدريجيا ، طيلة العشرية الثانية والثالثة من القرن الرابع عشر الميلادي .

وقد ساءت العلاقة بين الامارة الزيانية ومملكة أراغونة التي تحالف ملكها جقمة الثاني مع أمير تونس الحفصي،أبي بكر 709 هـ -711هـ (1309م- 1311م)،ضد أبي حمو موسى الأول 708هـ - 718هـ(1308م- 1318م)، وهاجما سواحل المغرب الأوسط ،ولم يؤثر هذا الضغط على موقف أبي حمو.فلم يعقد معه أية معاهدة ، لكن جقمة الثاني لم ييأس بدوره ،فبمجرد موت الأمير الزياني

---

1) Dufcurcq ;op.cit,p.371 .

وتولية ابنه أبي تاشفين الأول (718هـ - 737هـ / 1318 - 1337م) بعث برسالة يوم 24 افريل 1319م / 719 هـ ، منح الفارس Bernard Despuig وأحد أعيان برشلونة يسمى Bernard çapilla يطلب فيها من حاكم تلمسان الجديد، عقد معاهدة سلم وتجارة معه لمدة عشر سنوات، وعرض عليه مساعدة عسكرية مقابل مبلغ مالي سنوي قدره ثلاثون الف بيزينتة (حوالي 3250 دينار) ومحالفة أبي تاشفين له ضد أعدائه في حالة الحرب[1]، وتبادل الطرفان رسائل عديدة في هذا الشأن[2] الا أنه لا يوجد ما يدل على انه تم عقد معاهدة بينهما[3].

ورغم ذلك فقد كانت تتم، خلال الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ما لا يقل عن رحلة واحدة في الشهر الواحد، ما بين موانيء جزر البليار وبرشلونة وبلنسية من جهة، وبين وهران من جهة أخرى[4]، كما انتقل بعض التجار من وهران وشرشال وهنين والجزائر وميورقة فيما بين سنتي 725هـ و 731هـ (1325 و 1331م)، فمكثوا هناك مدة طويلة لممارسة التجارة[5].

وفي الفترة ما بين 727هـ و 729هـ / 1327م و 1329م قدم الى

---

1) Maslatrie; op.cit., T.1, pp.179-180.

2) Dufourcq : op. cit., p. 482

3) انظر: Maslatrie ; op. cit., p. 180.

4) انظر الجدول في الملحق رقم. 6.

5) Dufourcq; op. cit., p. 471, note 4.

ميناء تدلس ،الذي كان رئيسيا في الناحية الشرقية من حدود الدولة الزيانية[1] ، ربا بنة سفن من ميورقة وبرشلونة وبلنسية[2] ،كما غا . رتحوالي عشرين سفينة ميناء ميورقة الى سواحل بلاد المغرب الأوسط سنة 729هـ/ 1328م واشترى تجار تلمسان منها ستة عبيد[3] ، وتوجهت سفينتان محملتان بالصوف من مستغانم الى ميورقة في سنتي 730هـ و 731 هـ/ 1329م و 1330 م[4] وصدرت تلمسان أيضا ، الشعير الى ميورقة وبرشلونة سنة 1329م[5] .

ولما احتل أبو الحسن المريني تلمسان سنة 737هـ/ 1337م[6] عقد معاهدة في العاصمة الزيانية مع Amalrie de Narbonne ممثل ملك ميورقة جقمة الثاني(691هـ 728هـ/ 1291م ــ 1327م) في 15 أفريل 1339م[7] / 739 هـ .

---

1) كان هذا الميناء رئيسيا في الناحية الشرقية من حدود الدولة الزيانية الى سنة 1337م (Brunschvig ; op. cit. , p. 476, note 5)

2) قدم من ميورقة : Berthomen, Ramon Domenech, Caules Mercader (Dufourcq ; op. cit., p.476, note 5) Guillam Oba:, Jaume Mir.

3) أنظر: Dufourcq ; Prix et niveaux de vie dans les pays catalans et Maghrebins à la fin du XIIIe et au début du IXe siècle, dans le moyen-âge, T.L. XXXI, 1965, P.501.

4) انظر: Dhina ; Le royaume Abdelouadide, p. 165

5) Dufourcq; op. cit., p. 493

6) عن هذا الموضوع انظر ماقبل ،ص

7) Maslatrie ; op. cit., T.1, pp. 95 et 177; T.2, p, 193; Boissonnade ; op. cit., p. 10.

وأول ما يمكن ملاحظته عن هذه المعاهدة هي أنها تختلف عن مثيلتها التي عقدت بين ملك أراغونة أدفونش الثالث، وعثمان بن يغمراسن سنة 686هـ/1286م[1]، في كونها تخلو من التنازلات، مهما كان نوعها، ويعود ذلك، ولا شك إلى خلوها من الصبغة العسكرية واقتصارها على الطابع التجاري.

كما لا تنقسم هذه المعاهدة إلى عدة بنود مثل الأولى؛ وبينما يتبين من أسلوب المعاهدة السابقة أنها عبارة عن مجموعة من الشروط والقيود، تمليها دولة قوية غالبة على دولة ضعيفة مغلوبة على أمرها، فإن أسلوب المعاهدة الثانية يبين بوضوح أن الاتفاق يجري بين قوتين متكافئتين، أو على الأقل يوجد بينهما احترام متبادل، فما يطبق على أحداهما يطبق على الأخرى، وفقا لمبدأ المعاملة بالمثل.

فقد نصت على ((أن يتردد المسافرون من واحدة من الجهتين الى الأخرى محمولين على الأمان في نفوسهم وأموالهم وأجفانهم برا وبحرا في المراسي وغيرها فلا يعرض أحد من كلتا الجهتين لأهل الأخرى بضرر ولا يؤذيهم في ورد ولا صدر وأي جفن تكسر أو رمته به الريح أو البحر من أجفان الفريقين في ساحل من سواحل الجهتين، فأمان شامل للجفن وعمرته وما احتوى عليه من الأموال والتجارات والعدد يدفع ذلك لمستحقه ولايمنع

---

1) انظر: ماقبل، ص 180 فما بعدها.

من مستوجبه))[1] وباختصار، فهي تتضمن هنا حرية تنقل مواطني كل بلد في البلد الآخر، وتؤمنهم على أرواحهم وتجارتهم وتفتح قوس لتضع شروطا النصارى وحدهم فتنص على ((ألا يحمل النصارى المذكورون من بلاد المسلمين المذكورة زرعا ولا سلاحا ولا خيلا ولا جلدا مملوحا ولا مدبوغا. وما عدا ذلك من التجارات فهو لهم مباح على ما جرت به العادة من المغارم المعروفه والملازم المألوفة بجميع بلاد مولانا السلطان أبي الحسن المعتاد لهم بها على سائر الزمن وكلما يجلبونه فلا يزاد عليهم فيه زائد ولا يكلفون غيرما استقرت به العوائد))[2].

والمعروف تاريخيا أن المعاملات التجارية كانت تتم في دار الاسلام، فالنصارى كانوا ينتقلون اليها ببضائع يبيعونها ثم يشترون غيرها لتسويقها ببلدانهم؛ أما المسلمون فلم يكونوا يقومون بعمليات مماثلة في بلاد النصارى[3]، وهذا ما يفسر تخصيص النصارى بهذه الشروط.

ولم تغفل المعاهدة مشكل القراصنة واللصوص الذين تسول لهم أنفسهم فساد المراسي وترويع المسافرين أو غير ذلك من وجوه الاضرار فـ((ـ من فعل

---

1) انظر: المعاهدة التي تمت بين أبي الحسن المريني وجاقمة الثاني ملك مايورقة الملحق رقم 2.

2) نفس المعاهدة في المحلق رقم 02.

3) انظر مابعد: ص 205 ـ 206

شيئا من ذلك فسلطانه يشتد عليه في غرم ما أتلفه ورد ما أخذه ويعاقبه في نفسه بما يحتم عليه ويجعل عقابه ردعا لغيره ودفعا لفساده وغيره))[1].

وقد أولت هذه المعاهدة أهمية كبيرة للجانب الاعلامي كشرط من شروط نجاحها ذلك أنها أوصت بأن ((يعلن هذا الصلح من الجهتين الاعلام التام حتى يكون هذا العقد محوطا والعهد مضبوطا بحول الله تعالى))[2].

ويظهر أن الاحتلال المريني لتلمسان لم يؤثر على نشاطها التجاري، اذ نسجل خروج سفينتين سنة 746هـ/1344م الى مينائي وهران وهنين[3] كما انتقل ابن بطوطة سنة 750هـ/ 1349م في احدى سفن الميورقيين من تونس الى مستغانم، وتوجهت رحلة الى وهران سنة 754هـ / 1353م،كما توجهت تسع رحلات فيما بين 760 و 785 هـ/ 1358م و 1381م الى هنين[5].

ولما استرجع أبو حمو الثاني بلاد من المرينيين[6] كاتب ملك أراغونة بطرس الرابع (736هـ - 789هـ/ 1336م - 1387م)

---

1) أنظر: الملحق رقم 2
2) نفسه
3) انظر: Le Cour grandmaison ; De majorque au Maghreb, Alger 1966, p. 67
4) انظر : الرحلة ،ص 256.
5) Le Cour grandmaison ; op. cit., pp. 6-7
6) انظر ماقبل ،ص

في 4 ربيع الثاني سنة 761هـ/ 23 فبراير 1360 م[1]، وفي جوان 1362 م 762هـ أوفد اليه الشيخين : محمد ادريس ويوسف بن عبد الله فقا بلاد بمدينة بيربينيون، شمال المملكة وأبرما معه معاهدة لمدة خمس سنوات، وأهم ما جاء فيها : ان يكون السلم بينهما ((... لخمسة أعوام متوالية أولها عام أربعة وستين وسبعمائة من شهر صفر من العام المذكور المؤرخ به ..... وعلى أن التجار الواصلين من إحدى الجهتين الى الأخرى بمتاجرهم ألا يؤخذ منهم الا العشر والمخزن المعلوم في سلعهم لا زائد في ذلك عليهم، و يحملون في اقامتهم اذا حضروا، وفي طريقهم برا أوبحرا مهمى وردوا أو صدروا على الحفظ التام والرعي الشامل العام، وعلى أنه إن انكسر جفن لمن يأتي من التجار قاصدا من هذه الجهة أو من جهته لمرسى من مراسي مولانا أعزه الله أو مراسيه فيزد على أربابه جميع ما كان فيه ولا سبيل لأحد عليهم ولا اعتراض بوجه من الوجوه لجفنهم ولا إليهم ..... و ... على أنه مهمى أتى جفن من أجفان احدى الجهتين الى الأخرى قاصدا الى مرساها ملجيا اليها من عدو يطلبه في البحر لقصد الاذاية له والضرر فعلى أهل ذلك المرسى الذي يلجأ اليه إعانته ... وحمايته بكل مايمكنهم...))[2]

ولايلاحظ في هذه المعاهدة أن احد الطرفين كان يطمع في الحصول على امتياز ما، على حساب الطرف

---

1) انظر: المحلق رقم 4 .

2) عن بقية تفاصيل المعاهدة، انظر المحلق رقم 3 .

الآخر ، بل كان هدفهما واحدا يتمثل في عقد معاهدة سلم ، لغرض خلق المناخ المناسب لتكثيف التبادل التجاري الذي كان يذر أرباحا طائلة على كليهما ، وتركز المعاهدة على توفير الأمن اللازم للتجار البلديين ، أينما كانوا وحمايتهم من كل الأخطار ، طبيعية كانت أم بشرية ، وعدم إثقال كاهلهم بالجبايات حتى يتمكنوا من القيام مهامهم في أحسن الظروف .

وعندما احتل أبو العباس المريني تلمسان سنة 786هـ/ 1385م أخذ من التجار الميورقيين سلعهم ودفع لهم مقابلها سلعا حصل عليها من مخازن السلطان الزياني لكن هذا الاخير ، عندما استرد عاصمته، استرجع منهم بضائعه ، فاحتجوا على هذا الاجراء وبعث اليه حاكم جزيرتهم برسالة في هذا المعنى ، في جوان 1385م[1] / 787هـ .

وبقيت السفن الأراغونية تأتي الى موانئ الدولة الزيانية ، وعندما اختلف أبو حمّو مع ابنه أبي تاشفين الثاني (792هـ - 796هـ/ 1389م - 1393م) سافر الأول الى الجزائر على متن سفينة قطلانية استقلها في المرسى الكبير سنة 793هـ[2] 1390م ، وفي نفس الفترة خرجت سفينة من برشلونة في اتجاه هنين حيث توقفت خمسة أيام ثم غادرته

1) لم يذكر اسم الحاكم الميورقي ولكن Dufourcq يعتقد أنه Francesc ça Garriga

انظر : Le Sultanat de Tlemcen vers 1832 - 1385 d'après un document inédit, R.H.C.M. n°6 et 7 Juillet 1969, pp.28 sq.

2) Lespes (R.), op.cit., p. 289, note 2

الى المرسى الكبير فبقيت ستة أيام[1] وقد اشترى تجار من برشلونة بعض السلع من تلمسان سنة 1404م، وأخرى سنة 817هـ / 1414م ، ومنذ سنة 863هـ / 1458م أصبحت تخرج، من توسكانيا، مجموعة من السفن، تتجه الى ميورقة فموانى المغرب الأوسط : هنين ووهران والجزائر حيث تتوقف في كل ميناء حوالي ثلاثة أيام ثم تواصل طريقها الى المغرب الأدنى فايطاليا[2]، وبذلك تتم الدورة في الحوض الغربي للمتوسط .

وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بدأت اهتمامات الاسبان تتغير خاصة بعد ان تزوج فردينانند ايزابيلا واستهدفا القضاء على استقلال غرناطة وتوحيد اسبانيا المسيحية[3] وصار اهتمامهما بالعلاقات التجارية يحتل المرتبة الثانية بعد اهتماماتهما السياسية والعسكرية والصليبية ،وأخذ الاسبان في بداية القرن السادس عشر الميلادي يهاجمون سواحل المغرب الأوسط ،مغتنمين في ذلك فرصة الفوضى والضعف التي سادت المنطقة، فاحتلوا وهران في مايو 1506م / 911هـ والمرسى الكبير في مايو 1509م / 914هـ وأصبحوا يفرضون شروطهم على حكام تلمسان، ويملون عليهم المعاهدات حسب ما تمليه عليهم مصالحهم.

---

1) أنظر: Carrère (C) ; Barcelone centre économique à l'époque des difficultés, Paris - La Haye 1967, vol.2, p.626; Dufourcq; La péninsule ibérique, dans Revue historique, T. CC XL, 1969, p. 49, note 8.

2) Brunschvig ; op. cit., pp.265-266; Dufourcq: op. cit.,p.49, note 57.

3) أنظر: Maslatrie ; op. cit., T.1, p. 323.

في تلك الظروف عرض محمد السابع (934 - 947هـ/1528-1545م) مشروع معاهدة لمدة عشر سنوات، في رسالة وجهها الى الكونت دي الكوديت الاسباني، ممثل الامبراطور شارل الخامس(شارلكان) بوهران، في 5 سبتمبر 1535م / 942هـ، وخصص البندين الثاني والثالث منه للناحية التجارية، وجاء فيهما على لسان محمد السابع مايلي :

((2) أتعهد بأن أدفع أربعة آلاف دوبلا Doublas سنويا، وفي نفس الآجال التي تعهد فيها والدي من قبلي، شريطة أن تكون مداخيل باب تلمسان لي كما كانت لوالدي[1].

3) إذا زادت مداخيل باب تلمسان عن أربعة آلاف دوبلا فان الزائد يكون لي خاصة.))[2].

أي ان السلطان الزياني طلب من الاسبان السماح بجمع ضرائب البضائع التي تصدرها وتستوردها تلمسان، عن طريق ميناء وهران، مقابل دفعه لهم إيتاوة سنوية قدرها 4000 دوبلا، ومعنى ذلك، بكل بساطة، أنه استسلم للأمر الواقع، ولم يعد يعتبر وهران ولا مرسى الكبير تابعين له، وقدم المزيد من التنازلات في بقية المشروع كإطلاق سراح سبعين أسيرا اسبانيا، في مقابل موافقة الأمبراطور على طلبه، وزاد عن ذلك أنه لا يرى مايمنع الاسبان، من امتلاك أية مدينة ساحلية وأي ميناء بالمغرب الأوسط، ولم يكن له من الطلبات، بالاضافة الى ماسبق، سوى ان يعترف به الأمبراطور شرلكان ويجعله حليفا ولا ينصر عليه عدوا

---

1)هذه المداخيل هي مكوس البضائع التي تدخل وهران أو تخرج منها لتلمسان أو من تلمسان (أنظر: احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الجزائر، 1968، ص 258) .

2) نفسه، ص 258- 259

كما ((يترجى)) الاسبان أن يوافقوا على مبادلة خمسة أسرى لدى عائلات تلمسانية، من بين السبعين الذين واعد باطلاق سراحهم، بخمسة أسرى مسلمين كانوا بوهران، كما ((يترجاهم)) بعدم السماح لعدوه ابن رضوان ولا لحفيده من الدخول الى وهران وإن دخلا هنا فليودعا السجن بها[1].

لكن الكونت الاسباني لم يقبل نص الأمير الزياني، بل راح يُعِد، على لسان هذا الأخير، مشروع معاهدة من تسعة عشر بندا، صالحة لمدة خمس سنوات، عرضها على ملكه فلما وافق عليها أملاها على محمد السابع[2].

وقد عالجت خمسة بنود من هذه ((المعاهدة)) الناحية التجارية، إذ نص بندها التاسع على أن يعطى مولاي محمد أو أمره ((لكي تمر كل تجارة تلمسان بمدينة وهران، دون غيرها من المراسي الاّ اذا سمح الامبراطور بذلك))، وطلب في البند العاشر، من الأمبراطور أن ((يسمح)) له بتعيين عدد من المتصرفين في وهران يتولون قبض المكوس الراجعة له من هذه التجارة، باستثناء ما يرد لتموين مدينة وهران، ماعدا التمور، ونص البند الثاني عشر على أن ((يُسمح)) لرعايا السلطان بمباشرة ((أعمالهم التجارية مع كل ممالك ورعايا جلالة الامبراطور))، والتزم السلطان في البند

---

1) انظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص258 - 259؛ وابن رضوان هو عبد الله ابن رضوان، أحد شيوخ قبيلة بني عامر، وجد الأمير عبد الله أخي محمد السابع ومنافسه على الحكم (أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص258-259

2) عن نص هذه المعاهدة (أنظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 259 فمابعدها

السابع عشر بدفع مبلغ أربعة آلاف دوبلا، كل سنة، من الذهب الصافي، معيار 17 قيراطا، وموزونة وزنا دقيقا، دون أن يضع أية علاقة بين هذه الاتاوة وبين مكوس تجارة تلمسان بوهران، وأخيرا نص البند السادس عشر على مايلي: ((يحدث كثيرا أن عربا ويهودا من تجار تلمسان يقدمون الى وهران لشراء بضاعة، ويعطون بدلها رقاعا تدفع عند رجوعهم لوهران لكنهم لا يعودون ولا يدفعون، فأنا ألتزم بدفع قيمة تلك الرقاع. ويجب ارغام كل عربي أو يهودي من سكان وهران على تسديد دينه لتجار تلمسان)).

وقد كرس الكونت بقية بنود المعاهدة الى فرض التبعية السياسية المطلقة على السلطان ((مولاي محمد)) التابع للامبراطور، والدخول تحت حماية المشروطة باستخدام كل امكانيات تلمسان العسكرية ضد السلاطين المجاورين، وضد القبائل التي تسول لها نفسها بمقاومة الاسبان، وضد القراصنة الأتراك، وباطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين، في خلال ثمانية أيام، دون أن تشير الى عملية التبادل التي ترجاه فيها السلطان الزياني، وفي المقابل تعهد الأمبراطور شارل الخامس، في البند الرابع، باعانة السلطان ضد من يحاربه أو يريد به سوء. وجاء في البند الخامس عشر أن الأمبراطور يضع تحت تصرف السلطان خمسمائة رجل لمشاركته في الدفاع، شريطة أن يدفع مرتباتهم، منذ خروجهم من قشتالة.

وفيما يتعلق بابن رضوان وحفيده فقد تضمنت أنهما إذا حلّا بوهران فان حاكمها يبقيهما بها الى نهاية الصلح .

وفي بند آخر التزم السلطان باعلام الجميع بتفاصيل المعاهدة ، فمن التزم بها يصبح صديقا تابعا له ومن عارضها يصير عدوا له ولا يقبل بوهران ولا يستثنى من ذلك أخوه ((مولاي عبد الله الموجده لأمه ابن رضوان)) وأنصارهما الذين ثاروا ضده .

ومما يمكن استنتاجه من مضمون هذه المعاهدة ، أن التنازلات التي قدمها السلطان محمد السابع ، لم تشجع الكونت الأراغوني على طلب المزيد فحسب ، بل راح يضعه تحت نفوذ امبراطوريته ، مستغلا في ذلك ظروف ضعفه التي لم تسمح له بالمقاومة ، ولا بضمان استقرار عرشه . ومهما كانت الأهداف الحقيقية والبعيدة التي كان قائد وهران الأراغوني ينوي تحقيقها بهذه المعاهدة ، فانه لم يكن في نيته قط مساعدة السلطان في السيطرة على الأوضاع الداخلية ، بل عمل على توريطه أكثر من ذي قبل : إذ بدلا من أن يساعده في القضاء على منافسه على العرش ، أخيه عبد الله ، وجده لأمه ابن رضوان ، راح يفتح لهما باب اللجوء السياسي بوهران ، بالاضافة الى توريطه ، في صراع جديد ، ضد القوى المعادية لإمبراطوريته في المنطقة ، وفي المقابل لم يلتزم سوى بمساعدة عسكرية محدودة جدا (500 رجل) بشروط قاسية (دفع مرتبا تهم منذ خروجهم من قشتالة) لا ستخدامها استخداما محدودا ، لأن السلطان لا يستطيع ، ولا شك ، استخدامها ضد اصدقاء الإمبراطور ، ان وجدوا في بلاده أم خارجها .

أخيرا يمكن القول إن قلة المعلومات الواردة حول التبادل التجاري بين بلدان المغرب والمشرق الاسلاميين من جهة، وإمارة تلمسان من جهة أخرى، وكذلك انعدام الوثائق والمعاهدات لا تمكّن من القاء الضوء على كيفية المعاملات ونوعية المبادلات وحجمها بدقة.

مع العلم أن التبادل التجارى بين البلدان الاسلامية كان طبيعيا تماما كما يجري داخل الدولة الواحدة، وكانت الحركة التجارية نشطة عن طريق البر والبحر.

وارتبطت امارة تلمسان أيضا مع ممالك بلاد السودان بعلاقات تجارية قامت على أساس المبادلات الخاصة التي شجعتها الدولة فسهرت على حمايتها، لأنها كانت تستفيد منها خاصة وأن اقتصاديات تلك الممالك كانت تعتمد الى حد كبير على التبادل التجاري.

وقد انفتحت دولة بني زيان كذلك على مدن جنوب أوربا الغربية فاستقبلت تجارها بموانئها، فكان الايطاليون والفرنسيون والاسبان، يقومون بتصدير مصنوعاتهم ويجلبون اليها السلع من الشرق، ويستوردون منها بعض المواد الأولية والمصنعة وذهب السودان.

وكان التبادل التجارى، في بداية الأمر هنا أيضا يخضع للمبادرات الفردية التي شجعتها السلطات المحلية، وعرف النشاط التجاري في مدن جنوب أوربا، بعض الحوافز ... كالحروب الصليبية وظهور القومونات، وكانت تعترضه عدة صعوبات منها المنافسة بين المدن الأوربية والقرصنة، كما تأثر بالظروف الدولية مثل ظهور

قوات جديدة:كالدولة العثمانية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والدولة الأراغونية في حوضه الغربي فحاولت كل منهما السيطرة على طرق التجارة في منطقتها .

في نهاية الأمر ضعف التبادل التجاري مع مدن جنوب فرنسا ومدن ايطاليا ، وتفوّق الاسبان في الحوض الغربي للمتوسط ولكنهم سرعان ما تحوّلوا الى مستعمرين وحطموا بهجماتهم العلاقات التجارية التي ساهمت كثيرا في نشر السلم بالمنطقة التي سيطر عليها في نهاية الأمر الأتراك العثمانيون .

الفصل الرابع

الممارسة التجارية في الدولة الزيانية

مكانة تلمسان التجارية :

- التجار المسلمون
- التجار اليهود
- التجار المسيحيون

تنظيم التجارة :

- تنظيم المكوس
- عمليات البيع والشراء .
- المنشآت التجارية
- طرق التعامل بين التجار

- العملة
- الموازين
المكاييل
- المقاييس
- الصادرات
- الواردات

مكانة تلمسان التجارية :

كانت مدينة تلمسان والمدن الهامة بالدولة الزيانية كوهران وهنين وواحات توات ، مراكز هامة للتبادل التجاري الذي كان قائما ، بين هذه الدولة وبين كل من المغرب والمشرق الاسلاميين، وبلاد السودان، ومناطق أوربا الغربية. ولكن بحث مثل هذا الموضوع يبقى مرهونا ببعض الإشارات المتفرقة، والقليلة جدا ،في كتب الرحالة والمؤرخين العرب أو الأوربيين، وفي بعض المعاهدات وبيانات وسجلات بعض التجار التي ضاع الكثير منها ،ومن هنا فان ما سيتوصل اليه هذا البحث من نتائج ليست نهائية ، بل هي قابلة للاثراء ، ويتطلب الحديث عن ممارسة التجارة التطرق الى بحث موضوع ممارسيها ألا وهم التجار في الامارة الزيانية .

لقد مارس مهنة التجارة في الدولة الزيانية تجار من ديانات مختلفة ومنهم :

أ) التجار المسلمون:

اشتغل عدد كبير من سكان تلمسان بالتجارة ،فكوّنوا طبقة هامة في المجتمع ، ساهمت في مدّ خزينة الدولة بنسبة هامة في الأموال،وقربها الحكام منهم، وممن أشهر التجار الذين سجل التاريخ أخبارهم الإخوة المقري الخمسة الذين استطاعوا ان يجمعوا ثروة كبيرة، في القرن الخامس عشر الميلادي[1] (9هـ) ،وكانت لهم علاقات

---

1) المقري: نفح الطيب ،ج 7، ص 130 .

مع ملوك عصرهم في كل من تلمسان وبلاد السودان .

وكان بعض التجار التلمسانيين متجولين ، ومنهم زيان الذي رافق ابن بطوطة في رحلته[1] ، و بعضهم مستقرين في بلاد السودان ، مثل الشيخ اللبان الذي كان مقر بــا من سلطان مالي ،وعائلة المرازقة ،وعائلة العقباني ، وكانتا من العائلات التي تكون الطبقة البورجوازية في تلمسان[2] .

ومما يلفت الانتباه أن التجار التلمسانيين ، مثل بقية التجار المسلمين ، لم يكونوا يقصدون في رحلاتهم التجارية بلاد المسيحيين في أوروبا ، ولم يستقروا بها[3] ، ويرجع ذلك ، بلا شك ، الى أن ظروف استقبالهم لم تكن ملائمة هناك بحيث لم تخصص لهم فنادق ، ولا قناصل يهتمون بشؤونهم[4] بالاضافة الى أن الفقهاء كانوا ينهون المسلمين عن السفر لبلاد الكفر ، اذا كانت أحكام الكفار تجري عليهم فيها ، ولأن ذلك قد يؤدي الى غلاء الاسعار في بلاد المسلمين والى إكساب الكفار أموالا كثيرة سيستخدمونها

---

1) عنه ، أنظر : ابن بطوطة ، رحلة ، ص 444 فما بعدها .

2) Coudray ; op. cit., p. 236

3) أنظر : Renouard (Y) ; Le rôle des hommes d'affaires italiens, dans la Méditerranée au moyen âge, Alger 1955, pp. 6 - 7.

4) Renouard (Y) ; op. cit., p.19; Brunschvig ; La Berberie Orientale, T.2, p. 234.

في حربهم وغزو بلادهم[1] ، وفي هذا الاطار أفتى الفقهاء بتحريم بيع الحبوب والرقيق المسلمين،وكل ما يستعان به على حرب هؤلاء[2]، كالخيل والسلاح للعدو أو لمن يحمله اليه[3] .

وقد كون التجار بتلمسان شركات تجارية متعددة ومنها عائلية كالتي كونها الاخوة المقري وكانوا خمسة ((فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال فكان أبوبكر ومحمد بتلمسان ،وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بايوالاتن...وكان التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث له الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ،والسجلماسي... بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجارة وأخبار البلدان))[4] ،ويحتوي هذا التنظيم ،كما يلاحظ ، على أسس الشركات الكبرى، اليوم ،خاصة فيما يتعلق بدراسة حاجة المنطقتين : تلمسان وبلاد السودان والاهتمام بالعرض والطلب ومعرفة أحوال السوق .

---

1) الونشريسي المعيار المعرب ،ط. بيروت 1401هـ / 1981م ،ج 6 ،ص318؛ Idris (H.R.), Commerce et Kirad eh Berberie Orientale, d'après un recueil de Fatwa médieval, dans journal of économie and social history of the orient, vol.4., leyde 1961, p.229.

2) الونشريسي،نفس المصدر ،ج6 ،ص67وهنا وهناك .

3) نفس المصدر ،ج 2،ص166؛ العقباني التلمساني ، تحفة الناظر وغنية الذاكر ،ص214.

4) المقري؛ المصدر السابق ،ص 130 – 131 .

وكانت الشركات تجمع أحيانا أشخاصا من مختلف الأوساط والأديان : من رجال البلاط ، وطبقة التجار في المدن: مسلمين أو نصارى أو يهودا[1] ، وقد ظهر هذا النوع من ((الشركات)) ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي ، وكانت تنظيماتها مختلفة ، منها :

1) أن يشترك التجار في رأس المال على أن يكون الربح بينهم بقدر مساهمة كل واحد منهم ، فلا يجوز ان يختلف رأس المال ويتساوى الربح[2]. ولا يخرج كل شريك الا مثل مايخرج شركاؤه من العملة[3] .

2) يمكن للتجار أن يشتركوا في العمل ورأس المال فيسافر أحدهم بتفويض شركائه الذين يمارسون عملهم دون تنقل ، فيكون العمل عليهم بقدر ما اشترطوا من الربح لكل واحد[4] .

3) وقد يتنقل أحد الشركاء فيأتي بالبضائع التي يتم تقسيمها على أصحاب رأس المال ، كل حسب مساهمته ، ويبيع كل واحد نصيبه بحرية ، أي انه يجوز للشركاء أن يقتسموا صفقتهم ، ويبيع كل طرف منهم نصيبه على حدة[5]

---

1) انظر : Lespes ; Oran., p. 291 ؛ نجاة باشا : التجارة في المغرب ، ص 74 .
2) انظر : الونشريسي ؛ المصدر السابق ، ج 7 ، ص 131 ؛ ابن أبي زيد القيرواني متن الرسالة ، ص 95 .
3) المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، النصف الثاني ، مخطوط المكتبة الوطنية رقم 1336 ، ورقة 23 .
4) ابن أبي زيد القيرواني ؛ نفس المصدر ، ص 95 ؛ المازوني ، نفس المصدر ورقة 24 ؛ ويمكن لكل تاجر ان يستقل بصنعته أو غيرها في الوقت الذي لايحتاج في التجارة اليه (المعيار ، 8 ، 178) .
5) المازوني ، المصدر السابق ، ورقة 24 .

4) وقد يقرض تاجر مالا لمتنقل فيحصل بالمقابل على نصيب من الأرباح[1]، يتراوح ما بين 30٪ و 40٪[2] .

ولم يكن التجار يسافرون دائما بأنفسهم لنقل سلعهم من مدينة الى أخرى، بل كانوا أحيانا يكلفون من يحرس قافلتهم دون أن يسافروا معها[3] وهناك من يستأجر وكيلا[4] حيث يسافر بالبضائع، ويعقد الصفقات، ويدفع الديون إن وُجدت، ويمكنه ان يعمل مع أكثر من تاجر واحد في نفس الوقت[5] .

وقد كان تجار تلمسان حسب شهادة ليون الافريقي رجالا ((عدولا مخلصين ومستقيمين في تجارتهم ويحرصون على بقاء مدينتهم ممونة كما ينبغي))[6] ، وهي شهادة إن صحت، تجعلهم يشذون عن الرأي الذى توصل اليه ابن خلدون في مقدمته ، وملخصه أن مهمة التجارة تفرض على التجار سلوكا معينا يبعدهم عن الفضائل[7] .

وقد أزدهرت التجارة بمدينة تلمسان، فكانت سوقا كبيرة يلتقي بها التجار القادمون من مختلف أنحاء

---

1) المازوني، المصدر السابق، ورقة 42.

2) انظر: عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ط. بيروت القاهرة – 1403هـ/ 1983م، ص 222 .

3) انظر: المازوني، المصدر السابق، ورقة 42 خلف؛ Dhina ; Les Etats, T.2,p.496.

4) الونشريسي، المصدر السابق، ج 6، ص186.

5) الونشريسي، المعيار، 6، 131 .

6) Description , T.2, p. 334.

7) ابن خلدون، المقدمة، ج 3، ص917 .

البلاد لغرض منتجاتهم الفلاحية والحرفية ، ومن مختلف أنحاء المغرب والأندلس وأوربا وبلاد السودان ، بحيث كانت العاصمة الزيانية رواقا للبحر الأبيض المتوسط ، تستقبل السلع المستوردة لتموين سكان المنطقة وما زاد عن ذلك يعبرها الى مناطق أخرى[1] .

وكان التاجر الصغير يلجأ الى التاجر المستورد في مختلف أسواق الامارة الزيانية لتموين زبائنه ، وبذلك نشأت فئة التجار الكبار الى جانب فئة التجار الصغار ، وتوفرت السلع التي اختلفت أسعارها حسب المشاق التي تعترض أصحابها لأن ((السلع المنقولة تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الضرر في طريقها فيقل حاملها ويعز وجودها ، واذا قلت وعزت غلت))[2]

التجار اليهود :

كان يعيش بالمغرب الأوسط يهود تكاثر عددهم ، لا سيما منذ 1391م (793 – 794هـ) عندما اضطهدهم الاسبان وطردوهم[3] ، وكانوا يشتغلون ، منذ العصور الوسطى المبكرة بالتجارة الخارجية خاصة ، الى جانب الحرف اليدوية وساعدهم ، على ذلك ، استقرار عائلاتهم في مختلف المدن المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وإقامة علاقات فيما بينها[4] ، وكان بعضهم ينشط في التجارة البرية فيتنقلون

---

1) انظر : Dufourcq , L'Espagne catalane, p. 136

2) ابن خلدون ، المقدمة ، ج 3 ، ص 118 – 119 .

3) Lespes (R.) : Oran, ville et port, p. 282

4) انظر : نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ، ص 308 ؛ عز الدين أحمد موسى ، المرجع السابق ، ص 290 .

مع القوافل بين المدن المغربية والمشرقية[1] كما كانوا ينتقلون بين المدن الأوربية ،وخاصة فيميورقة وبرشلونة ،وبين مدن المغرب الأوسط ،لممارسة عملية التبادل التجاري بواسطة سفن كانوا يؤجرونها ، وكانوا يقومون بدور الوساطة بين تجار تلمسان وتجار أراغونة[2] واليهود أكثر الناس عملا في الذهب ، فقد ساهموا في تزويد المدن الأوربية به[3] كما عملوا في الفضة والصيرفة واشتهروا بقرض المال،مقابل ضمانات وفوائد كبيرة بلغت أحيانا 60 ٪ وأحيانا أخرى 100 ٪ ،حسب أجل القرض الذى قد يمتد الى أحد عشر والى خمسة عشر عاما ، وقد يسدد المقترض ما عليه من ديون في بلد آخر[4] .

ومن أهم السلع التي كان اليهود يتاجرون بها :الأسلحة والتوابل والحرير والعبيد[5] ، وكانوا في بعض الأحيان يوزعون بضائعهم ، في تلمسان ،على التجار المسلمين لتسويقها ،بالمدن الداخلية،ثم يدفعون لهم المقابل نقدا أو عينا[6] .

1) انظر: Brunschvig ; La Berberie Orientale, 2,412 ؛نعيم زكي فهمي ،المرجع السابق،ص 308 ؛ Dhina ; Le Royaume Abdelouadide , p. 57.

2) انظر: Dhina ; op. cit., p. 57 ; Dufourcq ; op. cit, p.369 sqq.

3) Dufourcq ; op. cit., p. 139 sqq ; Les relations de la péninsule, p. 360.

4) عزالدين احمد موسى ،المرجع السابق ،ص 280.

5) انظر: نعيم زكي فهمي ،المرجع السابق،ص 308 .

6) Dufourcq ; Route de l'or, in bulletin d'information historique de la faculté des lettres d'Alger, n°3, 1966, pp. 9 - 10.

ج) التجار المسيحيون :

كان المسيحيون بصفة عامة يقيمون في مدن المغرب الاسلامي، للتجارة ، وخاصة منهم ممثلي الشركات الأوربية[1] وكان جميعهم يحافظون على جنسياتهم ويتمتعون بالحرية الدينية ويعيشون تحت حماية قناصلهم أو قناصل مسيحيين من جنسيات أخرى ، في حالة عدم وجود قناصل لبلادهم[2].

وكان هؤلاء التجار يجلبون معهم كميات من السلع المختلفة فيبيعونها في وهران وهنين وتلمسان ، حيث تتوفر الفنادق[3] ، ويتمتعون بحماية الدولة لسلعهم وأموالهم وأرواحهم[4] وحرية البيع والشراء[5]، وكان عملهم يقتصر على التجارة الخارجية ، من تصدير واستيراد ونقل[6] ، ولم يتوغلوا في المدن الداخلية، ماعدا تلمسان[7]

---

1) انظر : Dufourcq ; L'Espagne catalane , p. 521

2) انظر : Brunschvig ; La Berberie Orientale , T.2., pp. 431-432

3) Dhina : Le royaume Abdelouadide, p. 60, note 1; Fey, histoire d'Oran p. 41.

4) انظر : ملحق رقم 3 .

5) انظر : مابعد ، ص 213 فما بعدها من عدة صفحات

6) Dufourcq ; L'Espagne catalane, p. 521

7) Brunschvig; La Berberie Orientale, 2, 431-32; Dufourcq ; op. cit., p. 149 يرى Renouard ان المسلمين هم الذين كانوا يمنعونهم من التوغل (Le rôle des hommes d'affaires italiens, p19) في حين أن Maslatrie يقول انهم كانوا ينتقلون بحرية في بلاد المغرب (Traités, I. 183)

التي كان بها مركز القيصرية[1]، وفيه تتجمع السلع ويتم عقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحيين ،أسسه أبو حمو موسى الأول[2] فوق مساحة واسعة[3] وهو عبارة عن حي تجاري لعب دورا هاما في التجارة الخارجية، ولهذا كان يتمتع بما يشبه الحصانة الدولية اليوم، يحيط به سور، به باب أو عدة أبواب[4]، تعلوها رايات الدول التي تتاجر مع تلمسان، مثل قشتالة وأراغونة وميورقة وبروفانس ولانغدوك وبيزا وجنوة والبندقية ، وكان تجار هذه الدول يقصدون القيصرية بحثا عن الذهب ،لأنهم لم يكونوا يتوغلون في الصحراء بل كانوا ينتظرون عودة التجار المسلمين به من بلاد السودان الى تلمسان ،في فنادقهم الموجودة بالحي التجاري[5]

---

1) يطلق اصطلاح القيصرية على مجموعة من البنايات العمومية المبنية على شكل رواق دير، بها محلات تجارية وورشات ومخازن ،وفي الغالب مساكن أيضا ،وتختلف القيصرية عن السوق بسعتها الكبيرة لأنها تشمل عدة أروقة مغطاة حول ساحة في حين أن السوق يشمل رواقا واحدا (Streck M. : E.I., T.4, article Kaysarîyya, nouvelle édition, p. 873.

2) Brosselard (Ch.) ; Coudée royale, in revue africaine, journal des travaux de la société historique algérienne, T.4, année 1859-1860, Alger 1860, n°19, p.67

3) كانت مساحة القيصرية تتعدى مساحة سوق تلمسان الحالي، يحدها من الغرب شارع ادريس ومن الشرق شارع جان ماري Jean Marie وتمتد الى ساحة الشهداء (Bouali (Sid-Ahmed) ; Les deux sièges de Tlemcen, p.107, note 185.

4) Marçais (G.) ; Tlemcen et le commerce eurafricain , p. 8.

5) Dhina ; Le royaume Abdelouadide, p.175 ; Bouali (S.A.); op.cit., pp.87-88

وهكذا يتبين بوضوح أن كلا من اليهود والمسيحيين مارسوا التجارة، إلى جانب المسلمين بتلمسان وبمختلف أنحاء الدولة الزيانية، لكن كيف كان نظام هذه الممارسة ؟

يقتضي الجواب عن هذا السؤال بحث موضوع :

تنظيم التجارة

ومن ذلك :

تنظيم المكوس[1] (أو الرسوم الجمركية)

ارتبطت حركة البيع والشراء بين التجار المسلمين والمسيحيين، في امارة بني عبد الواد، بالمكوس التي كانت تفرض على البضائع، عند بيعها، أما التي لا تباع فان أصحابها لا يدفعون مكوسها، باستثناء الذهب والفضة الذين يدفع عنهما أصحابهما فور دخولهما الى الامارة مكوسا تقدر بخمسة في المائة من قيمتهما[2] .

ومما يلفت الانتباه أن المصادر المستخدمة في هذا البحث لا تتطرق الى الحديث عن المكوس التي كان حكام تلمسان يجبونها من التجارة السودانية، بل اقتصر اهتمامهما على المكوس التي كان يؤديها المسيحيون،

---

1) يرادف مصطلح مكس(ج . مكوس) مصطلح عُشر(ج . عشور) ويعني الجباية التي كانت تؤخذ على بائع السلع في الأسواق (أنظر: لسان العرب، مجلد 4، ج 8، ص105) ؛ وبمعنى آخر ضريبة أو رسم جمركي كما صار يعرف فيما بعد (Bjorkman W.: E.I., T.III, article Maks, p. 187) أي بعد سقوط الدولة الزيانية .

2) Maslatrie : Traités, T.1, p. 200

وهو ما يعود، بدون شك، الى أن الأولى كانت مسألة داخلية، على اعتبار أن التلمسانيين الذين كانوا يُنشّطون عملية التبادل في بلاد السودان هم الذين كانوا يؤدونها.

وقد اهتمت السلطات العبد الوادية بتنظيم هذه المكوس التي ساهمت بدرجة كبيرة في تمويين خزينة الدولة، فحددت مكوس الواردات عموما بعشرة في المائة من قيمة البضائع التي يتم بيعها [1]، وخفضتها بالنسبة لبعض السلع الثمينة، كالذهب والفضة، الى النصف، فيدفع عنها أصحابها خمسة في المائة فقط [2] أما السلع التي كانت تباع للسلطان مباشرة والبضائع الاستراتيجية والأدوات البحرية والأسلحة، وفي حالة المجاعة الحبوب، ومنها القمح والشعير، فقد أعفتها السلطات الحاكمة من الجباية [3]، مع العلم أن الكنيسة التي كانت تراقب التجارة وتنظر في أنواع السلع المتوجهة الى بلاد المسلمين عموما، كانت قد حرمت على المسيحيين تصدير مثل هذه البضائع الاستراتيجية، وكل ما من شأنه أن

---

1) Dufourcq : l'Espagne catalane, p.521; Maslatrie, traités, T.1, p.195; Dhina, le royaume abdelouadide, p.174.

2) Lespes ; Oran, ville et port, p.290, note 1; Brunschvig ; La Berberie orientale, 2, 242.

3) Dhina ; op. cit., p.174 ; Maslatrie ; op. cit., p. 200 ؛ تفترض نجاة باشا ان يكون آداء المكس هو عينه مهما كانت نقطة الحدود التي تجري فيها المعاملة لأن الاختلاف في المكوس، حسب رأيها، قد يحد من المعاملات في بعض المواطن دون الأخرى، ومقدار المكس أو العشر يتراوح بين 8٪ و 20٪ من ثمن البيع (التجارة في المغرب، ص 71 ـ 72).

يزيد من طاقة المسلمين كالحديد والرقيق المسيحيين وغير ذلك[1] لكن الأوربيين لم يلتزموا دائما بهذا المبدأ.[2]

وكانت مصالح ديوان البحر[3] (الجمارك) تسلم التاجر الأوربي وصلين يسمى الأول براءة[4] وتدون عليه السلع المستوردة[5] والمكوس التي دفعها التاجر، ويسمح لصاحبه أن يبيع سلعه في أسواق الامارة، ويسمى الثاني التنفيذ، وهو عبارة عن شهادة تسجل عليها كل السلع التي يملكها التاجر، ويستظهر التاجر بالوصلين عند مغادرة البلاد[6].

وكانت الجبايات المفروضة على صادرات الدولة تعادل خمسة في المائة وتجبى عن كل السلع[7]، وقد فرضت، الى جانب المكوس الثابتة، مكوس اضافية مثل مكوس الخدمات كالترجمة وقدرها 0,5٪ من قيمة البضائع[8]، ومكوس الارساء والملاحة، وهي خاصة بالمراكب التي ترسو بموانيء الامارة، ومكوس أخرى، لم تحدد قيمتها، وانما كان يقدرها موظفو الديوان، بالاتفاق مع التجار، كمكوس الوزن والتخزين والسمسرة[9] وكانت كل أنواع هذه الجبايات تسمى مكوسا أو عشورا وقد ذكر ليون الافريقي

---

1) Brunschvig ; op. cit, T.2, p.256 ; Dufourcq ; op. cit, p.522.

2) Brunschvig ; op. cit., 2,161.

3) كان مايعرف اليوم بالجمرك يسمى في عهد الدولة الزيانية بالديوان أو ديوان البحر. (انظر: Brunschvig; op. cit., T.2, p. 67).

4) Ibid, p. 241

5) Dufourcq ; op. cit., p.22.

6) Maslatrie; op. cit., p. 208.

7) Ibid, p. 200.

8) Lespes ; Oran, ville et port, p.290, note1; id.

9) Ibid, p. 201.

أن مجموع ((عائداتها السنوية تقدر بثلاثمائة ألف دوكا))[1] .

وكان يتولى جمع المكوس المختلفة موظفو الديوان (ديوان البحر) ، وهم مسلمون يشاركهم ، أحيانا ، بعض المسيحيين[2] ، وقد أقامت سلطات بني عبد الواد دواوين بحرية في مينائي وهران وهنين وكذلك في القيصرية بمدينة تلمسان ، وألزمت التجار المسيحيين على تفريغ بضائعهم وشحنها في هذه الأماكن[3] حتى تتمكن من حصر عمليات تهريب السلع ، وتستطيع جمع الجبايات على الواردات والصادرات ، وكانت الدواوين (الجمارك) من أهم المؤسسات في الدولة : فهي الهيئة المكلفة بمهمة تحصيل المكوس ، وكان يتولى ادارتها موظف مسلمي

[illegible]

---

1) Description ; T.2, p. 36 ؛ عن قيمة الدوكا ، انظر مابعد ، ص229 .

2) Maslatrie ; op. cit., pp. 188-189 ؛ ففي سنتي 1367م و 1371م كان هناك مونان قطلانيان أحدهما مسيحي والآخر يهودي ، وكانا يجبيان الضرائب الاضافية على السلع الميورقية في ميناء وهران Dufourcq ; La vie quotidienne, p.160. Dhina ; Les Etats, p. 382 ;

3) لا يمكن للتجار المسيحيين تفريغ سلعهم في الأماكن التي لا يوجد بها ديوان الا في حالة خطر كبير يحدث للسفن فيضطرها الى التوقف بعيدا عن مينائي وهران أو هنين كالعواصف أو [illegible] (Dhina; Les Etats, p.380; Maslatrie : Relations, p.187) وفي هذه الحالة يدفع التجار المكوس في ديوان القيصرية بالعاصمة الزيانية Dufourcq ; Le Sultanat de Tlemcen vers 1982-1385 d'après un document inédit dans R.H.C.M, n°6 et 7, Juillet 1969, pp.27-31.

يعرف بلقب: المشرف[1] (أي مدير الديوان) : وقد كان مشرف وهران عندما زارها عبد الباسط بن خليل سنة 870هـ / 1465 ـ 1466م ، من أعيانها وكان المدير لأمورها ((ليس لأحد معه كلمة))[2] ويستنتج من الخبر الذي سجله هذا الرحالة عن قدوم ((ولد صاحب الأشغال بتلمسان(أي وزير المالية في الامارة)[3] ... لأجل تعشير مراكب قدمت من الفرنج بمتاجر لمدينة وهران ...))[4] ، أن الاشراف على وهران كان تحت وصاية الأشغال بتلمسان ولا يعرف ما اذا كان في كل محطة من المحطات التجارية في الامارة الزيانية مشرف له نفس الصلاحيات التي كانت للمشرف على وهران ، ولا ما اذا كانت هناك علاقة تربط بين أولئك المشرفين بعضهم بالبعض ،كما ان المصادر المعروفة حتى الآن لا تسلط الأضواء على كيفية تنظيم

---

1) كانت تطلق ألقاب مختلفة على الموظف الذي يتولى ادارة ديوان البحر في المغرب الاسلامي منها صاحب الديوان وناظر بالديوان ومشرف ومشتغل(انظر: Brunschvig ; La Bèrberie Orientale, T.2, p. 67 .) وقائد الديوان (Maslatrie ; Traités, T.1,p.187) وقد وجد عبد الباسط بن خليل مشرفا على وهران عند ما زارها سنة 870هـ/ 1465 ـ 1466م(انظر: Brunschvig ; Deux récits de voyage inédits, Paris 1936, p. 59).
ولكن لا يعرف ما اذا أطلق لقب آخر على صاحب هذا المنصب قبل ذلك بوهران أو بمدينة أخرى في الامارة الزيانية .

2) Ibid, p. 80.

3) كان يطلق على مالية الدولة بكامل بلاد المغرب مصطلح أشغال وأعمال (أنظر: Bunschvig : La Berberie ,T.2,pp.66) ومن ثم يكون صاحب الأشغال هو وزير المالية بتلمسان .

4) Brunschvig ; Deux récits de voyage, p. 59.

مؤسسة الاشراف الا أنها ولاشك كانت تشبه مثيلاتها في بقية البلاد المغربية بسبب الاتصالات الكثيفة والتأثيرات المتبادلة بين السكان في مختلف جهاتها وتعامل تجار نفس البلدان الأجنبية معهم في آن واحد، ومن ثم لا يستبعد من أن التنظيم الذي كان موجودا في ديوان الامارة الزيانية كان هو نفسه المتبع في الامارة الحفصية. وقد تمكن Maslatrie من رسم معالمه الكبرى بفضل استقرائه للمعاهدات التي عقدها الحفصيون مع مختلف الدول المسيحية والتي نشرها في كتابه ((Traités de paix et de commerce)) والذي بفضله يمكن التعرف على هيئة الموظفين والعمال الذين كان المشرف يستعين بهم في تسيير شؤون الديوان ومنهم :

- الشرطة : ومهمتها تنفيذ الأحكام القضائية، وكانت المحاكم الاسلامية تختص بفض الخلافات القائمة بين التجار المسلمين من جهة وبين هؤلاء وبين التجار المسيحيين عندما يكون المدعي تاجرا مسيحيا والمدعى عليه مسلما[1] من جهة أخرى .

- الشهود : يحضرون عمليات البيع بالمزايدة أو في الحلقة[2]، مما يجعل الديوان يلتزم بمسؤوليته ويعتقد Maslatrie أنهم عبارة عن مفتشين، وقد كانوا موظفين كبارا ومحترمين[3]، وقد كان يعين لكل جالية

---

1) Maslatrie; Relations, p. 164 ؛عادل زيتون ،العلاقات الاقتصادية ،ص248

2) Maslatrie; Traités de paix... , T.1, pp. 188 et 193

3) Traités de paix ... , T.1, p. 188

مسيحية شاهد خاص[1].

- الكاتب : ويحتمل أنه كان رئيس الكتابات وكان تحت تصرفه بقية الكتاب أي أصحاب ((الازمة))[2] المكلفين بحسابات جميع التجار المتعاملين مع الديوان مسلمين كانوا أم مسيحيين، ويمكن تسميته رئيس الحسابات[3].

- المشتغل : وهو وكيل، ذو مكانة رفيعة يكلفه السلطان بالتجارة لحسابه ويسمى أحيانا مشرف[4].

- المترجمون : وكانوا يشكلون فئة كبيرة ومعتبرة جدا، ولم يكونوا على درجة واحدة، بل كانت بينهم بعض الفوارق، فالأساسيون منهم غالبا ماكانوا يخصصون للترجمة أو الصياغة الرسمية للمعاهدات وقد كانت شهادة أي مترجم قاطعة (faisant fois)، وكان تدخله المنظم في عملية تجارية، يعتبر التزاما من الديوان نفسه، الذى يصبح ضامنا للديون، ومن المحتمل أن يكون جميعهم محلفين ؛ فقد كانوا يختارون بعناية، وكان المشرف هو الذى يتولى تعيين مترجمين خاصين بكل جالية مسيحية، ولم يكن من حق أي تاجر أن يكون له مترجمه الخاص ولا من حق أي مترجم رفض تقديم خدماته لأى شخص[5].

---

1) Maslatrie, traités de paix, T.1, p. 188

2) تطلق هذه التسمية خاصة على كتب الحسابات المالية (انظر : Brunschvig ; La Berberie Orientale, T.2, pp. 188 - 189.

3) Maslatrie ; Traités de paix, T.1, pp. 188-189.

4) Maslatrie ; Traités de paix, T.1, pp. 189.

5) Maslatrie : op. cit., T.1, pp. 189-190.

- الوسطاء أو السماسرة : ويعين لدى كل جالية سماسرة يتولون عملية البيع بالمزايدة أو في الحلقة بحضور الشهود[1].

- أعوان مسيحيون (agents chrétiens) : ومهمتهم مراقبة وتسهيل عملية جمع المكوس، وتختار كلّ جالية عاملا مسيحيا يمسك كتابات تجارها ويسوي الحسابات مع الديوان بعد ذلك ، يسلمهم وصل البراءة كي ينتقلوا في كل مكان دون أن يدفعوا المكوس على نفس البضائع، وفي حالة عدم وجود مثل هذا الموظف لدى أية جالية ،كان المشرف على الديوان هو الذى يعين من يقوم مقامه[2].

- عمال البريد والوزن والكيل والحمالون والمراقبون والحراس وغيرهم[3].

<u>عمليات البيع والشراء :</u>

كانت عمليات بيع المواد المستوردة من أوربا تتم في الغالب داخل مبنى الديوان ، وأحيانا خارجه ، بكل حرية[4]، إما بالمزايدة[5] التي ينشطها سماسرة كل

---

1) Maslatrie, traités, T. 1, pp. 192 - 193

2) Maslatrie ; Traités, I, pp. 190-191

3) Ibid, p. 189

4) Dhina ; Les Etats, p. 381 ; Brunschvig ; La Berberie, II, p. 241.

5) Maslatrie; Traités, T, pp. 192 sqq.

فئة[1]، بحضور الشهود[2] وإما أن يكون البيع عاديا يقوم به مترجمون في حضور أو غياب الشهود، وفي حالة البيع العادي كانت تفرض على السلع المبيعة ضريبة اضافية، وتسجل عمليات البيع في سجلات الديوان وفي دفاتر القنصليات[3] وفي بعض الأحيان يتم البيع في الفنادق تحت اشراف موثق مسيحي أو حاجب القنصل[4].

نظام دفع المكوس (الرسوم):

كان التجار يدفعون الجبايات نقدا أو عينا، وفي بعض الأحيان نقدا وعينا، في آن واحد[5]، وكانوا يفضلون دفع الجبايات والمكوس سلعا، أي عينا[6]، وكانت مدة الدفع تحدد حسب الاتفاق، بين مصلحة الديوان وبين التجار المعنيين[7]، وهي تتراوح بين شهر، بالنسبة للتجار الأراغونيين، وثلاث سنوات وستة أشهر، بالنسبة للجمهوريات الايطالية[8].

الفنادق:

كان التجار المسيحيون الذين يقصدون المغرب الأوسط ينزلون

---

1) عن نشاط السمسار أو الدلال أو الوسط (أنظر: الونشريسي، المعيار، 8، ص355 فما بعدها من عدة صفحات، عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص284).

2) Maslatrie ; op. cit., I, p. 193.

3) Brunschvig ; op. cit., II, p. 241

4) Lespes ; Oran, pp. 290 – 291 ; Maslatrie ; op. cit., p. 194

5) Lespes ; op. cit., p. 290 ; Maslatrie, op. cit., p. 198 ; Dhina, le Royaume, p. 174 ; نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص 363.

6) Maslatrie ; op. cit., p.207

7) Ibid, pp. 206-207

8) Ibid, p. 207

في فنادق[1]، أقيمت في مينائي وهران وهنين وفي مدينة تلمسان، وهي عبارة عن ساحة تحيط جهاتها الأربع عمارات[2] من طابقين أو أكثر، وفي دورها الأرضي توجد مخازن للسلع ودكاكين[3]، واسطبلات[4] وحمامات[5] وأفران وقاعة للمحاكمة[6]، وفي بعض الأحيان حانات[7] خاصة بالتجار المقيمين في الفندق، ويطل الفندق على ساحة أو عدة ساحات داخلية، تستعمل لتفريغ السلع وتعبئتها[8] وقد خصصت حجرات الطابق الأول وما فوقه للسكن[9] ويحيط بكل فندق سور متين، يفصله عن البنايات المنتشرة حوله، ويعتبر الفندق بمثابة قطعة من الوطن الذي ينتمي اليه أعضاء الجالية المقيمة فيه، لما يتمتع به أفرادها من حرية[10].

---

1) حسب Maslatrie، فهذه الكلمة عربية وتعني مخزنا أو سوقا (أنظر: (Relations, p. 167). أما Le Tourneau (R.)، فيقول بأنه مصطلح اغريقي، يستعمل خاصة في بلاد المغرب ويطلق على النزل المخصص لايواء الأشخاص والحيوانات مثل الخان ببلاد المشرق (انظر: E.I., T.2, Art.Funduk, pp. 966 - 967, nouvelle édition).

2) Ibid, T.2., p. 967

3) انظر: طرخان ابراهيم علي، دولة المماليك الجراكسة، ص 283.

4) Le Tourneau (R.): op. cit., p. 967

5) اذا لم يتوفر الفندق على حمام، يخصص حمام المدينة يوما في الأسبوع للأجانب (Maslatrie ; op. cit., p. 169).

6) Pernoud Regine ; op. cit., p. 46

7) نجاة باشا، التجارة في المغرب، ص 105.

8) طرخان، المرجع السابق، ص 283؛ عادل زيتون، المرجع السابق، ص 246؛ Lespes ; op. cit., p. 290.

9) طرخان، المرجع السابق، ص 283؛ عادل زيتون المرجع السابق، ص 245؛ Dhina ; op. cit., p. 167.

10) Maslatrie ; Relations, p. 169؛ نجاة باشا، المرجع السابق، ص 105 – 106.

وللفندق بوابة ضخمة تغلق ليلا من الخارج ، تحرسها شرطة من البلاد ، تراقب الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون ، وتمنع المشبوهين والذين لا يحملون رخصة القنصل من الاقتراب[1].

وينزل التجار الأجانب سلعهم في مخازن الفندق ، ويعرضونها في دكاكينه للبيع بالجملة أو بالتجزئة ، عن طريق المزايدة[2].

ويوجد في كل فندق كنيسة أو مكان خاص يمارس فيه المسيحيون شعائرهم الدينية ، تحت اشراف طائفة من رجال الدين ، لكنهم كانوا يمنعون من رفع بناء كنائسهم[3] ولكل جالية مقبرة خاصة[4] ، ويشرف على الشؤون الادارية للفندق موظف يسمى الفندقي[5] وهو مندوب للقنصل يختار من ذوي الجاه والمنزلة[6].

القنصل : لقد أسس نظام القناصل بالجمهوريات الايطالية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

---

1) Maslatrie ; op. cit., p. 171

2) Maslatrie ; op. cit., p. 167 ؛ نجاة باشا ، المرجع السابق ، ص71 ؛ نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص288 .

3) عن هذا الموضوع أنظر : العقباني التلمساني ، المصدر السابق ، ص168 - 169 .

4) Maslatrie ; op. cit., p. 169 ؛ عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص247 ؛ Dhina ; Les Etats, p. 380.

5) يسمى بالايطالية Fondicarus (انظر طرخان ، المرجع السابق ، ص272 ؛ نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص288) وهو رئيس المراقبين (Surveillant Chef) (Maslatrie, op. cit., p.167).

6) عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص 245 .

(السادس والسابع الهجريين) واستمر الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) ،ويمثل القناصل مصالح البلدان الأجنبية في البلاد الاسلامية وفي بيزنطة[1] وهكذا كانت المدن التجارية الأوروبية تعيّن قنصلا[2] للاشراف على تجارها بالمغرب الأوسط المدة سنة أو سنتين[3] وربما ثلاث سنوات ، في حالة ما إذا زكاه مواطنوه التجار[4] ثم يستبدل بعد ذلك بغيره ، وقد يقوم مقام القنصل مشرف تجاري يسمى القائد يختاره المسيحيون لادارة وحماية شؤونهم في علاقاتهم مع المسلمين[5] .

وكان يساعد القنصل قس وموثق للعقود وترجمان مسلما كان أو مسيحيا ،ووكيل[6] وعدد من العمال، يعرف أحدهم الكتابة ،ويكون تحت تصرفه قرشان على الأقل[7] .

يدير القنصل شؤون جاليته ، فيرعى مصالح التجار ،ويسهر على مصالح الغائبين منهم لدى الديوان (الجمارك) والسلطات المحلية ،ويحمي الأفراد وممتلكات الذين

---

1) Spuler (S.) ; E.I., T.2, Article Consul, p. 61 , nouvelle édition .

2) كان يختار من بين التجار الذين لهم صلات قوية مع المسلمين (نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ،ص325) وفي بعض الأحيان كان يختار من الأسر الأوروبية العريقة (Brunschvig ; La Berberie, I, p.436).

3) Ibid , I, p. 436 .

4) نعيم زكي فهمي ،المرجع السابق ، ص 325 .

5) Maslatrie, Traités, T.1, pp.186-187 .

6) نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص325 .

7) Maslatrie ; Relations, p.165 .

يموتون منهم، ثم يسلمها لأهاليهم. وفي بعض الأحيان، يعين من ينوب عنه أثناء غيابه [1].

ويختص القنصل ومساعدوه بفض النزاعات بين مواطنيهم، فيترأس مجلس المحاكمة الذي يطبق قوانين بلاده، واذا كان المدعي مسلما والمدعى عليه مسيحيا تعرض القضية أمام القنصل [2] ويمثل القنصل رعاياه أمام القضاء [3]. وفي حالة عدم وجود القنصل تعرض القضية على الديوان واذا كان النزاع خطيرا ينظر فيه الوالي [4].

والقنصل مسؤول عن الاداءات الجمركية، أمام السلطات المحلية، ولا يسمح له بالتجارة لحسابه أو لحساب غيره [5]، ويستطيع مقابلة السلطان مرة في الشهر ليعرض عليه المشاكل [6].

وبمقتضى معاهدة 686هـ / 1286م، بين السلطان أبي سعيد عثمان وجاقمة الفاتح (Jacques Le Conquerant)، أصبح القائد الأراغوني مسؤولا عن التجار المسيحيين في امارة

---

1) Maslatrie, op. cit., p.163

2) Ibid, p. 164 ؛ عادل زيتون، المرجع السابق، ص 248.

3) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 325- 326

4) Brunschvig ; La Berberie Orientale; Maslatrie ; op. cit., p. 164. T.1, pp. 436 - 437.

5) Brunschvig ; op. cit., p.436 ; Maslatrie ; op. cit., p. 166 ؛ نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 325.

6) Maslatrie ; op. cit., p.163.

بني عبد الواد ، وكان يراقب حسابات الفنادق ويرسل عائداتها الى ملك أراغونة[1] .

طرق التعامل بين التجار :

كان التعامل في أسواق بني عبد الواد يتم بطرق مختلفة ، منها البيع نقدا (أي بالجملة) حيث كان التجار يستعملون الدينار الذهبي وأجزاؤه ، والدرهم الفضي وأجزاءه .

ويكون البيع أحيانا مقايضة ، وفيه تكون المبادلات عينية[2] أي تبديل سلعة بأخرى .

ويتعامل التجار أحيانا بالسلف ، وخاصة منهم اليهود ، لما كانوا يجنون من فوائد تعتبر في الشريعة الاسلامية ربا[3] ، ويكون السلف نقدا بنقد ، أو نقدا بسلعة[4] ، أو سلعة بأخرى ، والسلف أكثر البيوع انتشارا[5] كما كانوا يتعاملون بتأجيل الدفع الى ما بعد البيع[6] .

البيع بالرهن في الثمن ، وهو أن يكتب الراهن (أي المشتري) بدلا عن ثمن البضاعة ، رسما ، يضع بمقتضاه

1) وقد حاول قائد ميورقي أن يحل محله بين سنتي 1325 ـ 1330م (726هـ 801هـ) (انظر : Dhina, Royaume, p.176 ; Dufourcq , Espagne Catalane, p. 172)

2) انظر : ما بعد ، ص231 .

3) انظر : الونشريسي، المصدر السابق ، 5 ، ص244 فما بعدها ؛ عز الدين أحمد موسى ، المرجع السابق ، ص295 ـ 296 ؛ Dufourcq, Le Sultanat de Tlemcen vers 1382-1385, pp.

4) عز الدين أحمد موسى ، المرجع السابق ، ص295 ـ 296 .

5) نفسه .

6) المازوني، المصدر السابق، ورقة 24 .

شيئا معينا تحت تصرف المرتهن (أي البائع) الى أن يسدد له ما عليه من دين[1] .

ويلجأ التجار أيضا الى الحوالة على الصرافين (أو الصيارفة) الذين كانوا يمثلون بنوك ذلك العصر[2] ، وكانت هذه الطريقة أقل استعمالا لأن الفقهاء حرموا التعامل بها لما فيها من ربا[3] ولم يجوزوه الا بشروط منها أن يكون أن تكون عملية البيع جديدة شرعا وليست فاسدة (أي ليس فيها ربا) وتكون الحوالة من باب المعروف وليس من باب البيع[4] (أي بدون أرباح) .

واذا كانت هذه هي أهم طرق التعامل بين التجار فما هي العملة المتداولة بينهم ؟

من المعروف أن العملة عرفت اختلافات كبيرة في البلاد الاسلامية[5] وهو ما يزيد من ضرورة البحث عن خصائص عملة بني عبد الواد ، ومنها :

العملة الذهبية :

تسمى وحدة العملة الذهبية الاسلامية الدينار

---

1) المازوني ، المصدر السابق ، ورقة 15 . ; عن معنى الرهن انظر : المنجد في اللغة والاعلام ط. بيروت 1969 ، ص 284 .

2) ذلك أن التجار كانوا يدّخرون عندهم أموالا مقابل فوائد ، ثم يحيلون عليهم عملاءهم كي يسددوا لهم المبالغ المستحقة (انظر : الونشريسي ، المصدر السابق ، 6 ، ص 316) .

3) نفس المصدر ، 6 ، ص 130 وهنا وهناك .

4) المازوني ، المصدر السابق ، ورقة 19 - 20 .

5) ابن خلدون ، المقدمة ، 1 ، ص 322 (ط. الدار التونسية للنشر) .

وهي تسمية ذات أصل اغريقي ، ديناريوس (Denarius) باللاتينية ، وقد كان يطلق في البداية على قطعة فضية ، وبعد الامبراطور قسطنطين (288 ـ 338م) أصبح الدينار Dénarus aureus مرادفا لـ Solidus ، وقد عرف العرب هذه القطعة الرومانية والبيزنطية قبل الاسلام ، ويبدو أن الوزن الشرعي للدينار (أي المثقال) هو نفس وزن السوليدوس (Solidus) البيزنطي، أي حوالي 55،4 غرام ثم انخفض بعد اصلاح الخليفة عبد الملك بن مروان (65 ـ 86هـ / 685 ـ 705م) الى حوالي 25،4 غرام[1].

وقد كان للدينار ببلاد المغرب والأندلس تاريخه الخاص[2]، وقد عثر الأثريون على دينار ذهبي زياني ، ضرب في تلمسان ، يبلغ وزنه 57،4 غرام[3]، وهو ما يؤيد قول ليون الافريقي الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي (10هـ) من أنه كان يساوي دوكا ايطاليه وربعا[4]، وقد نشر لافوا la voix كشفا لاثنين وثلاثين دينارا في

1) انخفضت قيمة الدينار ، حسب ذلك الاصلاح نتيجة القرار الذي اتخذ لتعديل تعريف المثقال (أي الدينار) باعطائه قيمة 20 قيراطا ذات 0،2125 غرام عوضا عن القيمة السابقة المعقدة التي تساوي 21 قيراطا و 3/7 أو 22 قيراطا ناقص جزء (انظر: Miles G.C; E.I, T.2, Article dinars, p. 305) وقد قام عبد الملك بهذا الاصلاح سنة 75هـ/ 694م (ماجد عبد المنعم التاريخ السياسي الدولة العربية ، ج 2، ص 168) أو سنة 77هـ/ 699م (Allan (J.) و E.I., T., III, Art. Mithkal, p.599) أو سنة 79هـ/ 9ـ 698م (Miles (G.C.) ; op. cit., p. 329).

2) Miles G.C. ; op.cit., p.305.

3) انظر: السكة الاسلامية من خلال مجموعات المتحف الوطني للآثار ، نشر وزارة الثقافة ، نوفمبر 1984 وجهة م.

4) انظر : مابعد ص229 فما بعدها .

الجزء الثالث من كتابه Catalogue ويتبين منه أن وزن الدينار، عند بني عبد الواد، يتراوح ما بين 4,48 و4,58 غرام وأن أجزاء الدينار هي النصف والربع والثمن[1].

وكان الأوربيون يتعاملون في تلمسان بالعملة المغربية، سعيا وراء الحصول على كميات كبيرة من الذهب، وقد بدأت الجمهوريات الايطالية تضرب السكة الذهبية منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ)؛ ففي سنة 1252م (651 هـ) ظهر بجنوة الجانونيو Janunio أو الجينوفينو Genovino الذي بلغ وزنه 3,5 غرام من الذهب، وكانت جنوة، قبل ذلك، تتعامل بالنوميسما البيزنطية والدينار الاسلامي، وفي نفس العام ظهر الفلورين الذهبي Florino d'Or في فلورانسا، ويزن 3,53 غرام وظهر سنة 1284م (684هـ) الدوكا البندقي ويتراوح وزنه ما بين 3,55 غ و3,56 غ وتبلغ نسبة الذهب فيه حوالي 7,99٪[2] كما ظهر في ميورقة عملة ذهبية منذ سنة 1310م (حوالي 710هـ)، بينما بقيت أراغونة حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي (8 هـ) تستعمل العملة الذهبية المغربية[3].

وقد عرفت العملة عموما نوعا من الاستقرار في القرن الرابع عشر الميلادي (8هـ)؛ أما في القرن السادس عشر (10هـ) فقد لاحظ ليون الافريقي اختلافا في وزن القطع

---

1) انظر: Dhina ; Le royaume Abdelouadide, appendice, p.251

2) انظر: عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية، ص48- 49؛ Renouard (Y) ; Le rôle des Hommes d'affaires, pp.14-15.

3) انظر: Dhina, op. cit., p.171

النقدية وانخفاض قيمتها في الغالب، ورد ذلك الى الغلاء المتزايد[1] .

العملة الفضية :

كانت العملة الفضية تستخدم الى جانب العملة الذهبية في الامارة الزيانية ، ووحدتها الدرهم، وكان وزنه بعد اصلاح عبد الملك بن مروان يعادل 2,97 غرام وهو ما يوافق القيمة النظرية التقليدية المبنية على التعريف العربي الكلاسيكي القاضي بأن وزن الدرهم يساوى 7/10 وزن المثقال (الدينار)[2] .

أمّا درهم الامارة الزيانية فيزن حوالي غراما واحدا ونصفا[3] وأجزاءه هي النصف والربع والثمن[4] ويلاحظ ان الدرهم لم يحافظ على الاستقرار النسبي الذى عرفه الدينار حتى القرن السادس عشر الميلادى (10هـ) ، بل ان قيمته كثيرا ماكانت تتغير بسبب النقص في الفضة[5] حتى أن قيمته بالنسبة للدينار انخفضت من 10 أو 12 درهما للدينار الواحد في عهد الرسول (صلعم) الى 20 أو 30 أو 50 درهما للدينار الواحد في بعض الأحيان من القرن الخامس عشر الميلادى[6] (9هـ) بل ان ابن فضل الله العمرى الذي عاش

---

1) Description, T.2, p.336 .

2) Miles G.C. ; E.I., T.2, art. Dirham, pp.328-329, nouvelle édition

3) انظر : Dhina ; Le royaume Abdelouadide , p. 171

4) انظر: عزالدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص298.

5) Dhina ; op. cit, p. 171

6) Miles G.C ; op. cit., p. 329

في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) يقدر قيمة مثقال الذهب (أي الدينار) في فاس، بناء على المعلومات التي استقاها من الشيخ أبي عبد الله الصالحي، بمائة وعشرين درهما (من الدراهم الصغيرة) أو ستين درهما كبيرا[1] ولا يستبعد أن تكون له نفس القيمة في تلمسان بحكم قرب المسافة وكثافة الاتصالات بين المدينتين، بالاضافة الى وقوع تلمسان، أكثر من مرة، بين أيدي حكام فاس المرينيين.

باضافة الى عملتي الذهب والفضة، كان التجار يتعاملون في بلاد السودان بالمقايضة[2]، وكانت أكثر انتشارا هناك[3] وقد شملت الملح الذي يعتبره الكثيرون عملة[4] والعبيد والأقمشة والخيول[5] كما كانوا يتعاملون بأنواع مختلفة من القطع منها:

أ) القطع المعدنية:

وهي قطع مصنوعة من معادن مختلفة مثل:

1) الذهب:

1) انظر: Masalik El - Absar, p. 173 ، وكل درهم كبير يساوي درهما أسود عند أهل مصر ويساوي درهم مصر الأسود ثلث درهم الفضة الخالصة المتداول في مصر وبلاد الشام أي أن ثلاث دراهم كبيرة تساوي درهما من الفضة الخالصة تقريبا؛ أما الدرهم الصغير فيساوي سدس درهم الفضة الخالصة وعندما يقال الدرهم، دون أية اضافة، فالأمر يتعلق بدرهم صغير الا في مراكش والمناطق التابعة والمجاورة لها (id)

2) انظر: Dhina ; Les Etats de l'Occident Musulman, p325

3) انظر: Coudray : Relations Commerciles, p.422

4) انظر: زبادية، سنغاي، ص222.

5) نفسه؛ ليس هناك، من المصادر المستخدمة في هذا البحث ما يؤيد فكره قداح نعيم من أن التعامل بالمقايضة قد توقف في القرن الثاني عشر الميلادي (6هـ) (حضارة الاسلام، ص131 فمابعدها) خاصة فيما يتعلق بالمبادلات الداخلية، ومع بلاد السودان.

ويستعمل بكميات كبيرة في صنع ما كان يسمى بالدراهم الصلع، أي بدون سك، وهي قطع ليس بها أي رسم أو أية كتابة[1]، ولم تسجل كتب التاريخ أي شيء عن قيمتها ولا عن احتمال سكها أو صنعها في دار ضرب معينة .

2) النحاس:

كانت تصنع قضبان من النحاس الأحمر، في طول الشبر والنصف، وهي على نوعين :

- الرقاق : وتعادل ستمائة منها مثقالا من الذهب .
- الغلاظ : وتعادل أربعمائة منها مثقالا من الذهب .

ويصرف النوع الأول في شراء اللحم والحطب، ويصرف الثاني في شراء العبيد والذرة والسمن والقمح[2].

3) الحديد :

كان في شكل قطع تنقسم الى ثلاثة أنواع، منها التي تزن رطلا، ومنها التي تزن نصف رطل وأخرى تزن ربع رطل، وتشترى بها سلع ذات قيمة محدودة مثل الحليب والخبز والعسل[3] .

ب) العملة غير المعدنية:

ومنها :

الودع[4] :

1) البكري، وصف افريقية الشمالية، ص 71 .

2) ابن بطوطة، رحلة، ص454 .

3) Léon l'Africain ; Description, T.2, p. 465

4) من رخويات البحرية البطنية الأرجل، تعيش في المياه الدافئة، كانت اصدافها تستخدم نقوداً أو للزينة (الموسوعة العربية الميسرة، ط. القاهرة 1965، ص1946.

وقد استعمل في المبادلات اليومية، وكانت أربعمائة ودعة تعادل دوكا[1] أو مثقالا[2] من الذهب، ولم تكن قيمة الودع قارة، خاصة في آخر القرن السادس عشر الميلادي (10هـ)، عندما تفطن له البرتغاليون وجلبوا منه كميات كبيرة الى بلاد السودان حتى أصبحت ثلاثة آلاف ودعة تساوي مثقالا واحدا من الذهب[3].

وكما أن التعامل بين التجار، في وقت ما، يتطلب معرفة العملة المتداولة فانه يستدعي معرفة الموازين والمكاييل في تجارة المواد الغذائية والمقاييس في تجارة الأقمشة المتداولة فيه بمكان ما.

أ) الموازين:

تختلف الموازين التي استخدمها التجار في بلاد المغرب، من منطقة الى أخرى، وهي تعتمد في بعض الأحيان على العرف[4] وقد شاع منها في المغرب الأوسط:

1) المثقال:

يحتمل أن يكون المثقال أقدم وحدة للوزن عند العرب، وهو يطابق السوليدوس (Solidus) الروماني الذي أتخذه الخليفة عبد الملك بن مروان وحدة لوزن الذهب، أثناء إصلاحه، وصار الدينار بعدها يزن مثقالا من 65 حبة

1) Léon l'Africain ; op. cit., p. 469.

2) Godinho ; op. cit., p. 198.

3) زيادية، المرجع السابق، ص209.

4) من الناحية الشرعية يجب أن تكون المكاييل والموازين ((موحدة متفقة القدر في جميع المصر ونواحيه المعهودة به لا يتفاوت منها شيء عن شيء ...)) (العقباني، تحفة الناظر، ص241؛ قارن المازوني، الدرر المكنونة، ورقة 40).

ونصف (4,25 غرام) ولذلك اعتبر المثقال مرادفا للدينار[1]، ويقدر المثقال الشرعي بوزن 72 حبة من الشعير[2] المتوسط الحجم.

2) الدرهم:

كان وزن الدرهم الشرعي ((هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهما؛ وهو على ذلك سبعة أعشار ($\frac{7}{10}$) الدينار))[3] أي أنه يتراوح عادة ما بين 50 و 60 شعيرة أو حبة متوسطة الحجم يقشورها ويقسم دوره إلى ست دوانيق[4] قيمة الواحد منها ما بين 8 و 10 شعيرات[5] وكان الدرهم في عهد البكرى (القرن الخامس الهجرى (11م)) يقدر بمدينة تنس البحرية التي شملتها فيها بعد الامارة الزيانية، باثني عشر صقلية أي ثمان خراريب والخروبة بأربع حبات من الشعير[6]، وقد كثر استعمال الدرهم في تلمسان أيام الدولة الزيانية[7] لوزن الأشياء الصغيرة والخفيفة كالفضة، يتراوح وزنه ما بين 1,49 غرام و 1,50 غرام[8].

1) انظر: Allan J : E.I., T. III, Article Mithkal, p. 599

2) المقدمة، ج 1، ص 322.

3) ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 322.

4) يمثل الدانق سدس وحدة القياس العربية : E. De Zambaur ; E.I., T.III, art. Habba, p. 11, nouvelle édition.

5) أنظر: Miles G.C., E.I., T.2, Article Dirham, p. 328, nouvelle édition.

6) أنظر: لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص 75 – 76.

7) ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 198 (ط. بيروت)

8) انظر: Dhina; Le royaume Abdeloudide, p. 171 ؛ يقدر Mauny وزن الدرهم في بلاد السودان بحوالي 3,14 غ (Tableau géographique, p.414)

3) الأوقية :

وهي تزن سبعة مثاقيل، أي حوالي 29,75 غراما[1].

4) القيراط :

أصله قِرّاط، ويقدر بنصف دانق، قيمته نصف عُشر الدينار (5٪) في أكثر البلاد الاسلامية[2] أو نصف الدرهم، ويزن 0,75 غرام[3] ويتكون من أربع أو خمس حبات[4].

5) الحبة :

تعتبر أغلب المصادر العربية أن الحبة تمثل 1/60 من وحدة الوزن المستعملة، أي عُشر دانق[5] (سدس وحدة الوزن)، وتختلف الحبة حسب وحدة الوزن المستعملة، فهناك حبة وزن الفضة، وحبة وزن الذهب، وحبة المثقال، وحبة وزن الذرهم؛ وباعتبار وحدة وزن المعدن الثمين هي المثقال ذو 4,25 غرام (65 حبة ونصف) يكون الوزن المحتمل للحبة حوالي 70 أو 71 ملّغراما تقريبا، وغالبا

---

1) أي 4,25غ (وزن المثقال الواحد) × 7 = 29,75 غراما (انظر: لسان العرب، مجلد 6 ج 11، ص 293) وتقدر أحيانا بأربعين (لسان العرب، 6، ج 11، ص 293؛ المقدمة، ج 1، ص 198)؛ عنها انظر: Dhina, op. cit., p. 171.

2) لسان العرب، مجلد 5، ج 9، ص 251.

3) الونشريسي، المعيار، 5، ص 78.

4) E. De Zombaur, E.I., T.III, Article Habba, p.11, nouvelle édition.

5) وهناك تقديرات أخرى تتراوح مابين 1/48 و 1/72 (id.)؛ وحسب ابن خلدون فهي تمثل وزن حبة القمح أو الشعير المتوسط الحجم (العبر، 7، ص 322 (ط. بيروت)؛ أنظر: Dhina, op. cit., p.171.

ما تنقسم الحبة الى حبتي شعير أو أربع حبات أرز أو حوالي 100 حبة خرذل[1].

ب) المكاييل:

كانت المكاييل المتعارف عليها في أسواق تلمسان مختلفة، منها:

1) الصاع:

ويستعمل لكيل الحبوب، ويساوي الصاع الشرعي أربعة أمداد، ويختلف حجم الصاع المستعمل في الكيل التجاري من مكان الى آخر[2]، بل يختلف في المكان الواحد من زمن لآخر، اذ يذكر العقباني التلمساني أن صاعا كان يستعمل قديما في تلمسان ((يعرف بالتاشفيني)) عوض بصاع أكبر كان يستعمل في زمانه ((يعرف بالوهراني))[3] ولا يذكر سعته، ولا ما اذا كان الصاع الأول ينسب الى أبي تاشفين الأول أو الثاني وقد كان يقدر بحوالي 45 لترا[4].

2) المد:

يختلف المد المستعمل في الكيل التجاري من مكان لآخر[5]، وهو

1) E. De Zambaur ; op. cit. , p. 11.

2) انظر: Bel (A) ; E.I., T.4, art. Sā, p. 1

3) تحفة الناظر، ص 236.

4) انظر: Dufourcq ; L'Espagne catalane, p. 568 ؛ ويعادل في بلاد السودان أربعة اضعاف المدّ (زبادية، المرجع السابق، ص199) أي 3 لتر (Mauny ; op. cit., p.413).

5) Bel (A) ; op . cit., p. 1.

عند بني زيان ستون برشالة [1] ،وفي بلاد السودان أربعة ألواح بجمع اليدين ،أي حوالي 75,0 لتر [2] وهذا يعادل الحجم الرسمي لمد النبي [3] (صلعم)

3) البرشالة :

وكانت تستعمل في كيل الحبوب ، وتزن،في تلمسان، ثلاثة عشر رطلا ،أو اثني عشر رطلا ونصفا [4] .

4) الرطل :

يوزن به ويكال،ويقدر باثنتي عشر أوقية بأواقي العرب [5]. وكان يقدر في أرشقول وتنس،أيام البكري، في القرن الخامس الهجري (11م) ، باثنتين وعشرين أوقية [6] ، وفي القرن العاشر الهجري (16م) قدره الحسن الوزان بحوالي 340 غراما [7] .

5) القنطار :

وهو معيار وزن الذهب أو الفضة [8] ، وكان يستعمل في تلمسان [9]

1) ابن خلدون (يحي) ؛ بغية الرواد ،ج 1،ص 90.
2) Mauny ; op . cit. , p. 413 ؛ زبادية ،سنغاى ،ص199 .
3) Bel (A) ; op . cit. , p. 1 .
4) ابن خلدون (يحي) ،المصدر السابق ،ص90؛ ابن خلدون (عبدالرحمن) ،العبر،7، 198؛ Dozy R.,supplément aux dictionnaires arabes, I, 65.
5) لسان العرب ،مجلد 7 ،ج 13،ص 304.
6) البكرى،المصدر السابق ،ص89؛ لقبال موسى ، الحسبة المذهبية ،ص 75 .
7) Léon l'Africain ; op. cit.,T.2, p.332
8) لسان العرب،مجلد 3،ج 6، ص 431 .
9) انظر: Dhina; Le royaume Abdelouadide,p171.

وفي بلاد السودان[1] ، ويختلف وزنه من مكان لآخر[2] .

6) المودي :

وهو مقدار حبوب توضع في كيس من الجلد يحمله الرجل أو العبد في الغالب[3].

7) الويبة :

ويأتي ذكرها فيما يتعلق بكيل الحبوب والدقيق[4] وتسع اثنتين وعشرين مدا بمد النبي (صلعم)[5] وهناك نصف الويبة وربعها[6] .

وكانت بعض السلع تباع كيلا ووزنا كالحبوب مثل القمح والشعير ، وبعضها تقديرا : كالصوف التي تباع أحيانا بالجزة ويختلف وزنها حسب حجمها[7].

د) المقاييس:

كانت المساحات في المغرب الأوسط تقاس بالوحدات التالية :

1) الحرصة : وطول ضلعها خمسة وعشرون ذراعا .

2) المرجع: وطول ظلعه خمسون ذراعا .

---

1) انظر: زبادية ،المرجع السابق ،ص199 .

2) عن ذلك الاختلاف أنظر لسان العرب ،مجد 3،ج 6 ،ص431.

3) تاريخ الفتاش ، 1913 ،ص179-188؛ زبادية ،المرجع السابق ،ص 199 .

4) الونشريسي المصدر السابق ، 5 ، 75- 76 ؛ العقباني التلمساني ،المصدر السابق ،ص239.

5) المجيلدي (احمد سعيد) ،التسيير في أحكام التسعير ،تحقيق لقبال موسى ،الجزائر 1981، ص58 ،هامش 13 .

6) الونشر ،المصدر السابق ،ج 6 ،ص 222.

7) عزالدين أحمد موسى ،المرجع السابق ،ص 297 .

3) الصّنج : ويقدر بمائة مرجع، ويعادل تقريبا احد عشر هكتارا[1].

أما الأطوال فتقاس بالذراع، وقد عُثر على ذراع ملكية من العقيق اليمني، نقشت فوق قطعة من الرخام، وضعها الأمير الزياني أبو تاشفين الأول، في القصيرية التكون تحت تصرف التجار، مؤرخة في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية (728هـ/ فبراير 1328م)[2]، ويبلغ طولها 0,4873 من المتر، وتنقسم الى أربع وعشرين أصبعا أو الى شبرين[3]، وقد أوجب الشيخ ابن رشد الرجوع الى الذراع المنصوب للناس يتبايعون عليه[4].

وكان المحتسبون، بمساعدة بعض الأعوان، يراقبون صحة المكاييل والموازين والمقاييس ويمنعون الغش والاحتكار ويهتمون بنظافة السوق ويؤمنون حراستها[5]، مما أدى الى رواج التجارة الداخلية الى جانب التجارة الخارجية، فكانت الامارة الزيانية تصدر وتستورد منتجات كثيرة متمثلة في :

أولا : الصادرات :

وقد شملت صادرات الامارة الزيانية مواد متنوعة منها :

1) المواد الزراعية:

---

1) Dhina , Le royaume Abdelouadide, p.172.
2) Brosselard (Ch), op.cit, p.108.
3) Dhina , Le royaume Abdelouadide, p. 172
4) العقباني التلمساني، تحفة الناظر، ص235.
5) لقبال موسى، الحسبة المذهبية، ص36 فما بعدها ; ص114 فمابعدها ; عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 294 ــ 295.

جعلت الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ امارة تلمسان منطقة فلاحية يتنوع فيها الانتاج، حسب نوعية التربة وكمية الأمطار، ومن أهم منتجاتها :

أ) الحبوب: ومنها القمح، ويعتبر القمح الصلب أكثرها انتشارا وكثافة منذ القديم[1]، لأنه ينمو في التربة المتماسكة الفيضية الخصبة[2]، شمال خط المطر المتساوي 300 مم، حيث تتوفر الرطوبة الكافية[3]؛ في فصل الانبات، والحرارة اللازمة في فصل النمو، والجفاف الضروري في فصل الحصاد، وكانت زراعة القمح الصلب تتركز حول تلمسان[4]، في سهل تاسالا الذي كان يوفر، وحده تقريبا، حاجة سكان المدينة[5]، وكذلك في سهل البطحاء[6] حول وادي سيق، وسهل تنس[7]، وسهل متيجة[8]، ويفيض انتاجه في الامارة عن حاجة السكان فتخزن بعض الكميات لوقت الحاجة، ويخصص بعضها لمساعدة الامارات الشقيقة

---

1) المقري، المصدر السابق، ج 7، ص 341.

2) انظر: حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر، دمشق 1968، ص 38 .

3) نفسه، ص 71 = 72 ؛ Bel; Marçais G. ; E.I., art. Tlemcen, T.III, P.844 ; (A.), Tlemcen, p.5 .

4) المقري، المصدر السابق، ص 341 .

5) Léon l'Africain ; op. cit., T.2, P.337 .

6) Pelissier; op. cit., p. 405 ; ibid, p. 339 ؛ عن البطحاء، انظر ما قبل ص 131، هامش 3 .

7) ibid, p.337 .

8) ibid, p. 346 .

والصديقة[1] وتصدر كميات اخرى[2] الى أوربا[3]، فتحملها السفن من وهران الى مرسيليا[4]، ومن هنين الى المرية[5]، ومنها تحمل برا الى غرناطة، وكان القمح يمثل جزءا هاما من حمولة السفن المتوجهة الى برشلونة وميورقة[6]، وينقل برا الى سجلماسة ومنها تحمله القوافل الى بلاد السودان[7] التي لم يكن استهلاكه فيها منتشرا بين الأوساط الشعبية بل كان ((غذاء التجار والغر باء))[8] وقد بلغ سعر القنطار منه، في أودغست، ستة مثاقيل ذهبا في القرن الثاني عشر الميلادي (6هـ)، وكان سعره في بلاد السودان عموما يزيد بمقدار الثلثين عما كان عليه ببلاد المغرب في تلك الفترة[9]، وقد بيع في القرن الرابع عشر الميلادي (8هـ) بتكدة ((بحساب عشرين مدا من أمدادهم بمثقال

---

1)كان الأمير الزياني أبو حمو موسى الثاني يرسل مساعدات تحتوي على كميات كبيرة من القمح: فقد بعث سنة 763هـ/1361م خمسين ألف قدم من الزرع لغرناطة (ابن خلدون (يحي) بغية الرواد، ج 2، ص 114) .

2) Lespes ; Oran, ville et port , p. 287.

3) Maslatrie ; op. cit., T.1, p.219 ; Blancard ; Document, T.1., p . 42.

4) ibid, p. 42.

5) الادريسي، المصدر السابق، ص 57.

6) انظر: Dufourcq ; l'Espagne catalane, p.545 sq ; Dhina ; le royaume abdelouadide, p.165.

7) Mauny; Tableau géographie, p. 163.

8) وكان القمح في بلاد السودان يزرع بكميات قليلة جدا (ابن بطوطة، رحلة، ص 53+ ; Lombard; l'Islam, p. 163.

9) انظر: زبادية، المرجع السابق، ص205؛ وعن سعر القمح في افريقية مابين القرنين 13 و 14 م (7و 8هـ) انظر: Maslatrie; traités, T.1, p.220.

ذهب(دينار) ومدهم ثلث المد ببلادنا))[1] أي بالمغرب. اما سكان المناطق الواقعة عند حافة الصحراء الجنوبية فكانوا يحصلون على قليل من القمح مقابل خدمات يقدمونها للتجار أثناء مرورهم بمناطقهم[2].

ولم يتغير سعر القمح كثيرا في الفترة مابين القرنين الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين (6 ـ 10هـ) ،وقد يعود ذلك أو الى الاستقرار السياسي الذى عرفته المنطقة، باستثناء أيام المجاعات،أو فترات الاضطرابات : لأنه كلما قل الأمن في الطرقات أو في البلاد ، يقل ورود القوافل، وتنقص كميات القمح ،وترتفع أسعاره في الأسواق[3] ،وفقا لنظام العرض الطلب، وكذلك قلة الطلب عليه بسبب عدم انتشار استهلاكه في الأوساط الشعبية[4] .

حسب عز الدين أحمد موسى فقد كان القمح يصدر من بلاد المغرب الى سوريا في آخر القرن السادس الهجرى (12م) لكنه لا يحدد المناطق التي كان يصدر منها ولا المصادر التي نقل عنها هذه المعلومات[5] التي لو صحت فان الامارة الزيانية قد يكون لها نصيب فيها .

---

1) ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص 453.
2) انظر: زبادية ،المرجع السابق ،ص 222.
3) نفسه، ص 204 ـ 205 .
4) نفسه،ص 221 ـ 222 .
5) يعود في نقل معلوماته هذه الى مرجع انجليزى بعنوان: the wares of exchang لـ H.C. Krueger (انظر: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ،ص 327) .

- الشعير :

وكان يزرع في السهول الداخلية والمنحدرات السفلى وهوامش الصحراء ، لأن مناطق النجود[1] هذه أقل خصوبة من السهول الساحلية ،وهذا يعود الى فقر تربتها[2] في المواد العضوية والأملاح ،ومتوسط المطر السنوي بها حوالي 250 مم[3] ، وأهم منطقة لانتاج الشعير هي سهل إيسلي[4]، ويفيض انتاجه عن حاجة السكان فتصدر الامارة كميات منه الى أوربا[5] ، وقد احتكر تجار برشلونة كميات هامة من شعير المغرب الأوسط[6] كما كان يصدر الى مرسيليا[7] .

- الحنطة[8] :

وكانت تزرع حول أرزيو وتنس[9]، وتصدر من تلمسان ((الى كل الآفاق في المراكب))[10] .

ب) الزيت :

كانت تلمسان محاطة بغابات الزيتون ،وكانت تصدر

1) ينحصر اقليم النجود بين سلسلة الأطلس التلي في الشمال ،الأطلس الصحراوي ،في الجنوب ،ويبلغ متوسط ارتفاع النجود 900م (انظر: حليمي ،المرجع السابق ص45-46 .

2) Léon l'Africain; op. cit., T.2, p.328 sqq.

3) حليمي ،المرجع السابق ،ص 45 فما بعدها .

4) Léon l'Africain; op. cit., T.2, p.327.

5) Maslatrie; op. cit., T.1, p.220.

6) Dhina; Le royaume abdelouadide, p. 165.

7) Blancard ; Documents, T.1., p. 42.

8) الحنطة هي البر وجمعها حنط (لسان العرب، مجلد 5 ،ج 9 ،ص147) .

9) الادريسي : المصدر السابق ،ص 57- و 71 .

10) نفسه ،ص 71 .

الزيت الى ايطاليا[1] .

ج) الفواكه :

- ومنها : التين المجفف، وكانت أشجاره تنمو بكثرة حول نهر الشلف، وفي المرتفعات الشمالية، ويباع في أسواق المدن الساحلية، فيسوّق الى مدن بلاد المغرب شرقا وغربا، كما كان يصدر الى كثير من الأقطار[2] فيعبر البحر الى جنوب أوربا[3] ويكثر استهلاكه في بلاد السودان خاصة في غانا[4] .

- الزيت وعين بقرة : وتنتج كروم تلمسان الزيت من النوع الجيد، وعين بقرة هذه من الفواكه التي كان يقبل عليها الايطاليون وسكان بلاد السودان[5] فكان سعرها هناك مرتفعا مثل سعر القمح[6] .

- التمور : وكانت تسوّق من الواحات في اتجاه الشمال نحو أوروبا[7]، وكان الأراغونيون يحتكرون كميات كبيرة من التمور المصدرة، حتى أن موائد ملوكهم لا تخلو من هذه الفاكهة[8] التي تصل الى فلاندرا شمال أوربا[9]، وتصب

---

1) انظر: Lespes; Oran, ville et port, p. 293 .

2) كان يعمل من التين شرائح مثل الطوب (الادريسي، المصدر السابق، ص56-57) .

3) انظر: Lespes; op. cit., p.293 .

4) انظر: Mauny; Tableau géographique, p368 .

5) Maslatrie; op. cit., T.2., p. 220 .

6) Mauny; op. cit., p. 328 .

7) Maslatrie; op. cit., p. 220 .

8) Dhina; Les Etats de l'Occident Musulman,

9) Maslatrie; op. cit., T.1, pp. 98-99 .

كذلك من واحات توات وسجلماسة وورقلة في اتجاه الجنوب الى بلاد السودان[1] .

وكان الايطاليون يشترون الفواكه الجافة كاللوز والجوز[2] .

2) الحيوانات :

تمثل تربية الحيوانات جزءا هاما من النشاط الفلاحي خاصة في المناطق التي لا تسمح بزراعة وفيرة ، ومنها :

أ) الخيل : وقد أعتنى التلمسانيون بتربية الخيل وترويضها ، وكان الأوربيون يقبلون على شرائها[3] كما كانت من أهم الصادرات الى بلاد السودان[4] ، ولم يكن في استطاعة عامة الناس كسبها ، لأنها تحتاج الى رعاية خاصة وامكانيات مادية كبيرة ، فتربيتها تتطلب اصطبلات وغذاءا ملائما ، ومن ثم فانه لا يملكها الا النبلاء والملوك ((فقد كانت الخيل تصل مع القوافل الى بلاد السودان وبعد عشرة أو اثني عشر

---

1) انظر : Mauny; op.cit., p.368 .

2) انظر : Lespes; op. cit., p.293 .

3) يذكر Maslatrie ان بيع الخيل المغربية كان يحرّم أحيانا على الاسبان (op. cit. T.1,p.216) مع العلم أنها كانت تدخل في قائمة السلع التي حرم الفقهاء بيعها الى النصارى حتى لا يستعينوا بها على حرب المسلمين (أنظر : ماقبل ، ص205، 206

4) لا يذكر المصادر المستعملة في هذا البحث ان الخيول كانت منتشرة في بلاد السودان الغربي ، غير أن Coudray يقول بأن سكان بلاد السودان كانوا يفضلون الخيول المغربية على خيولهم الصغيرة الحجم لأن خيول بلاد المغرب أقوى وأكبر وأصلح للحرب التي كانت مستمرة في المنطقة (op. cit., p. 426)

يوما تقدم للملك فيختار منها العدد الذى يريده ويدفع ثمنا مناسبا[1].

وكان انتقال الخيل، من الشمال الى الجنوب، أمرا صعبا، لما تتعرض له من تقلبات مناخية، خاصة وأنها لا تتحمل، مثل الجمل، الفوارق الحرارية الفجائية، بين منطقة وأخرى، وبين الليل والنهار، ولا تتحمل العطش، وصعوبة الطريق، ولهذا فان التجار يفقدون، أثناء رحلاتهم، أعداد كبيرة منها، فيعملون على تعويض خسائرهم برفع أسعارها، فكانت تباع بأثمان مرتفعة، وكان أصحاب هذه التجارة يحصلون على أرباح معتبرة[2]، فقد لاحظ ابن بطوطة أثناء رحلته ((أن الخيل غالية الأثمان))[3] وأضاف أن الرأس الواحدة تساوي مائة مثقال[4] (دينار)؛ أما ليون الافريقي الذى جاء بعده، بحوالي قرن ونصف، فيقارن بين ثمن الخيل بأروبا وثمنها ببلاد السودان حيث يقول: ((ان الحصان الذي يباع بعشر دوكات، يباع هناك (أي في بلاد السودان) من أربعين الى خمسين دوكا))[5] وكثيرا ماكانت الخيل تباع مقابل العبيد[6] الذين كان الملوك

---

1) انظر: Léon l'Africain; op.cit., T.2, p. 468 .

2) انظر: زبادية، المرجع السابق، ص 223؛ Mauny; op.cit, p.368.

3) المصدر السابق، ص 451 .

4) نفسه .

5) Description de l'Afrique, T.2, p. 468.

6) كانت عملية شراء الخيل مقابل العبيد يتم في عدة مدن وأسواق السودان خاصة بتمبكتو (Léon l'Africain ; op. cit., T.2, p.468) وفي غبنا و (ibid, p.470) وفي بورنيو (ibid, p. 481)

يحصلون عليهم بفضل الحروب في المناطق الجنوبية[1] وكان الحصان الواحد يساوي خمسة عشر عبدا[2] وربما وصل العدد الى عشرين عبدا[3] .

وقد كان هناك إقبال كبير على اقتناء خيل المغرب بمصر في عهد الدولة الزيانية التي كانت تربطها بدولة المماليك الجراكسة ، مثل غيرها من الامارات المغربية ، علاقة ودية قائمة على أساس تبادل الهدايا والمجاملات في مختلف المناسبات وخاصة في موسم الحج ، بسبب موقع مصر في طريق الحاج المغربي وإشرافها على الأراضي المقدسة ، وقد كان المماليك يرغبون في اقتناء خيول المغرب عن طريق الهدايا والشراء[4] ، ولذلك فقد أرسل أبو الحسن المريني ، بعدما استولى على تلمسان ، الى الناصر محمد بن قلاوون[5] ، صاحب مصر ، هدية مع الوفد المرافق لجارية أبيه التي حجت سنة 738هـ/ 1338 ـ 1339م ، و ((كانت عتاق الخيل فيها خمسمائة فرس بالسروج الذهبية المرصعة بالجوهر ، واللجم المذهبة ..... وكانت قيمة المركب

---

1) انظر : Mauny ; op. cit., p. 369.
2) Léon l'Africain; op. cit., T.2., p. 471.
3) Mauny; op. cit., p. 369.
4) طرخان (ابراهيم علي) ، دولة المماليك الجراكسة ، ص 143 ـ 144 .
5) توفي سنة 741هـ/ 1341م (نفسه ، ص 1) .

الأول منها عشرة آلاف دينار، وتدرجت ... الى آخر الخمسمائة، فكانت قيمته مائة دينار...))[1].

كما بعث أمير تلمسان، أبو زيان بن أبي حمو، هدية ((تشتمل على ثلاثة من الجياد بمراكبها))[2] الى الملك الظاهر برقوق[3] الذي أوفد الى بلاد المغرب قطلوبغا[4] سنة 799 هـ/ (1396-1397م) كي يستقي له ما يشاء بالشراء منها، لكن ابن خلدون الذي سجل هذه الأخبار أكتفى بالحديث عن الهدايا التي جمعها قطلوبغا من سلاطين بلاد المغرب[5]، دون الاشارة الى أي شراء يحتمل أن يكون قد قام به.

ويعود سبب إقبال المماليك على خيل المغرب لما تتميز به ((من تحمل الشدة والصبر على المتاعب))[6].

ب) الجمال :

وكان التجار يأخذون معهم الجمال ويبيعونها

---

1) ابن خلدون، العبر، 7، 1167 (ط. بيروت) .
2) ابن خلدون، العبر، 7، 1176 (ط. بيروت) .
3) هو برقوق بن أنس بن عبد الله العثماني، نسبة الى التاجر الخواجا فخر الدين عثمان الذى اشتراه، تولى منصب السلطنة عام 784هـ/ 1382م ولقب بالملك الظاهر لمصادفة بيعته وقت الظهر وتوفي سنة 801هـ/ 1382م (أنظر: طرخان، المرجع السابق، ص 3 فما بعدها) .
4) هو قطلوبغا بن عبد الله المتوفى في سنة 821هـ/ ، تولى نيابة الاسكندرية والحجابة، أيام الظاهر برقوق، ونيابة الاسكندرية، أيام المؤيد (العبر، 7، 1170، هامش 1، ط. بيروت) .
5) عنها أنظر: العبر، 7، 1169 (ط. بيروت) .
6) نفسه، أنظر. طرخان، المرجع السابق، ص 144 .

في بلاد السودان[1] حيث كانت أسعارها تختلف باختلاف نوعها ، فمنها التي تستعمل للركوب وهذه أرقى الأنواع،وقد اشترى ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (14م) جملين للركوب في تكدا بسبعة وثلاثين مثقالا وثلثا[2]، أي بمعدل ثمانية عشر مثقالا ونصفا تقريبا . لكن أسعارها انخفضت فيما بعد ،أي في نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر الميلاديين (9ـ 10هـ) الى ما بين أربعة وسبعة مثاقيل[3].

وهناك من الجمال ما تُستعمل في النقل ،وهي متوسطة الثمن ؛ أما أدناها فهي المستعملة في الجر وتكون في الغالب كبيرة السن أو مصابة بعاهة[4].

ويلاحظ أن المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث لم تشر الى تصدير الجمال الى أوربا ،وهذا راجع ولاشك الى كون هذه الحيوانات لا تتلاءم مع الظروف الطبيعية هناك .

3) المواد الأولية :

وتستعمل في النسيج ،وأهم ما ذُكر منها :

أ) الصوف: كانت تربية الأغنام واسعة في الامارة الزيانية

---

1) Léon l'Africain, op.cit,T.2,p.38.

2) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 454 .

3) أنظر: زبادية ،المرجع السابق،ص 204 .

4) نفسه .

فتوفر فيها الصوف، وفاض انتاجه عن الحاجة المحلية وكان جزء هام منه يصدر الى أوربا عن طريق موانئ هنين ووهران ومستغانم وتنس وشرشال الى كل من ميورقة[1] وفرنسا وإيطاليا[2]، وكان صوف هذه الأخيرة رديئا، في حين تطورت بها صناعة الخيوط والأغطية والملابس الصوفية، لذلك اضطرت الى الاعتماد على الصوف المستورد من غرب البحر الأبيض المتوسط[3]، وكان ثمن القنطار[4] من الصوف، لم يحدد نوعه، يساوي حوالي أربعة فلوس في ميورقة سنة 1329م (729 - 730هـ)، بينما بلغ سعر قنطار من الصوف، نوع مازعفران: دينارين، وسعر قنطار من الصوف، من مستغانم، يسمى موتونورا Motonora ثلاثة دنانير ونصف[5]، وبصفة عامة فان الاسعار تختلف باختلاف النوع وتكاليف النقل[6].

ب) الجلود :

كانت الجلود تسوق من الامارة الزيانية خاما ومدبوغة، وتتمثل في جلود الغنم

1) Dhina; Le royaume Abdelouadide; Dufourcq; L'Espagne catalane, p.54 sq. p.165.

2) انظر: Lespes; Oran, p.29; Maslatrie; op. cit., T.2, p. 221 ; حسب Fey فان الجنويين هم الذين كانوا يشترون كميات كبيرة من الصوف (op. cit., p.45, note2)

3) Renouard (Yves); Le rôle des hommes d'affaires, p.10.

4) يحدد Dufourcq وزن القنطار بمائة رطل، أما القنطار الميورقي فيحدده بأربعين كيلوغراما (Prix et niveau de vie, p. 481)

5) Dhina; Le royaume Abdelouadide, p. 166; ibid, p. 481.

6) كان القنطار من الصوف نوع مازعفران ينقل من تلمسان الى ميورقة بثلاثة فلوس ونصف، وينقل القنطار من الصوف، نوع موتونورا، بأربعة فلوس (Dufourcq, op. cit., pp. 481-482)

والعجول[1] والثيران والبقر والماعز والخيول[2]، وكانت تصدر الى مختلف أنحاء أوربا خاصة الى ميورقة[3] وقطلونيا، وتصل الى انجلترا ونورمانديا وايطاليا[4]، وكان الأوربيون يشترون الجلود من الامارة الزيانية مدبوغة بالأحمر والأصفر، منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي[5]، وهي جلود نصف مصنعة، وكان المسيحيون، بصفة عامة، والميورقيون والقطلانيون، بصفة خاصة، يقبلون على شرائها، لأنهم كانوا يحتاجونها في صناعة السفن، زيادة على استخدامها في الصناعات الجلدية التقليدية[6] وعندما عرف الأوربيون حرفة دباغة الجلود[7]، أصبحوا يشترونها خاما[8]، وكانت أسعارها تختلف حسب نوعيتها، ففي سنة 1330م/730-731هـ، تم بيع مائة وأربعين من جلود الثيران في مستغانم بمائة دينار[9]، وعلى هذا يكون متوسط

---

1) كان الأوربيون وخاصة الايطاليين يقبلون على شراء جلود الخرفان التي تولد ميتة (Dhina ; op. cit., p. 166 ; Dufourcq ; op. cit., p. 479)
ويصنعون منها ملابس لينة جدا (Renouard (Y) ; op. cit., p. 10).

2) Maslatrie ; op. cit., T.1., p. 216.

3) Heers; Iles Baléares, p. 15.

4) لقد كان البيزيون خاصة يشترون كميات كبيرة من الجلود (Fey ; op. cit., p.41, note 1; Lespes; Oran, p.293).

5) Dhina; op. cit., p. 11 ; Dufourcq; Prix et niveaux de vie, p. 480.

6) Dhina; op. cit., p.166.

7) انتشرت حرفة دباغة الجلود في أوربا بباريس في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي (8هـ) (Maslatrie; op. cit., p. 216)

8) Id.

9) Dufourcq; op. cit., p. 479.

ثمن الجلد الواحد في بلاد المغرب ما بين ثلثي الدينار وثلاثة أرباع منه، وكان يباع في ميورقة بدينار لكن هذه الاسعار لم تكن قارة، ففي القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) كان ثمن مائة من جلود الثيران يتراوح ما بين ستين وسبعين دينارا، بينما اشترى تاجر ميورقي، في مستغانم، أربعمائة وستين من جلود الخرفان سنة 1330م (730- 731هـ) بدينار واحد[1]، وهنا يبدو الفرق، بين أسعار جلود الخرفان وأسعار جلود العجول، واضحا، وانخفاض سعر جلود الخرفان الى هذا الحد يعود الى كونها مأخوذة من حيوانات لا يستعملها المسلمون، أو أن كميات الجلود كثرت حتى وصلت الى حد تشبع السوق المحلية فانخفضت أسعارها وفقا لقانون العرض والطلب .

جـ) مواد مصبّغة :

كان الأوربيون يستوردون مواد نباتية، من بلاد المغرب لاستعمالها في الصباغة، ومنها: النيلة، وورد النيل وهو نبات عشبي للصباغة ينمو بكثرة في منطقة وهران[2]، ويقبل الايطاليون بصفة خاصة على شراء هذه المواد لاستعمالها في تلوين وصبغ الأقمشة[3]، كما كان الأوروبيون يستوردون قشر الدبغ (écorces tannantes) وهو لحاء شجر، قد يكون السُّمّاق[4]، ينمو شمال بلاد

1) Dufourcq; op. cit., p. 479

2) Maslatrie; op. cit., T.1, p. 217 .

3) Renouard (Y); op. cit., p. 11 .

4) سمق النبات اذا طال، والسُّماق من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض وعنا قيد فيها حب صغار يطبخ (لسان العرب، مجلد 6، جـ 12، ص29 - 30) .

المغرب الأوسط، ويستعمل في دبغ الجلود، وكان الايطاليون يطلقون عليه اسم لحاء بجاية، ويشترونه من موانئ الامارة الزيانية وبجاية وعنابة والقل[1].

4) المنسوجات:

أ) نسيج الصوف:

اشتهر أهل تلمسان بنسيج الصوف، فهم يتنافسون في ذلك منذ القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ)، فكان ((غالب تكسبهم ... حوك الصوف يتغايون[2] في اعمال أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء[3] أو البرنس عندهم ثماني أوراق والأحرام من خمس ... ومن لدنهم يجلب الى الأمصار شرقا وغربا))[4].

ومن أهم ما يصنع في تلمسان، الى جانب البرانس والأقمشة، الزرابي والحياك أي الحنابل[5] التي كانت تصدر الى المغرب الأقصى[6] والبرتغال وايطاليا[7]، والأكسية[8]،

1) Lespes; Oran, ville et port, p. 293; Maslatrie; op. cit., T.1, p. 217.
2) يقال تغايوا عليه أي جاءوا من هنا وهناك، ويقال: اجتمعوا عليه (لسان العرب، مجلد 10، ج 19، ص 382).
3) تعني هذه الكلمة عموما ثوبا ولكنها تعني شيئا آخر أيضا فالحايك كان يسمى كساء ببلاد المغرب Dozy (R); Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes, p. 383 sq).
4) ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد، ص42، المقرى، المصدر السابق، ج 9، ص 314.
5) هي زرابي طويلة خالية من النقوش مفردها حنبل Fagnan; Additions aux dictionnaires arabes, Alger 1923, p. 4.).
6) محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط 1399هـ/1979م ص 108.
7) Lespes; op. cit., p. 293.
8) Bargès; Mémoire, p. 4.

وكانت هذه المنسوجات تصدر الى أوربا بكميات قليلة[1] والى بلاد السودان بكميات كبيرة[2] .

ب) نسيج القطن :

كانت زراعة القطن وصناعته تنتشر حول مدينة تلمسان ، في ندرومة ومستغانم وهنين ، ويبيعه التجار في أسواق تلمسان[3] ومنها تصدر كميات قليلة الى أوربا[4]، لأن البابوية ، في روما ،وضعته في قائمة المواد التي يحرم التعامل بها مع المسلمين[5]، وكانت تصدر كميات كبيرة منه الى بلاد السودان حيث أصبحت أغلبية الألبسة والأغطية ، أيام دولة سنغاي ، من المنسوجات القطنية[6] ، وكان القطن يستعمل في صناعة الحرير التي ازدهرت في تلك الفترة فكانت لحمة الأقمشة من الخيوط الحريرية الطبيعية وسداها من القطن[7] ، وقد راجت هذه الصناعة الممتازة ببلاد السودان واختصت بها الطبقة الحاكمة وصنع منها الملوك لباسهم وكساء

---

1) Maslatrie; op. cit.,T.1,p.221 .

2) تتمثل في الملابس الفخمة الخاصة بالملوك ورجال حاشيتهم والأثرياء (Mauny; Tableau, p. 369).

3) Léon l'Africain; op.cit.,T.2,pp.328-29 .

4) حسب Maslatrie فان البنادقة كانوا يشترون كميات كبيرة منه ،خاصة من مينائي وهران ومستغانم (op. cit., T.1,p. 221)

5) انظر: زكي نعيم فهمي ،طرق التجارة الدولية ،ص248 .

6) انظر: زبادية ،سنغاي ،ص 218 .

7) نفسه .

خيامهم[1] ،كما صنع منها القضاة والتجار والأغنياء عمائمهم وجبابهم وكفنوا بها موتاهم[2] ولا شك أن اختصاص الطبقة الحاكمة بهذا النوع من البضاعة يدل على ارتفاع سعرها هناك .

ج) الكتان :

كان الكتان من النباتات المنتشرة في المغرب الأوسط خاصة بالمدية ومتيجة وكان الأوربيون،ولا سيما البيزيون والبنادقة منهم،يستوردون كميات منه[3] لاستخلاص الألياف التي يستعملونها في النسيج .

د) الحرير :

لم يقتصر التجار على تصدير المصنوعات النسيجية التي تحاك في تلمسان،بل كانوا يستوردون الحرير المصبوغ المتقن الصنع من أوربا[4]، وخاصة من البندقية وجنوة[5] والأندلس،ثم يصدرونه الى بلاد السودان حيث يقبل عليه الموسورون[6]، وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي(9هـ) كانت قطعة من قماش أبيض أو ملون طولها ذراع وستة أشبار تساوي ،في مملكة

---

1) انظر: Mauny; Tableau géographique, pp. 369-70 .
2) انظر: زبادية ،المرجع السابق ، ص 221 .
3) انظر : Maslatrie; op. cit., p. 221 .
4) Léon l'Africain ; op. cit., p.467 .
5) انظر: Dhina; Les Etats de l'Occident Musulman, p. 367 .
6) لأن الأقمشة التي كانت تنتج في بعض المدن السودانية مثل تمبكتو وغاو وايوالاتن كانت من النوع الحسن (Mauny; op. cit., p. 369 sqq ; زبادية ،المرجع السابق ،ص 221) .

سنغاي ، مثقالا من الذهب وكذلك الحال في قطعة ، من الحرير ، طولها ثمانية أشبار[1] .

5) العطور :

تكوّن العطور نسبة هامة من المواد التي تصدر الى بلاد السودان الغربي[2] ، حيث يقبل عليها السكان فيشترونها بأثمان مرتفعة ،ويجني التجار منها أرباحا كبيرة[3] ، ويستعملها في الغالب الملوك والقضاة والوجهاء والأغنياء الذين كانوا يعطّرون أجسامهم وثيابهم ، اذا عزموا على الخروج الى الأماكن العامة[4] ويشتريها العامة أيضا وخاصة النساء[5] لكن بكميات قليلة ، فراجت في جميع أنحاء مملكتي مالي وسنغاي[6] ، وكانت أغلب أنواع العطور، يأتي بها التجار الأوروبيون ، وخاصة الايطاليين،الى بلاد المغرب والى تلمسان[7] التي كانت تصنع بدورها أنواعا جيدة تستخرج من نبات الخزامى الذى يكثر بها .

6) العسل وشمع العسل :

كانت تربية النحل واسعة شمال المغرب الأوسط

---

1) زبادية، المرجع السابق، ص 221.
2) Mauny; op. cit., p. 373.
3) زبادية ،المرجع السابق ، ص 220 .
4) نفسه .
5) ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 443و ص 451 .
6) زبادية ،المرجع السابق، ص 220 .
7) Dufourcq; op. cit., p. 138.

وتتركز حول وهران[1]، وكان العسل يصدر الى النواحي المجاورة والى ميورقة[2]، أما الشمع فتيصدر الى الأسواق الأوربية[3] عبر مواني، وهران ومستغانم وتنس وشرشال، وتستحوذ ميورقة على جزء كبير منه[4].

7) المرجان :

تتوفر سواحل بلاد المغرب على المرجان، وقد بدأ استغلاله في سواحل سبتة وتنس ومرسى الخرز[5] (القالة) منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[6]، وهو من النوع الجيد، ويستعمل لتكملة أجزاء من المجوهرات[7] وصنع حبات السبحات[8]، ويقبل الأوربيون على النوع الأحمر أكثر من غيره، فيشتريه البنادقة والجنويون

---

1) الادريسي، المصدر السابق، ص57 .

2) Heers (J.); Les Iles Baléares, p. 15 .

3) Maslatrie; op. cit., T.1., p. 218 .

4) Dufourcq: L'Espagne catalane, p. 546sq; Heers; op. cit., p. 15 •
Dhina: Le royaume Abdelouadide, p.165

5) تقع على بعد ثلاثة أيام من بونة (عنابة) (عنها أنظر : معجم البلدان، ج 4، ص496) .

6) Maslatrie; op. cit., p. 222 ; ويضيف Heers أن المرجان كان يوجد في سواحل مدينة الجزائر ومدينة وهران ومنها يصدر الى ميورقة (op.cit., p.15).

7) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 253 .

8) Maslatrie; op. cit., p. 223 ; السبحات، مفردها سبحة، وهي الخرزات التي يعد بها المسبح تسبيحه (لسان العرب، مجلد 2، ج3 ص301).

وأهل نابلي وبرشلونة[1] ، وكان التجار الأراغونيون والايطاليون ، يصدرون الحلي المرجانية الى مصر، ومن هناك تأخذ طريقها الى بلدان الشرق كالهند لشدة ولع أهل هذه البلاد بها[2].

كما تحمل القوافل المرجان خاما أو على شكل مجوهرات[3] من المغرب الأوسط والمغرب الأدنى والأقصى الى بلاد السودان[4]، حيث يكثر انتشار العقود المرجانية ، وقد تخصصت بعض الأسواق في بيعها ،لأنها رائجة وتدر على أصحابها أرباحا هامة لارتفاع ثمنها[5] .

<u>8) الزجاج[6] :</u>

كان يصدر الى تلمسان نوعان من المصنوعات الزجاجية وهما :

أولا : أدوات تستعمل في الحياة اليومية، مثل الكؤوس.

ثانيا / حلي[7] تتزين بها النسوة وتكون قطع الزجاج على شكل خرزات ذات أشكال وألوان مختلفة ، تكون

---

1) أما تجار مرسيليا فقد بدأوا يهتمون بالمرجان في القرن السادس عشر الميلادي (10هـ) (Maslatrie; op. cit., p.223) أما المرجان الأسود والأبيض فيستوردونه بكميات أقل لاستخدامه في بعض المجوهرات (Ibid.)

2) نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ، ص 253 .

3) Mauny; Tableau géographique, p. 371.

4) Mauny; op. cit., p. 372 ; Léon l'Africain ; op. cit., T.2, p. 482.

5) زبادية ، المرجع السابق ، ص 223 ــ 224 .

6) لم تذكر المصادر والمراجع المستخدمة في هذا البحث تصدير الأواني أو الحلي الزجاجية الى أوروبا .

7) ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 443 .

عقودا وأساور[1] وتصنع منها السبحات، وكانت هذه الأشياء مرتفعة الثمن في القرى المنتشرة حول نهر النيجر، والتاجر ((بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا إداما ولا دينارا ولا درهما وانما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج وبعض السلع العطرية ... فاذا وصل قرية جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق اللوبيا فيشتري منهن ما أحب من ذلك ...))[2] وقد عثر في غاو على أواني صغيرة وقطع زجاجية، لم يحدد نوعها، ودلت الحفريات على أن صناعة الزجاج لم تكن معروفة في تلك الفترة ببلاد السودان الغربي، ومعنى هذا أن كل ما عثر عليه منه، تم استيراده من بلاد المغرب ومصر وسوريا[3].

9) أنواع مختلفة من الحلي:

وهناك أنواع أخرى من الحلي كانت تصدر الى بلاد السودان وهي مصنوعة من النحاس أو الفضة أو الذهب[4] أو الصدف أو المحار أو الحجارة. وأهم قطع هذه الحلي: القلادات والأقراط والأساور[5].

1) Mauny, op. cit., p. 372 .

2) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 443 .

3) Mauny, op. cit., p. 372 .

4) لايجوز شرعا بيع الجواهر المصنوعة من الذهب بدنانير ذهبية ولا المصنوعة من الفضة بالعملة الفضية (أنظر: العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص 202).

5) زبادية، المرجع السابق، ص 223 ـ 224 .

10) الأسلحة:

كان ملوك بلاد السودان يتنافسون في تنظيم جيوشهم وتسليحها، فيقبلون على شراء الأسلحة [1]، وكان التلمسانيون يبيعون أدوات حربية مصنوعة في بلادهم وأخرى مستوردة من الأندلس وايطاليا والمشرق الاسلامي [2] كالمهماز والدرع والسيف واللجام، وكانت مرتفعة الأسعار ففي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) كان السيف الذي يساوي ((بها وربما ثلث دوكا (ثلاث فرنكات ذهبا)، كان ثمنه هناك (في بلاد السودان) أربع دوكات أو على الأقل ثلاثا (أي 43 فرنكا ذهبا) أو يزيد ...)) [3] كما أن أسعار السيوف التي لم تكن تتجاوز في مدن المغرب ثلث الأوقية الواحدة، كانت تتراوح في بلاد السودان بين ثلاث وأربع أوقيات من الذهب [4] ويذكر Maslatrie أن المغاربة كانوا يصدرون الأسلحة للمسيحيين بأوروبا لكنه لم يحدد أي نوع من الأسلحة وكميتها ولا الامارة التي كانت تصدرها [5].

وكان التلمسانيون يتقنون صنع سروج الخيل ويصدرونها الى بلاد السودان [6].

1) Dhina; Les Etats, p.367.

2) Coudray ; op. cit., p. 425 ; حول صناعة الأسلحة بتلمسان (أنظر: ابن خلدون يحي، بغية الرواد، ج 2، ص 151).

3) Léon l'Africain; op.cit. T.2, p. 471.

4) انظر: زبادية، المرجع السابق، ص 204 و 205.

5) Maslatrie; op. cit., p. 223.

6) Coudray ; op. cit., p. 425.

11) الخردوات :

كانت الخردوات تتكون من آلات زراعية، كمناجل الحصاد وسكك الحرث، وبعض الأدوات المنزلية كمعلقات البيوت[1] والقدور والسكاكين وموسى الحلاقة[2]، وكانت امارة بني عبد الواد تصدر الى بلاد السودان بعض ما تصنعه من هذه الأدوات، وبعض ما تستورده من أوروبا[3]، كما كانت بعض الأواني المنزلية تصنع من النحاس كبعض لوازم الخيل، كاللجام وحلقة قدم السرج، وبعض الحلي والأقراط، وبعضها يأتي به التجار الأوروبيون ثم يصدر الى بلاد السودان[4].

12) العقاقير :

كان التجار يأتون بالعقاقير من مختلف أنحاء بلاد المغرب والمشرق الاسلاميين وأوروبا، ومن تلمسان تأخذ طريقها الى بلاد السودان[5]

13) التوابل :

كان الأوربيون يتزودون بكميات هامة من

---

1) زبادية، المرجع السابق، ص 219 .

2) Coudray; op.cit, p.425 .

3) Dufourcq; l'Espagne; p. 137 .

4) godinho ; op.cit , p. 105 ; Coudray ; op. cit , p. 425 .

Dufourcq, op. cit., p. 137 ; زبادية المرجع السابق، ص 219 .

5) Dufourcq, op.cit, p. 137

التوابل[1] من الامارات المغربية وأهمها، جوزة الطيب والفلفل قد كان يفضل فلفل الشرق الذي أقبل الايطاليون على شرائه لشدة رواجه في أوربا حيث كان يصل الى فلا ندرة شما لا[2] وكان فلفل بلاد المغرب على درجة كبيرة من النقاء، وقد استعمله الأوربيون في علاج بعض الأمراض. ذلك أنهم كانوا يمزجونه بورق الغار لإزالة مفعول السم عندما تلسع الكائنات السامة الانسان، ويتناوله البعض لعلاج النزلة والتهاب الرئة، كما يستعمل لتنشيط الجهاز الهضمي، ولحفظ اللحوم وبعض الأغذية لمدة طويلة، ويدخل في صناعة النبيذ[3] وكان الفلفل يجلب أيضا من بلاد السودان[4] وكان الأوروبيون يشترون الرنجبيل من الامارة الزيانية، فتتبل به بعض الأطعمة، وتصنع منه بعض الأدوية لعلاج أمراض القصبة الهوائية. ويدخل في تحضير بعض العقاقير وأيضا في تحضير الخمور[5].

---

1) Heers, le sahara, p. 250
2) Ibid
3) انظر: نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص197 فما بعدها
4) نفسه.
5) Despes; Oran, p. 293 ؛ نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص205 و 206 هامش 39.

14) المعادن :

أ) معدن النحاس: كان النحاس قليلا ببلاد السودان الغربي يستخرج من منجم وحيد يقع قرب تكدة[1]، وقد ساهم التجار المغاربة في توفير تلك المادة، وكان جزء منها يصدر من جنوب الجزائر[2]، لتزويد بعض الحرفيين الذين يشتغلون بتصنيع النحاس في سنغاي، رغم أن عددهم كان قليلا، بما يحتاجونه من مادة أولية[3].

وقد بدأ تصدير النحاس منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، وكان الطلب عليه كبيرا، وفي القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادي)، كان النحاس يمر عبر واحات توات، وقد عثر الجيولوجي رويكس Rouaix، في الطريق الذي كان يربط بين تغازى وإيوالاتن، على قطعة كبيرة من النحاس طولها 35 سنتم، وعرضها 7×6 سنتم، وتزن تسعة كيلوغراما وخمسة وستين وتسعمائة غراما (9,965 كلغ)، وقد استُنتج، من ذلك الاكتشاف، الدليل على وجود تجارة النحاس بين توات أو سجلماسة وإيوالاتن والبلدان الجنوبية[4]، كما ذهب مالفانتي Malfante الجنوي الى القول بأن النحاس كان يخرج من الامبراطورية البيزنطية الى

---

1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 463، عن تعريف تكدة : أنظر: ماقبل ص 76
2) زبادية، المرجع السابق، ص 190 .
3) نفسه .
4) انظر: Mauny; op. cit., pp.370 – 71.

الاسكندرية، ومنها يحمل الى توات، ومن هناك الى بلاد السودان الغربي[1] لكنه لا يقدم أي دليل على كلامه هذا.

ب) الذهب: كانت تلمسان موردا هاما للذهب الذي يأتي به تجارها من بلاد السودان على أشكال مختلفة: تبرا وسبائك وقطعا نقدية[2]، ومن أجل اقتناء أكبر كمية ممكنة من هذا المعدن الثمين الذي كان نادرا في أوربا، كان التجار الأوروبيون من غلورنسيين[5] وجنويين وبيزيين وبنادقة[3] وميورقيين[4] وقطلانيين وبرشلونيين[5] يأتون بمختلف السلع، بما فيها تلك التي منعت الكنيسة التعامل بها، الى أسواق تلمسان ووهران وهنين التي كانت مراكز عبور لهذه المعادن[6]، ويبيعونها بها.

ج) الفضة والبرونز: من المعروف أن السودانيين كانوا يستوردون الفضة والبرونز[7]، ولكن ليس هناك من المعلومات التاريخية ما يلقي الضوء على الدور المحتمل الذي يكون المغرب الأوسط قد لعبه في تلك العملية.

15) العبيد:

حسب Maslatrie فان الايطاليين من جنويين وبيازنة

1) Mauny; op. cit. , p. 370

2) Coudray ; op. cit., pp. 428 - 429 ; Heers ; Le Sahara, p. 248 sqq.

3) Maslatrie ; op. cit., T.1, p. 222 ; Lombard ; l'Islam, p. 66.

4) Heers ; Les Iles Baléares, p.15; Le Sahara, p.252.

5) Dufourcq ; op. cit., p. 136 ; Ibid , p. 248.

6) Lespes ; Oran, p. 292 ; Coudray ; op. cit., p. 428.

7) Mauny; op. cit., p. 37 ;.

كانوا يشترون العبيد من هذه البلاد بأعداد قليلة[1]، مع العلم ان تجارة العبيد كانت رائجة في اسواق الامارة الزيانية، وقد يعود سبب قلة العدد المذكور الى كون أغلب العبيد كانوا يعتنقون الاسلام، من جهة، والى حاجة سكان الامارة اليهم في مختلف الأشغال من جهة أخرى.

16) الشب:

كان الأوربيون شديدي الاقبال على الشب يستخدمونه في بعض المستحضرات الطبية، وفي بعض المصنوعات النسيجية، لأنه يصلح لتثبيت الألوان على الأقمشة، فيكسبها لمعانا شديدا، ويستعمل الشب في صباغة الحرير والصوف[2]، وفي دباغة الجلود، والرسم والتذهيب، وقد عُرفت له أنواع مختلفة منها: النوع الممتاز وهو الناصع البياض، وكان متوفرا في سجلماسة، في القرن الثالث عشر الميلادي[3] (7هـ) وتشوبه أحيانا بعض الألوان كالأحمر والأخضر الباهتين؛ والنوع الثاني متوسط لأنه أقل نقاء من الأول لاختلاط بعض الصخور به؛ والنوع الثالث هو شب الحفر، وترتفع به نسبة الصخور الى خمسين بالمائة[4].

---

1) Lespes ; op. cit., p. 292 ; Maslatrie; op. cit., p. 215; Coudray; op. cit., p.427.

2) انظر: عادل زيتون، المرجع السابق، ص107.

3) Maslatrie ; op. cit., T.1, p.217 ;Dufourcq;op.cit,pp35-36.

4) انظر: نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص236 فما بعدها؛ ويقسم Maslatrie الشب الى شب أبيض من سجلماسه، وشب قشتاله ويستورد من بلاد المغرب وشب الريش Alun dit de plume (أنظر: Traités, T.1, p. 217)

وكان التلمسانيون يصدرون الشب منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ)، لمختلف جهات أوربا، حتى انه كان يصل الى منطقة فلاندرا[1]، وكانت تجارته آنذاك مربحة، لدرجة أن البابا پولس الثاني الذي كان يستعمل مناجمه في ايطاليا ويصدره الى البندقية وفلورانسا وفلاندرا، استثناه من التحريم، وسمح بالمتاجرة فيه[2].

وكان تجار تلمسان يصدرون الشب بكميات هامة : ففي سنة 1250م / 647 - 648 هـ، باع أحدهم لحساب الأمير يغمراسن، حوالي خمسمائة قنطار في برشلونة وحدها[3]، وربما كان التلمسانيون يستوردون الشب من سجلماسة، وكان البيازنة أكثر تجار أوربا اهتماما بشرائه من بلاد المغرب[4].

17) أشياء مختلفة :

ومنها أن التلمسانيين كانوا يصدرون الكتب الفقهية والأدبية والعلمية الى بلاد السودان[5] كما كان الأوربيون يشترون من الامارة الزيانية ريش النعام والعاج[6].

1) Dufourcq; op. cit., pp. 135-36.

2) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص236 فما بعدها.

3) Dufourcq ; Prix et niveaux de vie , p. 489.

4) Mas latrie; op. cit., T.1, p. 217

5) Coudray ; op. cit., p. 426

6) Maslatrie; op. cit., T.2, p. 222

ثانيا : الواردات : لا يختلف مشكل البحث في الواردات عن مشكل البحث في الصادرات ؛ فمن النادر أن تحدد الوثائق القديمة نوعية السلع التي تحملها السفن المسيحية لبلاد المغرب الاسلامي ، ومن ثم يتطلب الخوض في هذا الموضوع البحث عن جزئيات قليلة ، تأتي عرضا في كتب الرحلة والجغرافيا ، وفي بعض الأحيان يضطر الباحث الى الاعتماد على المراجع التي استطاع أصحابها الحصول على بعض المعلومات من وثائق اندثرت حاليا ، وهكذا يمكن ذكر بعض المواد التي كانت تدخل أسواق إمارة تلمسان فتلبي حاجة السكان أو تعبر ها الى أماكن أخرى ، ومنها :

1) الذهب: كان يجلب من بلاد السودان نوعان من الذهب:

- التبر ، وهو ما كان يتداوله العامة .

- السبائك ، وكانت على شكل خيوط دقيقة[1]

ويستأثر بأغلبيته الملوك ، وكان الذهب يستخرج من مناجم يوري ، عند منبع نهر النيجر ، ومناجم بامبوك عند منبع نهر السنغال[2]. وقد دلت الابحاث الأثرية على وجود مناجم تم استغلالها في المنطقة التي سادت فيها مملكة غانا ومالي ، ومنها بعض الآبار التي يصل عمق بعضها الى عشرين مترا ، تتفرع

---

1) انظر : زبادية ، المرجع السابق ، ص 190 .

2) Dufourcq , op. cit.; p. 136 , Godinho , op. ; cit; p . 105 .

عنها أروقة أفقية[1] ويستخدم الذهب في سك العملة (الدينار) وصناعة الحلي[2] المنتشرة في تلمسان ، وكانت أسواقه نشطة[3] .

وكان هذا المعدن يستعمل في التبادل التجاري بين مدن المغرب الاسلامي ومدن بلاد السودان الغربي فكان عملة ذات أهمية[4] يتلهف عليها التجار من مختلف البلدان ، فيأتون بلاد السودان ويحصلون عليها في شكل تبر[5] أو سبائك أو حلي وهذا مقابل سلع متنوعة .

وكان الناس على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية متلهفين على السلع الأجنبية ، مما أدى الى ارتفاع أسعارها واشتراط تسديد ثمنها بالذهب الذي صار العملة الشائعة الاستعمال في بلاد السودان ، واشتدت لهفة التجار عليه ، فتكبدوا مشاق السفر وخاطروا بأنفسهم للحصول على أكثر ما يمكن منه مقابل ما يحملونه من مصنوعات مدنهم وغير مدنهم .

---

1) godinho , op. cit. p. 191 ؛ حسب العمري فان مناجم الذهب عبارة عن حفر يقدر عمقها بطول القامة تقريبا، ويجمع الذهب من قعرها (op.cit. ,p. 81)

2) Maslatrie, op.cit., p. 210.

3) Lombard, op. cit. , p. 117.

4) وهذه العملة ، عبارة عن قطع من الذهب الخالص(انظر: Léon l'Africain op.cit; t.2, p. 469) ويحبذ التجار الذهب مصنعا (سبائك وعملة) لأن صاحبه يستطيع نقله وحمله والحفاظ عليه، عندما يقطع الصحراء، على عكس التبر الذي لايمكن جمعه إذا اختلط بالرمال (انظر: Mauny, op. cit. , p. 375)

5) إذا قدم التجار بالتبر، فانهم ينزلون سجلماسة أو ورقلة فيحولونه الى سبائك اوعملة قبل العودة الى مدنهم شمال البلاد (Ibid, p.376).

وانتشرت العدوى، فأصبح التجار الأوربيون ينزلون المدن الساحلية بالمغرب الاسلامي، ويتوغلون الى تلمسان وفاس للحصول على نصيب من هذا المعدن والعودة به الى بلادهم، حيث ترتفع قيمته أكثر، وهكذا تتغير قيمة الذهب من عمله عادية في بلاد السودان الغربي الى معدن ذي أهمية في بلاد المغرب والى كنز ثمين في أوربا.

ويرى Godinho أن وصول الذهب الى مدن المغرب الاسلامي دفع سكانه الى القيام بحركة تصنيعية، قائمة على المواد التي يقبل عليها أهل السودان، وبالتالي تطورت بها صناعات مختلفة مثل صناعة المعادن والأقمشة، وأصبحت هذه المدن سوقا للمنتوجات السودانية[1] وتحولت بعضها بفضل التبادل التجاري الى عواصم[2]، وما تعدد القوافل وكثرة الجمال التي تكونها والتي تعدت في بعض الأحيان، اثني عشر ألفا[3]، في القافلة الواحدة الآ دليل على كثرة كميات الذهب ببلاد السودان، وربما وصل استغلال هذا المعدن الثمين أوجه في القرن الرابع عشر الميلادي. وفي بداية القرن السادس عشر الميلادى كان يأتي أسواق غاو عدد كبير من أهل المنطقة ومعهم كميات هامة من الذهب لشراء واردات المغرب وأوربا لكنهم لايجدون

---

1) L'Economie, p. 101.

2) إيف لاكوست، العلامة ابن خلدون، ص 22 فما بعدها.

3) لعل هذا الرقم فيه نوع من المبالغة، أو أن القافلة كانت تضم التجار والحجاج في نفس الوقت، (ابن خلدون، العبر، 7، ص 168).

منها ما يكفي لصرف ذهبهم فيعودون دائما بنصف أو ثلثي ما يأتون به[1]. وقد جنى تجار الامارة الزيانية، من عملية التبادل مع بلاد السودان، أرباحا طائلة، حتى أن المقري يذكر في حديثه عن أجداده، الذين كانوا يمارسون التجارة بين تلمسان والسودان الغربي، أن أموالهم خرجت ((عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد))[2].

وقد لاحظ عبد المجيد مزيان أن مقدار الذهب الذي كان يصل عواصم الشمال المغربي، لم يكن من الكميات الضخمة التي تستطيع تحويل بنيات اقتصادية من جذورها[3]، وقد تبين أن كمية الذهب المستخرجة في بلاد السودان الغربي بدأت تزيد منذ القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، ووصلت الى حوالي تسعة آلاف كيلوغراما سنويا[4]، يصدر منها ما بين خمسة وستة آلاف كيلوغراما[5].

---

1) Léon l'Africain, op.cit, T.2, p.471.

2) نفح الطيب، ج 7، ص 131.

3) النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، ص 105.

4) يحدد دهينة في كتابه (Le Royaume Abdelouadide, p.161) الكمية سنة 1377م/ 779هـ، بـ 9000 كلغ، مستندا على Mauny، بينما لايحددها هذا الأخير بهذه السنة بل يرى أن الكمية المستخرجة خلال القرون السادس عشر (العاشر الهجري) والسابع عشر (الحادي عشر الهجري) والثامن عشر (الثاني عشر الهجري)، كانت تقريبا 900 طنا، ويستنتج من ذلك أن الانتاج يكون قد بلغ سنويا 9 أطنان ويقرر بأن هذا لا يمكن أن ينطبق على القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) (انظر: Tableau, p. 300)

5) Id.

وإذا كانت بلاد المغرب قد عرفت بداية انحطاطها في هذه الفترة[1] فلعل هذا يعود الى تسرب جزء كبير من الذهب الى مناطق أخرى، وخاصة أوربا التي كانت تتلهف على جمعه، فتتطلبه من مدن المغرب، مقابل ما تصدره لها من بضائع مختلفة، كان جزء منها يستهلك محليا وجزء ثان يصدر، مع سلع أخرى محلية، الى بلاد السودان، مقابل ما تستورده من الذهب والعبيد وغيرهما من السلع التي يستهلك بعضها، ويقتني الأوروبيون بعضها الآخر؛ فمدن المغرب الاسلامي كانت تلعب دور الوسيط التجاري بين بلاد السودان وغيرها والظاهر أن الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تسودها لم تسمح بتوجيه استغلال هذه الثروة بغير هذه الطريقة، فالأمر إذا لا يتوقف فقط على توفر ثروة ما، بقدر ما يتوقف على طرق استغلالها في أي زمان ومكان. وقد استطاعت أوربا أن تقضي جزئيا على أزمتها النقدية التي كانت تعاني منها اقتصاديا في العصور الوسطى، بسبب النقص الفادح في معدن العملة، بفضل ذهب السودان الذى كان تجارها يحصلون عليه من أسواق

---

1) يتساءل مزيان فيقول: ((كيف صادف أن عرف العالم الاسلامي بأجمعه انحطاطا اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجرى) (انظر: المرجع السابق، ص167) والجواب على هذا التساءل لا يبدو صعبا لمن يقيس على مايجري في الوقت الحالي حيث يتكرر الوضع تقريبا إذ أن كثيرا من دول العالم الثالث تحتوي على ثروات كبيرة مثل الطاقة التي تدر عليها أموالا طائلة ومع ذلك فهي مازالت تعاني من التخلف.

مدن المغرب[1] ، ولهذا بدأ الأوروبيون، منذ القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) يركزون على بيع سلعهم وأهمها الأقمشة، مقابل الذهب ومن أجل هذا عقدوا عدة معاهدات مع الأمراء الزيانيين[2].

ففي القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، لم تكن مملكتا أراغونة وميورقة، تضربان نقودا ذهبية، باستثناء ماضربه جاقمة الفاتح من قطع نقدية من النوع العربي، حتى يسهل عملية التبادل التجاري مع البلاد الاسلامية[3].

2) العبيد :

كَثُر العبيد في أسواق بلاد السودان الغربي، وكان النخاسون يأتون من مختلف أنحاء البلاد[4] الى مدينة غاو[5] التي كان بها سوق من أكبر أسواق النخاسة، بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين (السابع والتاسع الهجريين) ومنها يجلبون العبيد الى مدن بلاد المغرب، ومن بينها تلمسان[6]، وكان العبيد يُستخدمون في ميادين مختلفة مثل الصناعة، واستخراج المناجم، كالملح

1) Dhina , Le Royaume Abdelouadide, p. 160.

2) مثل معاهدة 1286م / 686هـ بين السلطان عثمان بن يغمراسن وبطرس فارسيا ممثل الملك الأراغوني أدفونش الثالث (Alphonse III) والتي تبرز فيها الفوائد التي كان يجنيها الملكان من التجارة (انظر: الملاحق رقم 1 و2 و3).

3) Dhina ; Le royaume, p. 161 ; Dufourcq ; l'Espagne catalane, pp. 563-564.

4) زبادية، المرجع السابق، ص 120 و225؛ Lombard ; op. cit., p. 201.

5) عنها أنظر: ماقبل ص، 72 – 73.

6) Coudray ; op. cit; ,p. 427.

بتغازى ، والمعادن، كالنحاس بتكدة ،وينقلون بضائع التجار، ويحرسون القوافل أثناء السفر[1]، ويحملون في القصور وفي الجيش وفي حراسة الملوك[2] ، وفي الزراعة ، والرعي ، ويباع عدد من أولادهم وتشترى بأثمانهم خيول[3] وتعمل النسوة في المنازل فتقمن بمختلف الأشغال البيتية وترضعن الأطفال[4] وأحيانا تكنّ ايماء فتساهمن في إنجاب الأطفال[5] .

ولقد كانت أسعار العبيد تختلف من سوق لأخرى، ومن فترة لأخرى فابن بطوطة اشترى، في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) بتكدة خادما ((معلمة)) بخمسة وعشرين مثقالا من الذهب[6] ؛ كما بيعت طبّاخة بمائة قطعة ذهبية في القرن الثاني عشر الميلادي[7] (السادس الهجري) ، وبيعت أربع ايماء في عهد الأمير أبي فارس الحفصي (776 ـ 838 هـ / 1393 ـ 1434م) بأربعين دينار[8] وبيعت بنت في الخامسة عشرة

---

1) وعندما يصل التاجر الى احدى المدن ،يرسل عبيده يشتغلون حتى يوفروا حاجتهم ولا يترك معه الاعدد قليل منهم فيتخلص بذلك من تكاليفهم (انظر : ابن بطوطة ،نفس المصدر،ص 453 .

2) Lombard; op. cit., p. 201.

3) انظر: زيادية ، سنغاى ،ص 128 .

4) نجاة باشا ، المرجع السابق ،ص 120 .

5) لقد كان للاخوة المقري عدد من الايماء ،زيادة على زوجاتهم ،لإنجاب أكبر عدد من الأطفال (انظر: Mauny; op. cit. p. 342)

6) بن بطوطة ،المصدر السابق،ص 453 ؛ Mauny; op. cit., p. 378

7) Mauny ; op. cit., p. 342.

8) المازوني ،الدرر المكنونة ،ورقة 9 .

من عمرها ، في بداية القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) ، بأسواق غاو ، بحوالي ست أوقيات من الذهب، وكان الشبان يباعون بنفس الاسعار تقريبا[1].

وقد كان للنوعية دور في تحديد الأسعار ،فالخادم التي اشتراها ابن بطوطة متعلمة ،والمتعلمات نادرات ، لهذا كان ثمنهن مرتفعا جدا ،والى جانب الأعمال التي كان العبيد يستطيع القيام بها ، يلعب السن دورا في تحديد السعر ، ففي القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) ، كان الأطفال والمسنون يباعون في اسواق غاو بنصف ثمن الشباب أي حوالي ثلاث أوقيات من الذهب[2] .

كما يختلف سعر العبيد حسب العرض والطلب ،ففي توات مثلا بيع العبد الواحد بأوقيتين من الذهب في القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) ،ربما يعود هذا الانخفاض لكثرة توارد العبيد عليها[3] لدرجة فاقت الطلب ،أما في غاو ، فان الأسعار أكثر ارتفاعا ويعود ذلك ،ولا شك ،الى شدة اقبال التجار والأغنياء والنبلاء والسلاطين على شرائهم[4] . وفي العاصمة

---

1) Léon l'Africain; op.cit, T.2, p471.

2) ibid.

3) انظر: زبادية المرجع السابق ،ص 202 .

4) ((ويتفاخرون بكثرة العبيد . . . والخدمات، وكذلك أهل مالي وايوالاتن، ولا يبيعون المعلمات منهن الانادرا وبالثمن الكثير . .)) ابن بطوطة، المصدر السابق ،ص 453 .

الزيانية بلغ سعر الذكر عشرين دينارا والأنثى خمسة وعشرين دينارا والخصي أربعين دينارا[1].

ويبدو أن عدد العبيد ارتفع بمرور الزمن الى درجة أنهم أصبحوا يباعون بالجملة في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، وزاد عليهم الطلب حتى أن التاجر الواحد أصبح يشتري في المرة الواحدة خمسمائة عبد، يدفع فيهم خمسة آلاف مثقال ذهبا فيكون معدل قيمة العبد الواحد خمسين مثقالا[2] وكان العبيد يباعون أحيانا ويشترون بالودع مما يدل ولا شك على انخفاض سعرهم.

واستعمل العبيد كعملة استبدلت بالخيل[3] وكان الطلب كبيرا على عبيد بلاد السودان لأنهم يتقنون أعمالهم، ومن ثم درت هذه المتاجرة أرباحا طائلة على أصحابها، فوجدوا بين كافة الطبقات الاجتماعية[4].

3) <u>الخشب :</u>

كانت بعض الأنواع من مادة الخشب، مطلوبة في مختلف الامارات المغربية، زيادة على ان الانتاج المحلي بصفة عامة غير كاف، لهذا كان البنادقة يصدرونه لها خاما ونصف مصنع، على شكل عيدان وألواح، كما[5] كانوا يبيعون في مدينة تلمسان بعض الأدوات الخشبية

---

1) زبادية، المرجع السابق، ص 203.
2) نفسه.
3) انظر: ماقبل، ص 246 ـ 247.
4) نجاة باشا، المرجع السابق، ص 68.
5) Maslatrie, op. cit. , T.1, p. 209.

4) المعادن :

ومنها النحاس الذي كانت إمارة تلمسان، مثل بقية الامارات المغربية تستورده منذ القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) الى القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، وكان التجار يأتون به على أشكال مختلفة : قطعا وصفائح وخيوطا، وكانت الأواني النحاسية تدخل أسواق إمارة بني عبد الواد عن طريق غرناطة[1]، ومن أسواق بلاد المغرب كان النحاس ينقل الى بلاد السودان[2]. والى جانب النحاس كانت الامارات المغربية تستورد القصدير والحديد والفولاذ[3] .

5) الأسلحة :

كان الأوروبيون يجلبونها من إيطاليا وألمانيا، خاصة تلك التي لم تكن تصنع في بلاد المغرب، ومنها الزرود[4] والخوذات والرماح والدروع والخناجر، رغم قرارات المنع من الكنيسة في روما[5]، فيباع جزء هام منها في أسواق إمارة تلمسان، وبعضها يعاد بيعه في السودان الغربي .

---

1) Heers; Le Sahara , p. 252 .

2) Maslatrie, op. cit, p. 210 .

3) Ibid, p. 209 .

4) الزرود، مفردها زرد وهي الدروع المزرودة، حيث يتداخل بعضها ببعض (المنجد في اللغة والاعلام، بيروت، 1960، ص 297).

5) Maslatrie, op.cit, p. 210

6) الحجارة الثمينة :

يؤكد Coudray أن التلمسانيين كانوا يشترون من السودان المعادن النادرة والحجارة الكريمة ، وكان أهل هذه البلاد يعرفون أربعة أنواع منها : مثل الزمرد والفيروز والألماس الأبيض والأزرق ، واللؤلؤ الجيد[1] ، ولكن الأثريين لم يتحدثوا الى حد الآن عن الأماكن التي كانت تستغل بها هذه المعادن ولا عن كيفية استغلالها .

7) الحلي :

والى جانب الحجارة الكريمة التي تستورد خاما ، كان الايطاليون يبيعون في اسواق بلاد المغرب المختلفة هذه المواد مصنعة على شكل مجوهرات يجلبونها من الهند والخليج العربي (الفارسي)[2] كما يصنع الايطاليون المرجان الذي كانوا يستوردونه من بلاد المغرب ثم يبيعونه مرصعا[3] .

8) الخردوات والبزازة

كان الأوربيون يبحثون عن أية سلعة يمكن أن تدر عليهم ربحا وفيرا ، فيوردون الى تلمسان الخردوات[4] ، التي ينقل جزء هام منها الى بلاد السودان[5]

1) op. cit., p. 249.
2) عزالدين أحمد موسى ، المرجع السابق ، ص 329 .
3) Lespes ; Oran, p. 291 ; Maslatrie, op.cit, p. 210.
4) Lespes; op. cit., p.219 .
5) Heers; op. cit., p. 250.

كالأسلاك الحديدية والنحاسية والأبواق والأدوات الحديدية والفولاذية والشمعدانات وغيرها من الأدوات المختلفة [1].

9) الزجاج والمصنوعات الزجاجية :

نقل الايطاليون كميات كبيرة من الأدوات الزجاجية الى كل المدن الساحلية المغربية ، وقد لاحظ Maslatrie أن المعاهدات لم تحدد أنواع المصنوعات الزجاجية التي كانت تستورد أثناء العصور الوسطى ، ويرى أنها كانت تسجل ضمن السلع المختلفة وترتب في قائمة الحلي التي لا تؤخذ عليها سوى خمسة في المائة ، بدلا من عشرة في المائة التي تشمل الضريبة العادية على الواردات [2] .

وقد خصصت البندقية عددا من المعامل لصنع حبيبات زجاجية خاصة بالعقود لتسويقها في بلاد السودان ، عبر المدن المغربية ، وهي من البضائع التي كانت تلقى رواجا كبيرا فيما وراء الصحراء [3] .

---

1) Maslatrie; op. cit, p. 210

2) لقد اشتهرت البندقية بصناعة الزجاج ، ومنها كانت المصنوعات الزجاجية تنقل الى بلاد المغرب ، وكانت هذه المدينة تنتج بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين (السابع والعاشر الهجريين) ، الكؤوس وقارورات العطور وقارورات المشروبات ، والشريات والعلب والزهور والحلي والأزرار وزجاج النوافذ والزجاج الملون والسبحات ، وكان بائعو المصنوعات الزجاجية مستقرين في مختلف فنادق البندقية ببلاد المغرب (أنظر : Maslatrie; op. cit, pp. 214 - 215)

3) Heers ; op. cit., p. 214 ; Coudray; op. cit, p. 246 .

10) السفن :

كان المغاربة يشترون السفن من المسيحيين وخاصة منهم البنادقة والجنويين ، لأن هذه الصناعة كانت متطورة عندهم ، وقد تدخلت الكنيسة لتحريم بيعها ، وبيع أدوات الملاحة للمسلمين ، بسبب الحروب الصليبية ، ورغم ذلك فقد كان الايطاليون يبيعون هذه السلع في جميع موانيء بلاد المغرب ، وقد أعفى السلاطين المغاربة هذه المواد من المكوس التي اقتصر دفعها على التجار الذين لم يكونوا متعاقدين معهم[1] .

11) المواد النسيجية ، ومنها :

أ) المواد الأولية : كان المغاربة يبتاعون بعض الأنواع من الخيوط التي لم تكن متوفرة عندهم ، مثل : الخيوط الحريرية والقطنية والمذهبة والمفضضة[2] .

ب) المواد النسيجية المصنعة وتشتمل على :

الأقمشة والأغطية ، وقد اهتم الأوروبيون بصنع بعض الأقمشة التي كان يقبل عليها السودانيون وأدخلوا الى أسواق تلمسان كميات كبيرة منها[3] وكانت القوافل تحملها الى ممالك السودان ، ومن أهم الأقمشة :

- الأقمشة والأغطية القطنية ، وكانت تصنع في البندقية

1) Maslatrie,op.cit,p. 214

2) Lespes; op. cit., p. 291 ; Maslatrie ; op. cit., p. 212.

3) Lespes; op. cit.,p. 291.

وبيزا وتتميز في الغالب بلونها الأزرق الذى كان ملوك السودان يفضلونه[1].

- الأغطية والأقمشة الكتانية والقِنَّبية، وهي متنوعة، منها الناعمة والخشنة والخاصة بالفنادق والمخازن.

- الأقمشة والأغطية الصوفية: وهي نوعان، ناعمة وخشنة، ومنها الشبكة البيضاء والسوداء والشملة[2]، وأقمشة مشبكة صالحة للطرز وأغطية بيضاء من بربينيون Perpignon ولانجدوك Languedoc، ومن فلورنسا، وأغطية عادية مصنوعة في ايطاليا وتسمى Spiga وأغطية من انجلترا: ناعمة وخشنة، تدخل تلمسان.

- الأقمشة والأغطية الحريرية: ومنها المذهبة، وأنواع عديدة أخرى[3] وقد حرمت الكنيسة لبس الحرير في بداية العصور الوسطى، بأوربا، بدعوى التقشف والحرمان، لكنها تراجعت عن ذلك وأصبح الأوروبيون يرتدون الحرير، فكثر الطلب على الأقمشة الحريرية وانتشرت صناعتها شيئا فشيئا في الأندلس، وصقلية، ثم في المدن الأوروبية الأخرى، وبعد أن كان الأوروبيون يستوردونها من الشرق، أصبحوا يصدرونها الى مختلف المناطق المجاورة للبحر الأبيض المتوسط[4]، ومنها موانيء الامارة الزيانية

---

1) Heers, op. cit., p. 251.

2) الشملة، هي المنشفة المستعملة كغطاء، والشملة هي الثوب الخارجي (أنظر: (Fagnan E, Addition aux dictionnaires arabes, p. 91).

3) Maslatrie, op. cit., p.211.

4) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص246 فما بعدها.

التي كانت تصلها كميات هامة ، يأخذ جزء منها طريقه الى أسواق بلاد السودان الغربي[1].

12) مواد الصباغة :

يحتاج الحرفيون الى أنواع مختلفة من مواد الصباغة لتلوين الخيوط النسيجية ،ويضطر هؤلاء الى استيراد بعض هذه المواد من مناطق مختلفة ،منها القريبة كسجلماسة ومنها البعيدة كمناطق الغابات،وراء الصحراء والبلاد الأوروبية[2] ،وأهم هذه المواد :

- صبغة معدنية حمراء قرمزية .
- صبغة نباتية تتمثل في ورد النيل (Guède) وتعطي لونا أزرق .
- صبغة أخرى تسمى وسمة ، تستخرج من النبات،والنيلة (Indigo) والزعفران[3]، وتنتشر هذه المواد جنوب غرب الامارة الزيانية في الواحات .
- وهناك الصمغ[4] الذي كان يجلب من الغابات الساحلية جنوب بلاد السودان[5] وينتشر بين أروان وتمبكتو[6] وهو من

1) Léon l'Africain; op. cit, p. 467.
2) Lespes; op. cit, p. 291.
3) Mauny; op. cit., p.379.
4) الصمغ، نوع من العصارة تستخرج من بعض النباتات عند احداث شقوق في لحائها وأحيانا ينشق لحاؤها طبيعيا ،وتتجمد المادة السائلة،عند تعرضها للهواء (أنظر: نعيم زكي فهمي ،المرجع السابق،ص234- 235؛ أنظر: لسان العرب، مجلد 5 ،ج 9،ص 325) .
5) Godinho; op. cit., p.105
6) Ibid.

أنقى الأنواع[1]، وكانت هذه المادة تستعمل لتحضير بعض المواد الطبية، وتستعمل كذلك لصقل الحرير وتثبيت ألوانه، لذا كان التجار يأخذون منه كميات هامة الى غرناطة، ومنها يوزع في بقية مدن المنطقة حيث تتركز صناعة الحرير[2].

- مواد مساعدة على الصباغة والتبييض، ومنها :

أ) الشب: وكان يستعمل لتثبيت بعض الألوان أيضا ولتبييض الأقمشة[3]، وهو متعدد الأنواع ويجلب من سجلماسة والهقار وأطراف الصحراء الجنوبية[4].

ب) الكبريت : وكان يستعمل للحصول على اللون الأصفر، ويأتي به البنادقة الى هنين ووهران[5].

3) العطور :

يجلب التجار المغاربة من وراء الصحراء[6]، والتجار الأوروبيون[7] من المشرق، عبر البحر الأبيض المتوسط، أنواعا مختلفة [illegible] والزبـاد[8]، والعنبر

---

1) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 235.

2) Mauny; op. cit., p. 379 ; Lombard ; op. cit. , p. 293 .
Godinho; op. cit., p. 105 ; نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص 235 .

3) Mauny ; op. cit. , p. 379.

4) الشب في بلاد السودان يوجد شمال بورنو (في واحات كوار وأهم مناجمه أنكالا) ومنها يصدر الى مصر وورقلة ومدن المغرب الاسلامي في الشمال (Id.)

5) Godinho; op. cit., p. 105.

6) Ibid.

7) Lespes; op. cit., p. 291 [illegible]

من العطور، مثل لبان جاوة[1] والمسك أو الزباد[2]، والعنبر وأنواعا متعددة من النباتات والمواد العطرة[3].

14) مواد طبية :

يأتي التجار الأوروبيون بكثير من المواد التي تستعمل في المستحضرات الطبية[4]، مثل البورق[5] واللبني[6] والكافور واللورانوم[7] والدردي[8].

15) التوابل :

هي متعددة الأنواع، منها الفلفل، وجوزة الطيب، وعود القرنفل والراوند والزنجبيل والقرفة، ويأتي التجار بهذه التوابل من مصر وبلاد السودان برا، ومن مصر وأوربا بحرا[9] ويبيعونها في أسواق مدن المغرب الاسلامي ومن بينها تلمسان[10].

1) يستخرج لبان جاوة من جذوع بعض الاشجار، ويستعمل في صناعة العطور واستحضار الأدوية (Maslatrie; op. cit., p. 212)

2) يؤخذ الزباد من حيوان يعرف باسم قط الزباد وهو نفسه المسك، فحيوان قط الزباد يحمل المسك في غدة عند سرته، تنفجر إذا حك الحيوان بطنه على الصخر، فيجمع التجار هذه المادة التي لها رائحة عبقة (أنظر، نعيم زكي فهمي المرجع السابق، ص227، 228) .

3) Maslatrie; op. cit, p. 212.

4) Lespes ; op. cit., p. 291.

5) هو مسحوق أبيض (Borax) (أنظر: Maslatrie; op. cit., p. 212)

6) هو حنبة معمرة تزرع ليستخرج منها صمغ يستعمل في تثبيت العطور (Storax) (Ibid).

7) هو عقار ممزوج بروح الأفيون Laudanum (Ibid)

8) Ibid (لم أعثر على تعريفه) .

9) Lespes; op. cit., p. 291.

10) Maslatrie; op. cit., p. 212.

16) العـــاج :

يعتــبر العاج مــن المــواد التــي وجــدت رواجــا كبيرا فــي أســواق إمــارة بنــي عبــد الــواد[1] التــي كــان التجــار يجلبــون اليهــا أجــود الأنــواع وبكميــات كبيرة[2] ، مــن منــاطق الغابات الجنــوبيــة في الســودان الغــربــي ، حيــث يعــيش حيــوان الفيــل ووحيــد القــرن ، ويستخــدم العــاج في ميــاديــن كثيرة مثــل التــرصيــع ،وفي حشــوات المنــابــر ،ويــدخــل فــي صنــاعــة الأثــاث الفخــم[3] ، ويقــبــل علــى شــرائــه الأوروبيــون[4] لاستخــدامــه في صنــاعــة تحــف المعــابــد[5] والتمــاثيــل ،وأيادي المقــاعــد ، والعصــي ، وفي بعــض الأحيــان كــان يطــحــن ليــدخــل في بعــض المــواد الطبيــة[6] .

17) الجــــوز :

يــذكــر المقــري أن التجــار التلمســانيين كــانــوا يبعثــون الجــوز مــن الصحــراء ، ولعلــه يقصــد بهــا بلاد الســودان لأن الجــوز يــأتــي مــن منطقــة الغــابــات وراء الصحــراء ويبــاع بكــثرة في تلمســان[7] .

18) ريــــش النعــــام :

كــان التجــار يجلبــون الــى إمــارة بنــي عبــد الــواد ريــش النعــام

1) المقري ،المصدر السابــق ،ج 7 ، ص 131 .
2) Coudray; op. cit., p. 429.
3) نعيم زكي فهمي ،المرجع السابــق ، ص 89 .
4) نجاة باشا ،المرجع السابــق ،ص 241 .
5) Coudray; op. cit., p. 429.
6) نعيم زكي فهمي ،المرجع السابــق ،ص 242 .
7) نفح الطيب ،ج 7 ،ص 131 .

من بلاد السودان الغربي ، ويستعمله سكان المدن في حشو الأرائك وتجميل البيوت ، ويصنع منه الحرفيون بعض المراوح للتهوئة ، ويصدر جزء هام منه الى أوربا[1]، خاصة ميورقة [2] كما كان يؤتى بشحم النعام وبيضه لصنع بعض المواد الصيدلية[3].

19) القمح :

كانت الإمارة الزيانية تستورد القمح أحيانا ، عندما ينخفض الانتاج، بسبب الجفاف الذي ينتج عن ذبذبة الامطار[4] ، أو بسبب الحروب التي تفسد الزرع ،كما حدث أثناء حصار تلمسان حيث أضطرت الدولة الى استيراد كميات هامة .

20) مواد مختلفة :

كانت الإمارة الزيانية تستورد من أوربا، في الفترة ما بين القرنين السادس والعاشر الهجريين (الثاني عشر والسادس عشر الميلاديين) ، مواد مختلفة منها : اللك والبرنيق والمصكى[5].

---

1) Heers ; op. cit., p. 250.

2) Dufourcq; op. cit., p.135 ; Heers ; Les Iles Baléares , p. 15 ; Dhina ; Les Etats de l'Occident, p. 367.

3) انظر: ،زبادية ،المرجع السابق ،ص 181 ـ 225 ـ 226.

4) انظر: حليمي ،المرجع السابق ،ص 71 ـ 72 ؛ Bel ; Tlemcen, p. 5 ; Marçais (G); E.I., Article Tlemcen, T.4, p. 844.

5) اللك والبرنيق: أنواع من الطلاء ؛ أما المصكى ،فهي نوع من البخور النباتي يوجد في جذوع الأشجار (انظر: نعيم زكي فهمي ، المرجع السابق ،ص 232 ـ 233 .

وقد قدر المعدل السنوي لقيمة الواردات الاجمالية، من مملكة أراغونة الى إمارة بني عبد الواد، بين سنتي 674هـ/ 1275م و 695 هـ/ 1295 م بحوالي 3500 ألف دينار ذهبي، ومن أراغونة وميورقة الى الإمارة الزيانية وكانت قيمة الواردات، سنة 719 هـ/ 1319م، حوالي 100 ألف دينار ذهبي .

أما واردات أوروبا بصفة عامة الى إمارة بني عبد الواد، بين سنتي 725هـ / 1325م و 730هـ/ 1330م، فكانت قيمتها حوالي 100 ألف دينار ذهبي .

وبلغت قيمة السلع الواردة، من برشلونة وبلنسية وميورقة سنة 727هـ/ 1327م، بين 15 و 20 ألفا من الدنانير الذهبية تقريبا .

وكانت أموال اليهود المستثمرة في تلك السنة (1327م) حوالي عشرة آلاف دينار، ويلاحظ أن المصادر والمراجع لم تتكلم عن قيمة السلع المصدرة من المغرب الأوسط الى أوربا ولا عن حجمها[1] .

وهكذا يكون المغرب الأوسط قد أدى دورا هاما في التجارة الخارجية، حيث مارس التلمسانيون هذا النشاط، فكوّنوا طبقة هامة في المجتمع مدت خزينة الدولة بقسط كبير من حاجياتها، وقد أشتهروا باستقامتهم، وكونوا شركات قامت بدور كبير في تنشيط التجارة في الداخل وفي الخارج .

(1 Dufourcq, L'Espagne catalane, pp.552 sq.

ولعب اليهود دورهم في التجارة، بين مدن المغرب الاسلامي والمشرق الاسلامي ومدن أوربا، ووفرت إمارة بني زيان الظروف الملائمة للمسيحيين الذين كانوا ينزلون في الفنادق الخاصة بهم ويمارسون عملهم بحرية تحت اشراف قناصلهم .

وكانت الصادرات والواردات منظمة في الإمارة الزيانية بحيث وضعت السلطات جهازا خاصا بالجبايات في الموانئ وفي العاصمة، تلمسان . كما كانت المعاملات تتم بأشكال مختلفة وبعملات متنوعة منها الذهبية والفضية والمعدنية، كما كان التعامل يتم بموازين ومكاييل ومقاييس معينة .

وتنوعت صادرات الامارة ووارداتها الى مختلف الدول المحيطة بها حسب حاجياتها وحاجة الدول الأخرى .

الخاتمة

يتضح مما سبق أن الانسان استقر في تلمسان منذ عصر ماقبل التاريخ، وفي العهد الروماني أسس بها مركز بوماريا العسكري الذي اختفت أخباره في العهدين الوندالي والبيزنطي، وفي بداية العهد الاسلامي حلت محله مدينة أجادير أو تلمسان، وصارت تلعب دورا بارزا كقاعدة للمغرب الأوسط سيطرت أوحاولت أن تسيطر عليها مختلف القوى السياسية التي ظهرت في المنطقة منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري (حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي).

وقد استنتجت، من ذلك، أن تلمسان والمنطقة التي شملتها الإمارة الزيانية كانت لها أهميتها التاريخية، قبل استقلال بني عبد الواد بها.

وبعدما أسست الامارة العبد الوادية تعرضت لضغوط، مارسها عليها الحفصيون، من الناحية الشرقية، والمرينيون من الناحية الغربية، وترتب عن ذلك احتلال عاصمتها عدة مرات من قبل هذا الطرف أو ذاك.

ويظهر من دراستي لأحداث هذه الفترة ان الصراع الذي دار بين الفاطميين الشيعيين والأمويين السنيين، قبل قيام دولة بني عبد الواد، قد تواصل في عهد هؤلاء، لهدف واحد هو السيطرة على المنطقة، ولكن بشكل مختلف عن شكل الصراع السابق، لأن الصدامات الجديدة قلما كانت تقع مباشرة، بين الحفصيين والمرينيين، كما كانت تقع بين الفاطميين والأمويين سابقا، بل غالبا ماكانت تقع بين

الحفصيين والزيانيين، من جهة، وبين هؤلاء المرينيين من جهة أخرى .

كما أنه لم يبق أي مجال لإدخال ما وقع من أحداث، في العهد الزياني، في نطاق الصراع المذهبي ما دامت القوى المتصارعة تدين بمذهب واحد، ويبقى التفسير الوحيد المقبول لصراعها هو الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة .

وقد لاحظت كيف أتاحت كثرة النزاعات، على السلطة بين أفراد الأسرة الزيانية، لكل من الحفصيين والمرينيين فرصة التدخل في شؤونها الداخلية، منذ تولية أبي تاشفين بن أبي حمّو سنة 791هـ/ 1389م، مما كان له أثر سلبي على الأوضاع الاقتصادية والسياسية للإمارة، حتى أنها صارت عاجزة تماما عن التصدي للاسبان، عندما احتلوا وهران سنة 914هـ/ 1509م، وعملوا على اضعافها أكثر فأكثر، إلى أن استولى عليها العثمانيون سنة 962هـ/ 1554م .

- وعند تعرضي لدراسة جانب التبادل التجاري، لفت انتباهي أنه كان عاديا، بين تلمسان وبين مختلف مدن المغرب الاسلامي، تماما كما كان يجري في اطار البلد الواحد، لكنه كان أقل أهمية من التبادل التجاري بين تلمسان وبين بلاد السودان التي شهرت في الطرق المؤدية اليها محطات كثيرة، توقفت عندها، وبينت دور كل واحدة في ذلك التبادل .

وبعد تتبعي لشبكة الطرق، التي كانت تربط مدينة تلمسان بغيرها من مدن بلاد المغرب ومدن بلاد السودان الغربي، استنتجت أن تلمسان كانت نقطة التقاء الطرق الرئيسية التي تربط بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى من جهة، وبين البحر الأبيض المتوسط والصحراء من جهة أخرى، مما أهّلها لتكون مركزا تجاريا هاما، منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) .

وفيما يتعلق بالرحلات التجارية، أوضحت المراحل الثلاثة الكبرى التي كانت تقطعها القوافل، في سبيل الوصول الى أهم المدن السودانية مثل مالي وغانة وأودغست وغاو وكوكيا وأغادس... كما تطرقت الى الوسائل التي اعتمد عليها التجار في نقل تجارتهم ببلاد المغرب وبلاد السودان الغربي وخاصة منها الجمل ((سفينة الصحراء)) وبينت ما تتطلبه الرحلة فيها، من استعدادات ووسائل كثيرة : كالتزود بالماء وطريقة الحفاظ عليه وإيجاد الدليل الماهر والاستعانة بحراس مسلحين، للتصدى لقطّاع الطرق، وهكذا يلاحظ أنه لا يبرر ماكان التجار يعانونه من أخطار أثناء قطع رحلاتهم الطويلة تلك، سوى ماكانوا يجنونه من أرباح طائلة .

وعند معالجتي جانب التجارة البحرية، بينت أن مدينة تلمسان التي تبعد عن سواحل البحر الأبيض المتوسط بحوالي خمسين كيلومترا، كانت تمارسها عبر موانيء

هنين ووهران والمرسى الكبير بالاضافة الى مستغانم وأرزيو وتنس وبرشك (قوراية) وشرشال والجزائر، وأن هناك خطا بحريا كان يربط هذه الموانئ بعضها ببعض كما كان يربطها ببقية المدن الساحلية الأخرى، في المغرب بين الأدنى والأقصى، من طرابلس الى أنفا بالمغرب الأقصى، فالى المرية بالأندلس، زيادة عن خطوط بحرية أخرى تربطها بأهم موانئ جنوب غرب أوروبا.

وقد كانت صناعة السفن تعاني ضعفا في بلاد المغرب عموما، منذ القرن الخامس الهجري (11م) مما جعل المغاربة، ومنهم التلمسانيون، يعتمدون على الأوربيين في مواصلاتهم البحرية، التي استخدمت فيها سفن مختلفة الأحجام ومن الطريف أن الأخطار التي كانت تتعرض لها تلك السفن أثناء رحلتها، من قرصنة وأخطار طبيعية كالعواصف والمعابر الخطيرة، تشبه الى حد كبير الأخطار التي كانت تتعرض لها القوافل البرية.

ويتضح من دراسة الحركة التجارية، بين تلمسان وبين مختلف البلدان المتعاملة معها، أنها كانت مستمرة بين تلمسان وبين البلدان الاسلامية، بحكم وقوعها في طريق القوافل التي كانت تخرج من المغرب الأقصى الى المغرب الأدنى، ومصر وما وراءه، من بلاد المشرق، والعكس، وكذا السفن التي كانت تنطلق من المغرب الأقصى أو الأندلس، صوب بلاد المشرق، أو تتجه منها اليهما، كما نشطت

تلك الحركة أيضا،بين تلمسان وبين بلاد السودان الغربي،في عهد ممالك غانا ومالي وسنغاي وخاصة بعد القرن الرابع الهجري (10م)، بسبب قطع الطريق الرابط بين واحات مصر وجنوب تونس وبلاد السودان الغربي ،وقيام دولة المرابطين التي مكنت المغاربة من التعرف عليها،مما أدى الى انتظام التبادل بينها وبين المناطق الغربية من بلاد المغرب، ومنها تلمسان ،وزاد حجم ذلك التبادل في عهد الموحدين،كما لم تخف على بني عبد الواد أهميته فشجعوه وعملوا على توفير الأمن للتجار وربطوا علاقات مع ملوك مالي ودخلوا في صراع مع المرينيين حول سجلماسة باعتبارها احدى المحطات الهامة الواقعة في طريق القوافل الصحراوية،والجديد هنا هو هذا الاهتمام الذي أولته السلطات الزيانية للتجارة الخارجية لأن وصول التجارة من الخارج الى تلمسان وعبورها الى مناطق أخرى كان موجودا قبل قيام الامارة الزيانية بحكم موقعها الجغرافي.

ومن الملفت للنظر أن الحركة التجارية، بين تلمسان وبين بلاد البحر الأبيض المتوسط المسيحية،عرفت نشاطها موازيا لمثيلتها بين تلمسان وبين بلاد السودان قبل قيام الدولة العبد الوادية وبعده، اذ انتظم التبادل مع الجمهوريات الايطالية،منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى (6هـ)،ثم تقلص

في بداية القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) بسبب التنافس الذي كان قائما بين بيزا وجنوة والبندقية والذي اشتد خاصة أثناء قيام لويس التاسع بحملته الصليبية على تونس سنة 1270 م لكن تلك الجمهوريات عادت الى نشاطها السابق، بفضل توصلها الى عقد هدنه كريمون في نفس السنة، خاصة وأن العثمانيين الذين أسسوا دولتهم في آسيا الصغرى في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (7 هـ) أخذوا يغلقون باب التجارة الشرقية في وجهها شيئا فشيئا، فلم يبق أمامها سوى مجال الحوض الغربي للبحر الأبيض، حيث كان المغاربة يعتمدون على الأوربيين سيما الايطاليين، في نقل مسافريهم وبضائعهم بحرا، كما كان وصول ذهب بلاد السودان الى تلمسان وميناءيها: وهران وهنين يجلبهم فصاروا يراقبون تجارته في القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ)، ومن هنا ينبغي وضع سطر تحت الدور الذي كانت الامارة الزيانية تلعبه في مجال العلاقات التجارية، بين أوربيي منطقة البحر الأبيض المتوسط وأفارقة بلاد السودان، فقد كانت بمثابة حلقة وصل بينهما، ففيها كان الأوائل يبيعون سلعهم ومنها كانوا يشترون البضائع السودانية، ومنها أيضا كانت القوافل التلمسانية تنقل البضائع الأوربية الى السودانيين وتجلب بضائعهم الى المغرب

الأوسط ، ولم يحدث آنذاك أن تنقل التجار الأوربيون الى بلاد السودان أو السودانيون الى بلاد المغرب أو الى أوربا .

وقد استمر نشاط الايطاليين عموما قائما الى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وبعد ئذ لم يستطيعوا الصمود أمام منافسة الأراغونيين الشديدة لهم .

والى جانب المدن الايطالية فان الحركة التجارية، بين بلاد المغرب ومدن أوقومونات جنوب فرنسا ، وهي مرسيليا ومونبلييي وناربون ،أخذت تنشط منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (6هـ) وان كانت أحوال ناربون ، من بينهما ، قد تدهورت بعد قليل، بسبب تراكم الرواسب في مرفئها، أما نشاط مرسيليا ومونبلييي، فقد بلغ أوجه مع تلمسان في القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) وفي القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ) تدهور دون ان ينقطع نهائيا ، بسبب هجومات الاسبان على سواحل المغرب الأوسط ، ومنافسة الايطاليين لهما بالاضافة الى تطور القرصنة .

وقد نشطت التجارة كذلك بين تلمسان وبين مملكة أراغونة ،منذ بداية الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) ، وخاصة منذ استيلاء هذه الأخيرة على جزيرة ميورقة ،واستهدف الأراغونيون بعد ذلك السيطرة على طرق التجارة البحرية بين

سواحل بلادهم والسواحل الزيانية، إلا أنه سرعان ما اتضح لهم أن تلك السياسة الحدائية لا تدر على خزينة بلادهم الأرباح المنتظرة فشرعوا في تغييرها تدريجيا، وزاد حجم التبادل التجاري بين البلدين وأبرمت بينهما عدة معاهدات. وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (9هـ) بدأت اهتمامات الاسبان تتغير، وأصبح انشغالهم بالعلاقات التجارية يحتل المرتبة الثانية بعد انشغالاتهم السياسية والعسكرية والصليبية فراحوا يهاجمون سواحل المغرب الأوسط، منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي (10هـ) مغتنمين في ذلك فرصة الفوضى السائدة بالمنطقة، فاحتلوا وهران والمرسى الكبير وأصبحوا يفرضون شروطهم على حكام تلمسان ويملون عليهم معاهدات حسبما تمليه عليهم مصالحهم، ودخلت البلاد تحت نفوذهم الى أن تغلب عليهم الاتراك.

ومما يلاحظ أن ممارسة التجارة في مدينة تلمسان والمدن الهامة بالامارة الزيانية، لم تكن مقصورة على التجارة المسلمين الذين كانوا يشكلون طبقة هامة في المجتمع، ساهمت بمد ميزانية الدولة بنسبة هامة من الأموال، وكونوا شركات تجارية متعددة، نشطت خاصة على المستويين المغربي والسوداني، دون الأوربي، واشتهروا باخلاصهم واستقامة سلوكهم، بل مارس التجارة الى جانبهم

اليهود على المستويين المغربي والاسلامي، كما كانوا يقومون بدور الوساطة التجارية، بين المسلمين والمسيحيين واشتهروا خاصة بالعمل في الذهب والفضة والصيرفة والقروض بفوائد طائلة .

الى جانب هؤلاء وأولئك نشط التجار المسيحيون بكل حرية في الامارة الزيانية ، وكان عملهم يقتصر على التجارة الخارجية من تصدير واستيراد ونقل ولم يتوغلوا في المدن الداخلية ، ماعدا تلمسان .

وقد اعتنت السلطات العبد الوادية بتنظيم المكوس (الرسوم الجمركية) على الصادرات والواردات فأقامت دواوين البحر (الجمارك) التي كانت عمليات البيع والشراء تجري غالبا بداخلها أو في الفنادق، بالنسبة للمسيحيين .

وبفضل كل ما سبق الحديث عنه تنوعت صادرات البلاد الى الخارج : فشملت المواد الزراعية والحيوانات والمواد الأولية والمنسوجات الصوفية والقطنية والكتان والحرير والعطور والعسل وشمعة والمرجان والزجاج وأنواعا مختلفة من الحلي والأسلحة والخردوات والعقاقير والتوابل والمعادن والعبيد والشب وأشياء أخرى مختلفة .

كما شملت وارداتها الذهب والعبيد والنحاس والأسلحة والحلي والخردوات والبزازة والزجاج ومصنوعاته والسفن والنسيج في شكل مواد أولية كالخيوط القطنية والمذهبة والمفضضة ومواد مصنعة من أقمشة وأغطية ومواد الصباغة والعطور والمواد

الطيبية والتوابل والعاج والجوز وريش النعام والقمح ومواد مختلفة .

وأخيرا يمكنني القول ان هذه اللبنة التي أضيفها الى بناء الصرح التاريخي للجزائر في العصر الوسيط لا تسد كل الفراغ الموجود، خاصة ذلك المتعلق بالجانب الاقتصادي منه، لأن الباحثين عموما يتجنبون خوض غمار العمل في هذا المجال بسبب ندرة الوثائق التاريخية فيه .

ومن ثم فان الفترة السابقة لقيام الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، تحتاج الى تغطية من هذا النوع كما أن دراسة شاملة للتجارة الخارجية على مستوى بلاد المغرب الاسلامي في عهد الدولة الزيانية قد تؤدي الى نتائج جديدة في هذا الموضوع خاصة في ميدان العلاقات بين إماراته .

الملاحق

الملحق رقم 1

نص معاهدة سنة 1286 (696هـ) .

((البند الأول: بكل اعتقاد ومحبة يريد الملك عثمان أن تكون بينه وبين الملك أد فونش صداقة كما كانت مع والد هذا الاخير وجده: بطرس وجقمة ، ويتعهد الملك عثمان أن يعطي الملك المذكور أد فونش نصف المداخيل التي يحصل عليها من موانئه الحالية (اى التي كانت تابعة له آنذاك) والتي ستكون في حوزته مستقبلا ،ويمنح الملك أد فونش فندقا للمسيحيين في مدينة وهران وعلى ملك تلمسان أن يدفع نصف مداخيل كل الموانيء الأخرى التي يملكها وسيملكها الى المشرف الذى يعينه الملك أد فونش في مدينة وهران . وهذا يشمل مداخيل كل المسيحيين الذين يصلون مختلف هذه الموانيء ، وهذا الفندق الذى منح للملك أد فونش، ليقيم فيه المشرف المذكور يكون حرا ومعفي من الضرائب .

وبالاضافة الى ذلك يتعهد ملك تلمسان المذكور لملك أراغونة بتسديد ضريبة خمسة آلاف دينار كان عليه ان يسدد هالملك بطرس عندما أرسل جقمة بيريز Jacques Perez قائدا الى تلمسان .

البند الثاني : ويستطيع الملك أد فونش اذا احتاج مواد غذائية من أراضي ملك تلمسان أن يشتريها

بحرية ، بنقوده ، بكل صداقة وتكون هذه المواد الغذائية التي يحتاجها الملك أدفونش لاستعماله الخاص معفاة من الضرائب .

أما بندها الثالث فينص على أن ((يخضع كل المسيحيين بأراضي ملك تلمسان ، مهما كان أصلهم ومقاطعاتهم ، لقانون أراغونة الذي يمثله القائد الذي يرسله ملكها لمملكة تلمسان ويستطيع كل المسيحيين الموجودين في هذه المملكة الدخول والخروج برخصة من القائد المذكور ، حتى لو منع ملك تلمسان ذلك شفهيا أو كتابيا .

البند الرابع: يعطي ملك تلمسان المذكور لهذا القائد الذي يرسله ملك أراغونة مبلغا قدره ثمانون بيزيتة فضية في اليوم ، ويعطي لكل فارس تابع للقائد خمسة وعشرين دنيا أي بيزيتتين ونصفا ، ولكل حامل سلاح خمسة عشر دنيا ولكل رام من الفرسان أيضا خمسة عشر دنيا ، ويدفع لهم حسابهم على أساس الدينار الذهبي الذي يعادل ثمان بيزيتة وفي حالة عمل السرية ، يوفر مايكفي من الجمال والبغال للقائد المذكور وعائلته والشعير لحيواناته .

البند الخامس: يوفر ملك تلمسان حصانا مجهزا لكل فارس ويعوض الخيول التي تموت أو تضيع أثناء آداء المهمة ويوفر للقائد المذكور ولأفراد عائلته العدد الكافي من الخيول .

البند السادس: ويوفر للقائد المذكور ولأتباعه محلات للسكن .

البند السابع: يخصص للأسقف الذي يأتي مع القائد راتب فارس .

البند الثامن: يستطيع القائد مغادرة تلمسان بعد قضاء مدة العمل المتفق عليها بحرية وبأمان مع كل من يريد الذهاب معه ، ويتعهد ملك تلمسان المذكور أن يعطيه وسريته رخصة لمغادرة البلاد بكل أمان وحرية ، ويأخذون كل ماتحصلوا عليه من أرباح دون أية عرقلة .

البند التاسع: هؤلاء الرجال أحرار في شراء غذائهم وحاجتهم في مملكة تلمسان بكل أمان ودون أية عرقلة مالم تكن لهم أهداف تجارية ، ولايدفعون ضرائب .

البند العاشر: يتعهد ملك تلمسان بمساعدة ملك أراغونة بسرية كلما احتاج لذلك وطلبه .

البند الحادي عشر: يضع ملك تلمسان المذكور سفينة مجهزة بالمواد الغذائية وكل الحاجات تحت تصرف القائد المذكور ورجاله عند عودتهم ، ويدفع لهذه السرية مبلغا من المال يحدده حسب رغبته . ويتعهد ملك تلمسان للملك ادفونش المذكور والقائد الذي يرسله هذا الأمير ، باحترام وتنفيذ كلما سجل بوضوح ، كليا وجزئيا ، وللاطمئنان أكثر فانه يقسم على ذلك شخصيا بالشريعة

ويقسم على ذلك أيضاً أخوه أبو عون، ومحمد ابن أبي يحيى ومحمد بن فارس بن زيان وعلي بن مقن الفج وعبد الملقار بن حسين وعمر بن عمروق وعلي بن الحسن الرشدية.)) [1]

---

1) أرسل نص هذه المعاهدة أبو سعيد عثمان بن يغمراسن الى ملك أراغونة أدفونس الثالث، سنة 696هـ / 1286م وتعتبر أقدم وثيقة معروفة الى اليوم في موضوع العلاقات بين البلدين، ولم يعثر على النص العربي، وقد نشر كل من Dufourcq وذهينة النص الاسباني والترجمة الفرنسية هذه هي الترجمة العربية.
أنظر: (1286) Dufourcq (Ch.E.), Le traité de Tlemcen, dans bulletin de la Société de géographie et d'Archéologie d'Oran, 1967, pp.33 sq; Dhina, les Etats de l'Occident Musulman aux XIII et XIV siècles, pp. 479 sq.

ملحق رقم 2

نص معاهدة تلمسان 5 شوال 739هـ/ 15افريل 1339م

((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما .

يعلم من وقف على هذا الكتاب العزيز أو سمع أنه كتاب مهادنة ومساهمة ومعاهدة ومصالحة عنقده بحضرة مولانا أمير المسلمين بنعمة الله أبي الحسن علي بن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أعلى الله أمره كما رفع قدره . وعن أمره وإذنه في ذلك الزعماء المذكورون بعد وهم : نملر يق بيسقند دالاربونة ونملريق دالاربونة صاحب طالبيرة ، ودالماو داقسطل ولورا كيط دي توتزا ، ارسال السلطان الأسنى الأكرم الأصدق دون جقمان بنعمة الله سلطان ميورقة وكونت دارشاليون وقطاليا (سردانيا) ومولى منبشليق النائبون عنه بحكم كتابه وعهد تعريفه اليهم المطبوعين بطابعه المعلوم عقد امضاه السلطان أبو الحسن المذكور والتزمه كما التزمه الارسال المذكورون عن سلطانهم دون جقمان المذكور على بلاد كل واحد من السلاطين المذكورين ورعيته وجميع ما في حكمه لمدة من عشر سنين شمسية أولها أول شهر ماي القريب مجيئنا لتاريخ هذا الكتاب وعلى شروط تذكر وهي

أن يتردد المسافرون من كل واحدة من الجهتين الى الأخرى محمولين على الأمان في نفوسهم وأموالهم وأجفانهم برا وبحرا في المراسي وغيرها فلا يعرض أحدا من كلتا الجهتين لأهل الأخرى بضرر ولا يؤذيهم في ورد ولا صدر وأي جفن تكسر أو رمت به الريح أو البحر من أجفان الفريقين في ساحل من سواحل الجهتين فالأمان شامل للجفن وعمرته وما احتوى عليه من الأموال والتجارات والعدد يدفع ذلك لمستحقه ولا يمنع من مستوجبه وعلى أن لا يحمل النصارى المذكورون من بلاد المسلمين المذكورة زرعا ولا سلاحا ولا خيلا ولا جلدا مملوحا ولا مدبوغا وماعدا ذلك من التجارات فهو لهم مباح على ما جرت به العادة من المغارم المعروفة والملازم المألوفة لجميع بلاد مولانا السلطان أبي الحسن المعتاد لهم بها على سائر الزمن وكلما يجلبونه فلا يزاد عليهم فيه زائد ولا يكلفون غير ما استقرت به العوائد وليمنع من الجهتين من التعرض لهما ويعود على هذا العقد من نقد ويقر على حكمه بالرغني من افساد المراسي أو ترويع المسافرين أوغير ذلك من وجوه الافساد والأضرار ومن فعل شيئا من ذلك فسلطانه يشتد عليه في غرم ما أتلفه وردّ ما أخذه ويعاقبه في نفسه بما يحتم عليه ويجعل عقابه ردعا لغيره ودفعا لفساده وغيره وليتقدم لولاة السواحل من الجانبين بالتأكيد في هذا الأمر والحماية لهذا العقد وليعلن هذا

الصلح من الجهتين الاعلان التام حتى يكون هذا العقد مضبوطا والعهد منجبرضما بحول الله تعالى وعلى صحة هذا العهد كتب مولانا أبو الحسن علامته المعلومة وأمر بطابعه المعروف ووضع الارسال الموكلون المفوض اليهم المذكورون طوابعهم وكتب من يحسن الكتابة منهم خط يده وكمل ذلك كله في يوم الخميس الخامس لشهر شوال من عام تسع وثلاثين وسبعمائة وموافقة الخامس عشر أفريل العجمي سنة 1339م وكتب في التاريخ المؤرخ به))[1].

---

1) انظر: Maslatrie, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge, Paris 1866, T.1., p. 192;
Dhina A, Les Etats de l'Occident Musulman au XIII et XIV siècle, p. 488 sq.

الملحق رقم 3

هذا نص معاهدة بين أبي حمو موسى الثاني أمير دولة بني عبد الواد وملك أراغونة مؤرخة بـ 29 صفر 764 هـ / 18 ديسمبر 1362 م .

((بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

هذا كتاب صلح أسست قواعده وحملت مصادره وموارده وحبى بالنجح والاسعاد والنظر الصالح للعباد والبلاد منشيه وعاقده بعد استخارة الله سبحانه واسترشاده واستعانته واستنجاده مولانا السلطان الجليل الملك الأصيل الشهير الخطير الكبير الرفيع المثيل الماجد الأثيل الأسنى الهمام الأوحد الأطول الأصعد الأجفل الأسعد الأسمى المثيل الأرضى الخليفة العادل الطاهر الكامل المنصور الجيوش والقبائل الغد الحلاحل المويد الأمضى المظفر المعان العظيم السلطان الكبير الجود والاحسان الأروع الأعلى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبو حمو موسى ابن الأمير الجليل الأوحد الرفيع الماجد الأصعد الهمام الحافل المثيل الأرضى البطل الأمضى الأسعد الأسهى الباسل الكهرم الشمايل العدة الفضائل الطاهر الظاهر الكبير الحضي المثيل الأصيل المعظم الموقر المبرور المقدس أبي يعقوب بن الأمير الجليل الأعز الأرفع

الموقر المبجل الأحفل الأفضل الأكمل المقدس السعيد المرحوم أبي زيد ابن الأمير الجليل الرفيع الماجد الكبير الأرضى الأمضى الأوحد الخطير الهمام البطل الباسل الأرقى الشهير المعظم الطاهر المنوقر العظيم المآثر الكريم المفاخر المقدس المرحوم أبي زكرياء ابن السلطان الجليل الأعلى الأوحد المثيل الأسمى العامل الفاضل الأرضى الهمام الأروع الأمضى الملك الطاهر الكامل العظيم الشمائل الباذل الباسل المأثور الفضائل المؤيد المنصور الظاهر مخلد المآثر والمفاخر الموقر المقدس أبي يحيي يغمراسن بن زيان أبقاهم الله وعزهم سامي المراتب وملكهم عظيم المفاخر والمناقب ومجدهم الشامخ الذوايب سائر ذكره في المشارق والمغارب ولا زال مقامهم الأعلى مخصوصا من العناية الربانية بأرفع المناصب عقدا للسلم والمصالحة مع الملك الأحفل الأسنى المبجل المعظم الموقر الكبير الشهير سلطان أراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسكة وقمت برشلونة وقمت الرسليون وقمت سردانية دون بيدروا أسعده الله برضاه وأرشده الى سبل هداه وأكرمه بتقواه حين وصله أعزه الله كتاب السلطان دون بيدروا المعلوم ورسم الصلح المختوم الذى عليه صورة شكله المتعاهدة المتعارفة في مثله الصادرة عنه المتكررة فيه على يد رسوله الفارس الزعيم غرنصيص قوسطة على ان تكون السلم بينه وبينه لخمسة أعوام متوالية أولها

عام أربعة وستين وسبعمائة من شهر صفر من العام المذكور المؤرخ به هذا المسطور الموافق من الشهور العجمية لشهر دجنبر عسرفنا الله فيه البركة والخير على جميع ما لإيالته العلية وشملته دعوته السنية من البلاد حاضرها وباديها وثغورها ومواسطها وأطرافها حرس الله جميعها وعلى جميع ما للسلطان دون بيدروا المذكور أيضا حاضرها وسواحلها كثرها وقلها لا يتعدى أحدهما على أحد ولا أهل بلد على بلد في حالتي الصدر والورد سلما محافظا عليها من الجهتين محفوظا عند الملتين ومن كل الجانبين لا يلحق احدى الناحيتين من الأخرى مضرة في أمر ولا تعد في سر أو جهر البر والبحر في ذلك سيان والمساترة فيهما بالأذى والمجاهرة ممنوعان لا عذر فيهما ولا اخلال بمعنى من معانيها ولا تشن في مدة المصالحة المذكورة غارة ولا تدغر سيارة فان كان من جهة النصارى فعلى السلطان المذكور تسريح الأسرى ورد ما يأخذونه للمسلمين على جهة النهب والسلب أو الانصاف من القيمة ان عدمت العين واعوزت على الطلب وكذلك ما يؤخذ على جهة الاختلاس من امدى وغيره وعلى مولانا السلطان أعزه الله مثل ذلك سواء وأن يقابل بالوفاء وفاء هذا بعد أن يشيع الأمر ويعلم من أين كان الضرر ومن هو المتسبب بالغدر أو الشر وكل ما يرجع الى هذه الدعوة العلية

ويدخل في طاعة هذه الايالة السنية بعد هذا العقد المحكم فداخل تحت هذه المصالحة والسلم وهذا الحكم وعلى ان التجار الواصلين من احدى الجهتين الى الأخرى بمتاجرهم الا يؤخذ منهم الا العشر والمخزن المعلوم في سلعهم لا زايد في ذلك عليهم ويحملون في اقامتهم اذا حضروا وفي طريقهم برا أو بحرا متى وردوا أو صدروا على الحفظ التام والرعي الشامل العام وعلى أنه إن أنكسر جفن لمن يأتي من التجار قاصدا من هذه الجهة أو من جهته لمرسى من مراسي مولانا أعزه الله أو مراسيه فيرد على أربابه جميع ماكان فيه ولا سبيل لأحد عليهم ولا اعتراض بوجه من الوجوه لجفنهم ولا اليهم بل يخلى سبيلهم الى أمتعتهم وأموالهم وجفنهم وسائر سلعهم في جميع أحوالهم ان شاء الله تعالى وقد التزم مولانا السلطان أبو حمو أعزه الله هذه الشروط وأحكم فيها العقود والربوط لينعقد عليها الصلح الذي تقدمت المراوضة فيه التزاما على الواجب بمقتضى كل معنى من معانيه شهد على مولانا السلطان أبي حمو أعلى الله مقامه ونصر أعلامه بما فيه عنه من اشهده به على نفسه الكريمة والكمال شامل ذاته والسعد المسعد مصاحب قصده واداته وهو على أكمل حالات الاشهاد وذلك في تاسع عشرين صفر من عام اربعة وستين وسبعمائة بموافقة ثامن عشر من شهر دجنبر. فيه ملحقا بين بعض أسطره على يد رسوله فرنصيص قوسطة صح منه.

وفي الاشهاد المذكور على أنه مهما أتى جفن من أجفان احدى الجهتين الى الأخرى قاصدا الى مرساها ملجئا اليها من عدو يطلبه في البحر لقصد الاذاية والضرر فعلى أهل ذلك المرسى الذي يلجأ اليها اعانته ورفع الضرر عنه وكف الأيدي العادية عليه وحمايته بكل ما يمكنهم جهد استطاعتهم ان شاء الله وفي تاريخه فشهد بجميعه .

شهد محمد بن أحمد بن علي وعبد الرحمن ابن علي لطف الله بهم بمنه شهد ، ومحمد بن يوسف بن محمد القيسي ، شهد ، ومحمد بن علي ابن أحمد العطبي أعلم باستقلاله أحمد بن الحسن ابن سعيد .[1]))

———— (29 صفر 764هـ / 18 ديسمبر 1362.)

---

1) انظر: Dhina; Les Etats de l'Occident Musulman, p. 520

ملحق رقم 4

هذا نص رسالة من أبي حمو موسى الزياني الى بطرس الرابع ملك أراغونة .

((من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين ابن الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكرياء بن مولانا أمير المسلمين أبي يحيي يغمراسن بن زيان أدام الله له عزا باهر الأنوار ونصرا عالي المنار وسعدا رفيع المقدار الى السلطان الأعز الأمنع المكرم المرفع المعظم المبجل الموتر المرعى الأحفل الانوه الهمام البطل الأشهر الأخطر ملك بني الافرنج سلطان أراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقورسغة وقمت برشلونة وقمت الرسليون وقمت سرديانة دون بيدروا أسعده الله برضاه وأرشده الى سبيل هداه وأكرمه بتقواه أما بعد فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم هداية تبلغ نيل الأمل والآمال وكرامة تصحبكم في كل حال من حضرتنا العلية بتلمسن المحروسة ونحن نحمد الله الذى لا شيء كمثله ونلجأ اليه في أمرنا كله ونسئله أن يوزعنا شكر احسانه وفضله وعندنا لجانبكم المرفع تكرمة نستوفيها ورعاية ننتهي الى الغايات فيها وعلمنا بمحلكم الشهير ومكانكم الخطير يستدعي الزيادة من ذلك ويقضيها والى هذا أرشدكم الله لأحسن المذاهب ووالى لكم الخير المتتابع المتحاقب فانا لم نزل نمنح

من وصل من جهاتكم وانخرط في سلك طاعتكم من التجار المترددين وغيرهم من ذوي الحاجات أجمعين ونوسعهم احسانا وانعاما ونيسر عليهم في جميع مطالبهم وجملة مآربهم اجمالا واكراما ولم نضيق عليهم قط في جميع ما أرادوا أن يوسقوه لبلادهم ويحملوه في صدرهم ويرادهم من زرع وغيره من الأمور التي يقضوا منها الوطر ونرتكب فيها في ديننا الخطر مرافقة لهم فيه أرجح لهم وتوسعة في كل الأحوال عليهم ومع هذا فقد عمدت طائفة من القطلانيين في أجفان معديين الى مرسانا الشهير مرسى وهران المحروسة الكبير وحملوا منه على جهة العمد العدوان والجرءة والاقدام وهتكوا حرمة السلطنة وحق الاسلام جفننا موسوقا بالزرع وغيره لتجار الأندلسيين كانوا أرادوا التوجه به الى بلاد المسلمين واستولوا على الجفن بما فيه وذكر لنا أنهم كلهم الذين حملوا الزرع في القرقورة المعروفة بالحي القطلاني بعدما وصل الى بلادكم تسوجه تلقاء ما ذكرناه لكم فلما رأينا أن هذه النازلة وقعت وأحوال من يرد علينا بالأجفان تشتت وتشعبت وجهنا لكم الآن خديمنا الحظي لدينا الشيخ المكرم المرعي الوجيه الحظي الموقر المحترم الأفضل الأكمل الأمجد أبا عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرعي الوجيه الحظي المبرور الموقر المرحوم المغتم أبي الزبير طلحة الباتلشي حمله الله تعالى على كاهل السلامة وبلغه الأمل والأمان في حالي الممر والاقامة ووالى له الخير ووصل

له الكرامة وأودعناه ما ينهيه اليكم من مقاصد الاكرام
والبر الموفر الأقسام ليخاطبكم بهذه الاحوال ويطالعكم
بما لكم عندنا من القبول والاقبال علما بأن ذلك يستنزل
منكم منزلة المسرة ويرد عنكم ما يكافي ان شاء الله
عنه بموصول الاكرام والمبرة وحملناه من معنى الصلح
بيننا وبينكم ما يلقيه ان شاء الله مشافهة اليكم
ومحاولة ابرامه والمفاوضة في عقده واحكامه وأردنا
منكم العناية بأ حسره وأن تعاملوه ما تشكرون على
بدله وما يكون في ذلك من المصلحة لنا ولكم
فشيء لا يخفى عليكم ولا يغيب عنكم فلتتلقوا ذلك
بحقه محمولا على صحة الحق وصدقه وكل ما يرد
من جهتكم فوارد على البر والتكرمة فننتهي فيه
الى الغاية المتممة ورأينا أرسدكم الله تعالى وهداكم
ووفقكم لما يرضى به عنكم من تتميم هذا
المقصد والبلوغ منه الى الأمد الأبعد أن وجهنا
لكم ايضا صحبة رسولنا المذكور ما يلقي لكم مشافهة
ان شاء الله معنى هذا الكتاب ويقرر ما عندنا لكم
من الايثار المسن الأسباب وهو قايدنا الكبير المرعى
الخطير المكرم لدينا المنقطع بالخدمة الينا جوان
برمجلين القطلاني انجده الله فاذا انصرف رسولنا
وقايدنا ان شاء الله من عندكم فنريد منكم أن
توجهوا زيادة الى ما تلقونه اليه ممن تتخيرونه
من خدامكم ومن خواص رجالكم في معنى العقد وأحكامه
والصلح ومحاولة ابرامه فنحن نرتقب أثره ونصرف
اليه من العناية والرعاية والقبول أوفى ذلك

وأوفره والله سبحانه وتعالى يوفق لما يحبه ويرضاه ويقدم الخير والخيرة فيما قضاه ان شاء الله بحول الله لا رب لنا سواه وكتب في ربيع الأول المبارك بل ربيع الآخر الذى من عام أحد وستين وسبع (.!؟) عرفنا الله تعالى خيره وبركته بمنه وكرمه وحوله وفضله)) .

صح في التاريخ .

(أرخت هذه الرسالة في 4 ربيع الثاني من عام 761هـ/ 23 فيفرى 1360م)[1]

---

1) انظر : Dhina, les Etats de l'Occident Musulman, p. 518

الملحق رقم 5

هذا نص رسالة من أبي حمو موسى الزياني الثاني الى بطرس الرابع، في 23 صفر 764هـ / 11 ديسمبر 1362م .

((بسم الله الرحمن الرحيم وسلام على عباده الذين اصطفى حسبنا الله ونعم الوكيل .

من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين ابن مولانا الأمير أبي يعقوب ابن مولانا الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير ابي زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحي يغمراسن بن زيان أيده الله بنصره وأمده بمعونته ويسره الى السلطان الأجل الوجيه الحظي الموقر المعظم المبجل الهمام البطل الشهير الخطير سلطان أراغون وبلنسية وسردانية وميورقة وقمت برشلونة وقمت الرسليون وقمت سردانية دون بطروا أسعده الله برضاه وسلك به سبيل هداه وأكرمه بتقواه سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم هداية تبلغكم نيل الأمل والآمال وعناية من لدنه تصحبكم في كل الأحوال وسعادة تقضي لكم بسعادة المعقبى والمآل من حضرتنا العلية تلمسان حرسها الله تعالى ونحن نحمد الله الذى لا شيء كمثله ونلجأ اليه في امرنا كله ونتوكل عليه ونتبرؤا من الحول والقوة اليه ونسئله جل وعلى ان يوزعنا شكر احسانه وفضله بمنه وطوله والكم

عندنا من البر بكم والاكرام لكم وتجديد الرعاية والعناية قبلكم ما يبلغكم أملكم ان شاء الله لا رب سواه ولهذا أرشدكم الله لأحسن المذاهب ووالى لكم الخير المتتابع المتعاقب فانه وصل كتابكم وعقد الصلح الذى وجهتم الينا صحبة رسولكم الفارس الزعيم الأجد الانصح اليكم وهو فرنصيص قسططة أكرمه الله بتقواه وأرشده وهداه وترا عقد الصلح الذى وجهتم يصلكم صحبة رسولكم فانكم كتبتم فيه واستقرينا من لفظه ومعانيه مالا يليق بذى الملك الرفيع الخطر المعلوم المقدر أن يخاطب بمثله الملوك الذين لهم المكانة المكينة والمرتبة العلية القوية المتينة وترا رسولكم يبين لكم مافي ذلك ان شاء الله وأما ما ذكرتم عن قضية سلف المال منا اليكم لقضاء ماربكم ومطالبكم فمقامنا هذا والحمد لله كفيل ببلوغ آمالكم وصلاح أحوالكم والذى عندنا أيضا في ذلكم يلقيه اليكم رسولكم وأما ماذكره لنا رسولكم عنكم من كونكم طلبتم معا داتنا النصارى الفنشيين فرسولكم يبين ذلك أتم تبيين حسبما ألقيناه اليه وبيناه عليه وأما قضية النصارى الذين كانوا أخذوا في الأجفان وخرجوا بمرسانا هنين المحروسة حين وقع بهم الغلب ولجوا الينا بذلك السبب وهرب منهم من هرب وتكرر منكم في شأنهم الكتب [illegible] في الطلب فحين جاءنا رسولكم الأول طالبا لهم خلينا سبيلهم وسرحنا جمعهم [illegible] يتوجه رسولكم معهم

فلما سرحناهم ورأوا أنا صرفناهم وأخذنا لهم
الخيل التي كنا أعطيناهم أمتنع عن الجواز
أكثرهم وأختاروا الاقامة وطلبوا منا الخدمة
المستدامة فانهم كانوا تحت رعي وكرامة برضى
منهم وطيب نفس واختيار من غير ضرر تلحقهم
في ذلك ولا أضرار فرددنا عليهم خيلهم ورجعناهم
الى خدمتهم وأجرينا عليهم مرتباتهم وزناهم
على عادتهم وأما الذين أرادوا الجواز منهم الى
بلادهم فهم نحو الثلاثين أو ما يقرب من عددهم
فلما جاؤوا على الاتفصال وأخذوا في الرحال الا وبلغنا
ان المسلمين من خدامنا وبلادنا أخذوا من مراسينا
هنين ووهران ومستغانم على جهة التعدى والقهر
والغلب والمجاهرة بالفتنة والحرب بعدما كنتم أنتم
كتبتم رسم الصلح الذى به الينا وجهتم امسكنا
نحن عن ذلك هؤلاء الذين أرادوا الجواز الى هنالك
حتى تسرحوا انتم أوليك المأخوذين وتضربوا على
أيدى المعتدين والأفسدين وتعاقبوا الظالمين فاذا
سرحتم أوليكم نسرحوا نحن هؤلاء لكم عملا بمقتضى
رسم الصلح الذى أشهدتم على انفسكم به والتزمتم
العمل بحسبه ووجهتم رسولكم فرنصيص بسببه وأما
ماذكر تموه لنا من الحوايج التي كانت أخذت
لمتيو مرسيط فحين وصل الوكيل الذى وجهت
زوجته الى هنا أوقفناه بين أيدينا وسمعنا
قوله واحضرنا خصمه له وأمرناه أن يصل معه
الى قاضي المسلمين ليحكم بينه وبين خصمه بالشرع

والحق الواضح المستبين فان الشرع عندما ينقاد اليه
الصغير والكبير والرفيع والوضيع والغني والفقير وساير
الناس في الحق عنده سوا يسلك سبيل الهدى ويطرح
الهواء فأبى الوكيل من ذلك وامتنع من ان يقف
معه غريمه للشرع والحق أحق أن يتبع وكان
ذلك كله بحضر رسولكم وهو يبين ذلككم والذى
عندنا في أحوال الصلح وفي غيره يلقيه اليكم
ان شاء الله رسولكم ويعرضه عليكم بين يديكم
بحول الله سبحانه يهديكم الى سواء السبيل انه
بذلك كفيل كتب في ثالث عشرين صفر من عام
أربعة وستين وسبعماية بموافقة الحادى عشر من
دجنبر عرف الله خيرهما بمنه وكرمه وقد وجهنا لكم
صحبة رسولكم رسما مشهودا مخاطبا بعقد الصلح المبارك
معكم وصحبة رسولكم ليوصله اليكم ان شاء الله بل يصلكم
كتابنا هذا ورسم الصلح الذى عقدنا وأشهدنا به على
انفسنا صحبة خذيمنا الأجد الأنهض على القناع سلمه الله
فاصرفوا مع رسم صلحكم والأسرى من المسلمين الذين ذكرناهم
لكم وتوجهوا من عند كم من خدامكم وتقاتكم من يقبض
من هنا من النصارى الذين أمسكناهم في أوليكم ويصل بهم
اليكم ان شاء الله لا رب سواه))[1]

---

1) انظر: Dhina, Les Etats de l'Occident Musulman, p. 519 .

الملحـــــق رقـــم 6

قائمـــة باسمـــاء أراغـونـيـيـن و مـيـورقـيـيـن كـانـت لـهـم
عــلا قــات تجاريـة ببلا د المغرب الأوسط بين سنتي 1308م و 1331م[1]

المدينـة الأصـل	الاسم (و اللقـب)	العمـل	الاتجاه أومكان الاقامـة	السنـوات
ميـورقـة	الاتـزار مـاينـيـش Alatzar Mayniche	تاجر يهودي	مـزعـفـران	1319م
مليورقـة	أليبـا يـنـا Albéa	ربعمـل	الجزائـر	1327م
ميورقـة	أليبربنات Albert Bernat	ربعمـل	شرشـال	1328م
ميورقـة	ألكسندر بـرتهـوم Alexandre Bethome	رب عمـل	مـزعـفـران	1328م
ميورقـة	أندرو بير Andreu Père	ربعمـل	امارة اتلمسان	1328م
ميـورقـة	انـدرفـر رامـون Andr ever Ramon	ربعمـل	الجزائـر	1329م
ميـورقـة	أستروش أنـتـون Astruch, Anton	شريك في ملكية سفينـة	مزعفران ومستغانم	29-1327م
ميـورقـة	الفيـلا Alveyla	ربعمـل	الجزائـر	1329م
ميورقـة	بـلا قـيروا مـون Balaguer Ramon	وسيـط	تنـس	1330م
ميورقـة	بلفيهي قيليم بنيات برنـات Bellvihi, Guillem, Benet Bernat	رأسمـالي	مستغانم وتلمسان	30-1329م
ميورقـة	برنقر بير Berenguer Père	رأسمـالي	امارة تلمسان	1315م
ميورقـة	بـرنـقـر سيمـون Berenguer Simon	رأسمـالي	امارة تلمسان	1315م
ميورقـة	برميلانز Bermelans	رب عمـل	الجزائـر	1331م
ميورقـة	بوكس أو بوبش بـير Bocz (ou Boch) Père	رب عمـل	مستغانم والجزائر	21-1320م
ميورقـة	بـولا كـس أنـبروكـس Bolex Anibrox	تاجر يهـودى	مـزعـفـران	1319م
بلنسيـة	بيورول رامـون Borull Ramon	ربعمـل	هـنـيـن	1327م
ميورقـة	بـوشرقـيـلام Boch Guillem	وسيـط	تـنـس	1330م

.../...

المدينة الأصل	الاسم واللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
برشلونة	بوكسيدا رامون Boxida Ramon	تاجر	امارة تلمسان	1314م
ميورقة	بروييل قييام Bruiyl, Guillem	رب عمل	الجزائر	1327م
ميورقه	كانت بيسر نات Canet, Bernat	وسيط	مستغانم	1329-30م
ميورقة	كاباسبر برنات Capaspro Bernat	رب عمل	مستغانم وشرشال	1329،30،31
ميورقة	كارلوس دومينقو Caralos Dominigo	رب عمل	الجزائر	1328م
ميورقة	كاربونال رامون Carbonell Ramon	رب عمل	برشك	1328م
ميورقة	كاسا Cassa	رب عمل	مستغانم	1318م
بلنسية	كاستل برنات Castell Bernat	تاجر	امارة تلمسان	1327م
بلنسية	كافيل برنات Cavill Bernat	تاجر	امارة تلمسان	1327م
ميورقة	سيما أرنو Cima Arnau	تاجر وقنصل	تلمسان	1327م
ميورقة	سيما دومينقو Cima Dominigo	تاجر وقنصل	الجزائر	1313م
ميورقة	سيسرا برنات Cicera Bernat	رب عمل	هنين	1329-31م
ميورقة	كولون Colon	رب عمل	تنس	1328م
بلنسية	كونت برنات Conte Bernat	تاجر	امارة تلمسان	1327م
برشلونة	كونت بير Conte Père	رب عمل	وهران ومزغفران	1315-1330م
ميورقة	كونكس قييام Conques Guillem	رب عمل	الجزائر	1330م

السنوات	الاتجاه او مكان الاقامة	نوعية العمل	الاسم (واللقب)	المدينة الأصل
1330م	تنس	رب عمل	Cormar Père كورمار بير	ميورقة
1314م	الجزائر	رب عمل	Colell كولال	ميورقة
1315م	امارة تلمسان	تاجر	كونيلارس ميخائيل Cunileres Michel	ميورقة
1320م	امارة تلمسان	رب عمل	رالموقييام Ralmou Guillem	ميورقة
1328م	تنس	رب عمل	دايان رافايل Dayan Rafaél	ميورقة
1320م	مستغانم	رب عمل	دسد قريقوري Desde Gregori	ميورقة
1328م	الجزائر وهران	رب عمل	دسليدو قييام Des ledo Guillem	ميورقة
1327م	امارة تلمسان	تاجر	دسبرنس أندرو Despernes Andreu	بلنسية
20-1319م	هنين ومزغفران	رب عمل	ديسيفول مستر Densovol Mestre	ميورقة
فيفري وصيف 1328م	الجزائر	رب عمل	دومينيك برنات Doménech Bernat	ميورقة
1308م	وهران	تاجر	اكسيمبو برنقر Eximbau Berenguer	برشلونة
1330م	تنس	تاجر يهودي	فازواتي ابراهام Fazuati Abraham	ميورقة
1330م	تنس	تاجر يهودي	فازواتي مايمو Fazuati Maymo	ميورقة
1328م	هنين	رب عمل	Faniola فانيولا	ميورقة
1314-1320-1321م	الجزائر وهنين	رب عمل	Ferre Simon فير سيمون	ميورقة
1318م	الجزائر	تاجر	فيرير دي براس بير Ferrer de Pras, Père	بلنسية

المدينة الأصل	الاسم واللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
ميورقة	فوكسرجوم Falquos Jaume	تاجر	وهران	غريل 1318م
ميورقة	فورنلس Fornells	رب عمل	مزعفران	1315م
برشلونة	فرنير رامون Frener Ramon	شريك في ملكية سفينة	وهران ومزعفران	1315م
ميورقة	قانتيريس قيام Ganteres Guillem	رب عمل	هنين	1331م
ميورقة	قارسيا بيير Garcia Père	رب عمل	وهران	1320 -21م
ميورقة	قاريقا برنات Gariga Bernat	رب عمل	برشك والجزائر	1329 -30م
برشلونة	جيلبار Gilabert	تاجر	وهران	1308م
ميورقة	قومار بير Gomar Père	رب عمل	تنس	1330م
برشلونة	قراو بير Grau Père	رب عمل	هنين	1327م
بلنسية	قي دي برتهوما Guide Berthoem	تاجر	امارة تلمسان	1327م
بيربينيون	ازارن بير Isar.Père	تاجر	مستغانم	1331م
ميورقة	جارسس سيمو Jarces Simo	رب عمل	شرشال	1330م
برشلونة	لاريدا جوم Lerida Jaume	تاجر	وهران	1308م
ميورقة	لسكالا أنتون L'Escala Anton	شريك في ملكية سفينة وربان	وهران وهنين	1330 -31م
ميورقة	لسكالا جوليا L'Escala Julia	رب عمل	تاونت، وهران هنين	1314 -1329م 1331م
ميورقة	لوبي أرنو Lobi Arnau	تاجر	تلمسان	1329م

المدينة أو الأصل	الاسم و اللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
ميورقة	مايسترا برنات Maestre Bernat	وكيل	مستغانم	1318م
ميورقة	مالقي سليمان Malequi Salomon	تاجر يهودي	مستغانم	1331م
بلنسية	ماليت رامون Malet Ramon	تاجر	امارة تلمسان	1327م
ميورقة	مارك March	رب عمل	مزغران	1328م
ميورقة	ماركا أندريس Macha Andres	وسيط	منطقة تنس	1330م
ميورقة	مارك برتومة ابير March Berthomen et Père	شريك ملكية سفينة	مستغانم	30-1329م
ميورقة	مارنان Marnan	رب عمل	الجزائر	1318م
ميورقة	مارتي أرنو Marti Arnau	رب عمل	مزغران	1330م
ميورقة	مارتي قييام Marti Guillem	رب عمل	الجزائر	1330م
ميورقة	مارتي خوان Marti Joan	رب عمل	هنين	1329م
ميورقة	مارتي بير Marti Père	ربان أو رب عمل	الجزائر	1329م
ميورقة	مارتن برنات Martin Bernat	ربان أو رب عمل	مستغانم	1330م
ميورقة	مارتن بير Martin Père	ربان أو رب عمل	تنس	1330م
ميورقة	ماسكارو فرانسسك Mascaro Francisc	ربان أو رب عمل	الجزائر	1330م
ميورقة	امدازور اسحاق Mdasor Isaak	تاجر يهودي	مزغران	1331م
ميورقة	ماسو Massot	ربان	تنس	1318م
ميورقة	مورا سبرنات Mauras Bernat	شريك في سفينة	امارة تلمسان	1321م

المدينة الأصل	الاسم واللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
بلنسية	منيدير فرانسيسك Meneder Francesc	تاجر	شرشال ومليانة	17ـ1316م
مونبليي	نيكولا فرانسيسك Nicolai Francesc	رأسمالي	الجزائر	1318م
ميورقة	أوليفيلا برنات Olivela Bernat	تاجر	مستغانم	1331م
برشلونة	أوليفر برنقر Oliver Berenguer	تاجر	وهران	1308م
برشلونة	أوليفر بير Oliver Père	تاجر	وهران	1308م
برشلونة	بازامير بير Pasamar Père	تاجر	وهران	1308م
ميورقة	براتز فييام Prats Guillem	ربان	الجزائر	1327م
ميورقة	كادر س برنات Quadres Bernat	رأسمالي	تنس	1330م
ميورقة	كارس سيمون Quares Simo	ربان او رب عمل	وهران	1320م
ميورقة	كيزا آرنو Quisa Arnau	ربان او رب عمل	مزغران	1320م
ميورقة	رامبو قييام Rambau Guillem	ربان او رب عمل	هنين	1328م
بلنسية	رستاني خوان Restani Joan	ربان او رب عمل	هنين	1328م
ميورقة	روس جوم Reus Jaume	تاجر	مستغانم	1331م
ميورقة	ريفيرالو أومبير Riveralo Ambert	تاجر مالك سفينة	مزغران	افريل 1316م

المدينة الأصل	الاسم و اللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
برشلونة	رويق نيكولا Roig Nicola	تاجر	وهران	1358م
بلنسية	رويق رامون Roig Ramon	ربان او ربعمل	مزعفران	1309م
ميورقة	رويق بيير Roig Père	ربان أو رب عمل	الجزائر وامارة تلمسان	1320م
ميورقة	رقالس رامون Rogals Ramon	ربان أو رب عمل	برشك	1331م
مونبلا ن	روس بير Ros Père	تاجر	تلمسان	1325م
ميورقة	روفيرا قيام Rovira Guillem	ربان	الجزائر	1327م
ميورقة	سالا برتوم Sala Berthomen	تاجر	مزعفران	1319م
ميورقة	سالا روم Sala Romen	ربان	هنين	1318م
ميورقة	سانس بونانات Sanz Bonanat	ربان	هنين	1328م
بلنسية	سارايون Sarayon	ربان	هنين	1310م
برشلونة	سارافر خوان Saravore Jean	تاجر	وهران	1308م
ميورقة	ساقي سيمو Segui Simo	ربان	الجزائر	1328م
برشلونة	سيرا قيام Serra Guillem	تاجر	وهران	1308م
بلنسية	سيمو فرانسيسك Simo Francesc	تاجر	امارة تلمسان	1327م
ميورقة	سيستيلا Sistela	ربان	شرشال	1320م
برشلونة	سولسينا برنقر Solsina Berenguer	تاجر	وهران	1308م

المدينة الأصل	الاسم و اللقب	نوعية العمل	الاتجاه أو مكان الاقامة	السنوات
برشلونة	سوتزينر بيير Sotziner Père	رأسمالي	تلمسان	1330م
ميورقة	طراقونة خوان Tarragona Joan	رأسمالي	تنس، تلمسان	1327م
بلنسية	تينا فرانسيسك Tena Francesc	تاجر	امارة تلمسان	1327م
ميورقة	تيانا Tiana	ربان	مستغانم	1327م
ميورقة	طوقورس Togores	ربان	مستغانم	1327م
ميورقة	أورجل Urgell	ربان	تنس	1328م
ميورقة	فاي برنات Vais Bernat	شريك في ملكية سفينة	امارة تلمسان	1321م
ميورقة	فرداقير نيكولو Verdaguer Nicolau	رأسمالي	تلمسان	1330م
برشلونة	فيلا بيو بيير Vilapiu Père	تاجر	وهران	1308م
بلنسية	فيلا زيسربيرنات Vilasis Bernat	تاجر	امارة تلمسان	1327م
برشلونة	فيناس فرار Vénas Ferrer	تاجر	وهران	1308م
ميورقة	ايسام رامون Isem Ramon	شريك في ملكية سفينة	امارة تلمسان	1321م

Dufourcq, Espagne catalane pp.598sq(1
Dhina, Le royaume Abdelouadide, p.246 sq.

ملحق رقم 7

الغش في الدراهم والدنانير

قال الشيخ ابن رشد رحمه هذا كما قال ان ما كان لا منفعة فيه إلا الغش فلا يجوز بيعه على حال وذلك بخلاف الدرهم المغشوش بالنحاس لأنه يمكن أن تجعل فضته على حدة فيجوز أن يبيعه ممن يكسوه ويكره أن يبيعه ممن لا يأمن أن يغش به ويختلف هل يجوز أن يبيعه ممن لا يدرى ما يصنع به فأجاز ذلك ابن وهب وجماعة من السلف ولم يجزه ابن القاسم قلت ولم يذكر ابن رشد هنا صورة بيعه ممن يعلم أنه يغش وقد تقدم له أن ذلك لا يجوز في مسألة خلط الردي بالطيب وقال هنا في الرواية فاذا علم انه يريد به الغش فلا يبيعه منه ولم يذكر هنا أيضا ما يفعل اذا باعه ممن يعلم انه يغش به ولم يقدر على استرجاعه .

وقد حصل القول على ذلك في محل آخر فقال وتحصيل القول في ذلك أن الدراهم والدنانير المغشوشة بالنحاس لا يحل لأحد أن يغش بها فيعطيها على أنها طيبة ولا أن يبيعها من يعلم انه يغش بها ويكره له ان يبيعها ممن لا يأمن أن يغش بها مثل الصيارفة وغيرهم من أشباههم واختلف هل يجوز له ان يبيعها ممن لا يدرى ما يصنع بها فأجاز

ذلك ابن وهب وروى اجازة ذلك عن جماعة من السلف رضهم وعن عمر بن الخطاب رضه أنه قال: الفضة بالفضة وزنا بوزن والذهب بالذهب وزنا بوزن وأيما رجل ردت عليه ورقة " فلا يخرج يحالف الناس عليها أنها طيور ولكن ليقل من يبيعني بهذه الزيوف سحق شوب رثيثا وكرهه ابن القاسم ورواه عن مالك في المدونة وانما أجاز ابن وهب أن يباع ممن لا يدرى ما يصنع بها ماكان فيه منفعة ويمكن الغش به لمن أراد ذلك ويجوز أن تباع باتفاق ممن يهزها أو ممن يعلم أنه لا يغش بها الاعلى قياس قول سحنون في نواز له من كتاب السليم فان باعها ممن يخشى أن يغش بها لم يكن عليه الآ الاستغفار وان باعها ممن يعلم أنه يغش بها فواجب عليه أن يستصرفها منه ان قدر على ذلك .

وقد اختلف اذا لم يقدر على استصرافها فيما يجب عليه بعد التوبة فيما بينه وبين خالقه على ثلاثة أقوال :أحدها انه يجب عليه أن يتصدق بجميع الثمن والثاني انه لا يجب عليه أن يتصدق الا بالزائد على قيمتها ولو باعها ممن لا يغش بها ان كان تزيد فيها شيئا والثالث انه لا يجب ان يتصدق بشيء منه الا على وجه الاستحباب مراعاة للاختلاف.[1]

---

1) العقباني التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، في (Bulletin d'Études Orientales, T.XIX années 1965 _ 1966) ص214 .

الملحق رقم 8

- الشركة في التجارة -

((... وسئل أيضا [سيدي عبد الرحمن الوغليسي] عن قوم يشترون سلعة مثل الملح والشاة ليأكلوه فيخرج هذا من عنده الدرهم الجديدة ويخرج الآخر الجدودية والقراريط والصغار مثلا، فيخلطون ذلك ويدفعون للبايع هل يجوز ذلك أو حتى يخرج كل واحد منهم مثل ما يخرج الآخر ...))

فأجاب ان كانوا دفعوا الثمن بعد أن اشتروا السلعة وترتبت في ذمة كل منهم من نصيبه فجايز أن يدفع ما أراد لأن الشركة بينهم في السلعة لا في الثمن فان كانوا انما أرادوا أن يشتركوا في الثمن قبل شراء السلعة فلا يخرج كل واحد منهما الاّ مثل ما يخرج الآخر والله تعالى أعلم ...

وسئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن رجلين اشتركا برأس مال أخرجه كل واحد منهما الا أن أحدهما يزيد على الآخر بنحو عشرين دنانير على أن يتجرا به في انواع التبر ثم ان احدهما جلس عن العمل وصار الآخر يمشي بالأمتعة لأسواق الغيار وغيرها ويتولى البيع والشراء مدة هل له رجوع على الآخر بأجرة عمله أم لا فانه وقعت بينهما منازعة وسئل عما يوجبه الحكم الشرعي في ذلك وهل هذه الشركة فاسدة أم لا

بسبب ما زاد أحدهما على الآخر ودخولهما على الاستواء في الربح فان حكمتم بفسادها فكيف يصنع في ذلك ولا زال يعترف عند الشهود مرارا أنه لم يبع شيئا ولا قبض درهما ولا دينارا .

فأجاب : الشركة على الاستواء في الربح مع الاختلاف في قدر رأس المال فاسدة والواجب في هذا أن يقسم الربح بينهما على قدر أموالهما ومن له فضل عمل على الآخر رجع عليه بأجرة المثل في العمل الذي كان يلزمه والله الموفق بفضله .....

وسئل سيدي عبد الرحمن الوغليسي عن شخصين يقصدان شخصا معينا لكونه ذا مال يشتريان منه جلبا بثمن مسمى ولا يدفعان له شيئا الا بعد البيع ثم يقسمان الربح ان كان : أتجوز هذه الشركة فان قلتم بعدم الجواز فهل تدخل هذه المذكورة في شركة الذمم التي نص عليها ابن الحاجب وغيره في قوله ولا تصح شركة الوجوه الخ ما ذكره ...

فأجاب: الحمد لله قد اشتريا شراء جايزا ان كان الأجل معلوما وان لم يكن فسد الشراء وهما مشتركان في شراء سلعة وذلك جايز ولهما أن يقتسما ذلك ويبيعاه مشتركا وليس ذلك من الشركة المذكورة في شيء والله تعالى أعلم ....))[1]

---

1) أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، رقم 1336 ، ورقة 23 خلف و ورقة 24 .

الملحق رقم 9

- حكم السفينة للتجارة -

((وسئل أحمد بن ميسر بالاسكندرية ، سأله يحي بن عمر عن سفينة تقدم بلدة وفي السفينة تجارة لغيرهم ، فتجار وغير تجار أصابهم هول في البحر وارتجاج عظيم فطرحوا بعض حمولة المركب منه ماطرح للتجارة ومنه ماطرح للقنية وما تقول ان كان حمل ماحمل للتجارة بكراء أو بغير كراء فأجاب: الجواب وبالله التوفيق في كل ماسألت عنه ، ماطرح على وجه التجارة من الأمتعة وكانت لتجارة أو غيرها ماكان الاكراء ولم يكن فسبيلها واحد ، وهم شركاء فيما سلم وفيما طرح على قيمة رؤ وس أموالهم في الموضع الذى حملوا منه ، وليس على السفينة ولا على خدام المركب وعلى النواتية ولا على الأحرار شيء ، وانما يكون على المتاع ولا نرى على العين شيئا.

قلت : قوله ولا نرى على العين شيئا هو كقول ابن أبي مصر ومحمد بن عبد الحكم ، وخلاف قول ابن حبيب وصوبه ابن يونس.

وسئل ابن رشد عن أهل سفينة هال عليهم البحر واضطرهم الى أن يطرحوا ويخففوا مما فيه ففعلوا ذلك وخففوا من ثقلها وكان فيهم من عنده ذهب وورق لهم ولسواهم بضائع عندهم

فأرادوا أن يحملوا ذلك عليهم مع جميع ما بقي في المركب هل لهم ذلك أم لا بيّن لنا الجواب في ذلك .

فأجاب ماطرح في البحر من المركب عند شدة الخوف عليهم لا شيء على ما عند الركاب فيه من الناض الذهب والورق، كان لهم أو وديعة عندهم أو بضاعة بأيديهم، وانما يجب ذلك على الأمتاع لأنها هي التي تثقل المركب ويخشى عليه الغرق من أجلها هذا هو الصحيح من الأقوال الذى نذهب اليه ونعتقد صحته فقد كان القياس أن يكون التراجع بينهم على ثقل الأمتاع في ذلك لا على قيمتها اذ لا تأثير لغلائها ورخصها في الخوف على المركب ومن فيه، فان كان ثقل ماطرح وقيمته في التمثيل مثل ثقل مالم يطرح وقيمة ذلك ألف أو عشرة آلاف أو أقل أو أكثر كان الذى طرح متاعه وقيمته مائتان يرجع بالخمسين على أهل الأمتعة بقدر ثقل متاع كل واحد منهم من متاع صاحبه فاذا كان هذا هو القياس والقول بالتراجع بينهم على القيم خارج عن القياس مبني على الاستحسان بعد في وجوه النظر أن يكون من ذلك على الناض شيء وبالله التوفيق))[1] .

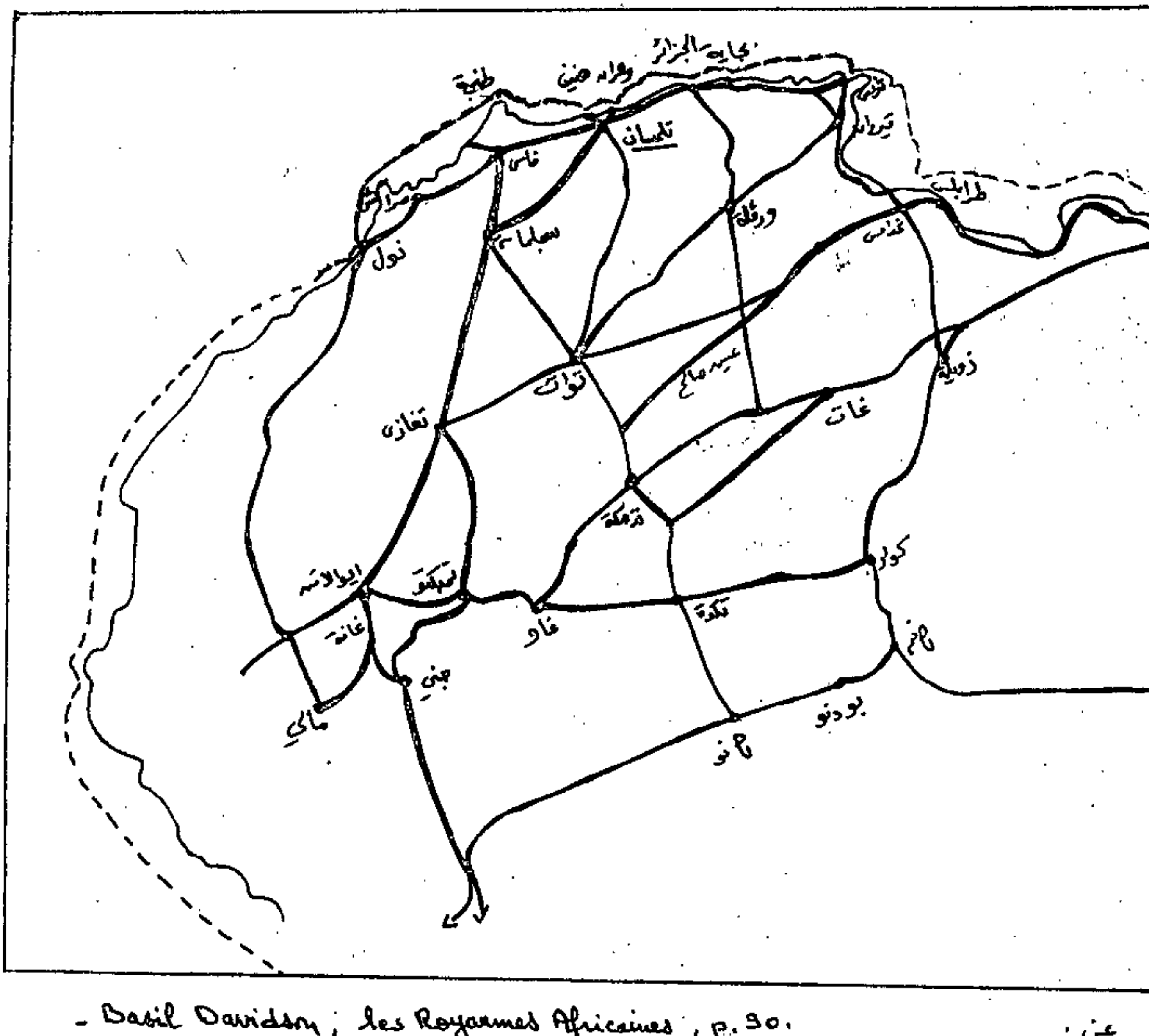
---

1) الونشريسي (احمد بن يحيي) ، العيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، بيروت، ج 8 ، ص 311 ـ 312 .

الخرائط

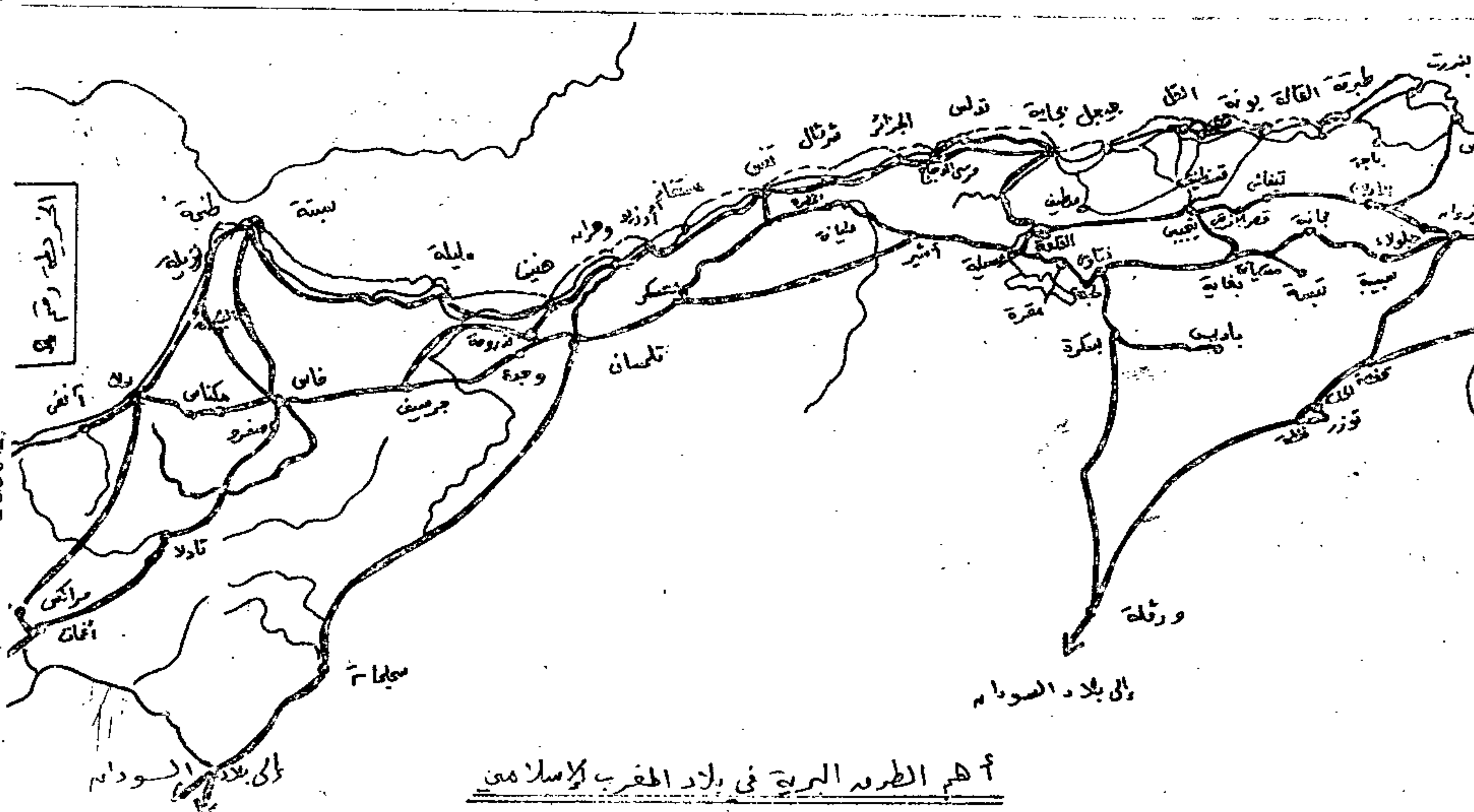
الخريطة رقم 1

طرق التجارة الرئيسية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.



عن :

- Basil Davidson, les Royaumes Africaines, p. 90.
- Mauny, Tableau géographique, p. 434.
- Dhina, les Etats de l'Occident musulman, p. 371.

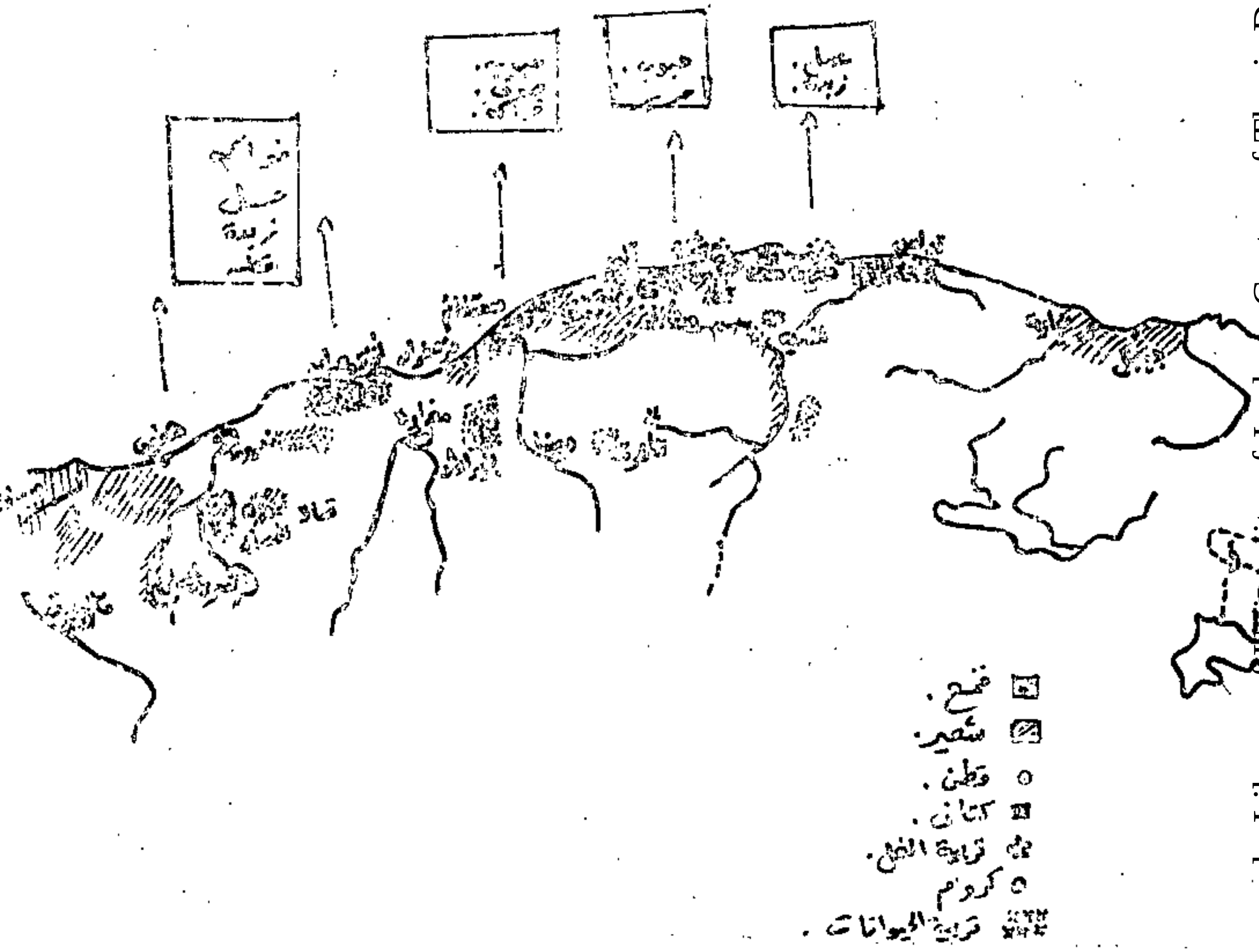


أهم الطرق البرية في بلاد المغرب الإسلامي

عن : - Vanacker Claudette : Géographie économique de l'Afrique du Nord, Selon les auteurs arabes, du IX^{e} siècle au milieu du XII siècle, in Annales E.S.C., Paris, Mai-Juin, 1973.

- الخريطة رقم 3 -

الزراعة في المغرب الأوسط في النصف الثاني من العصر الوسيط.

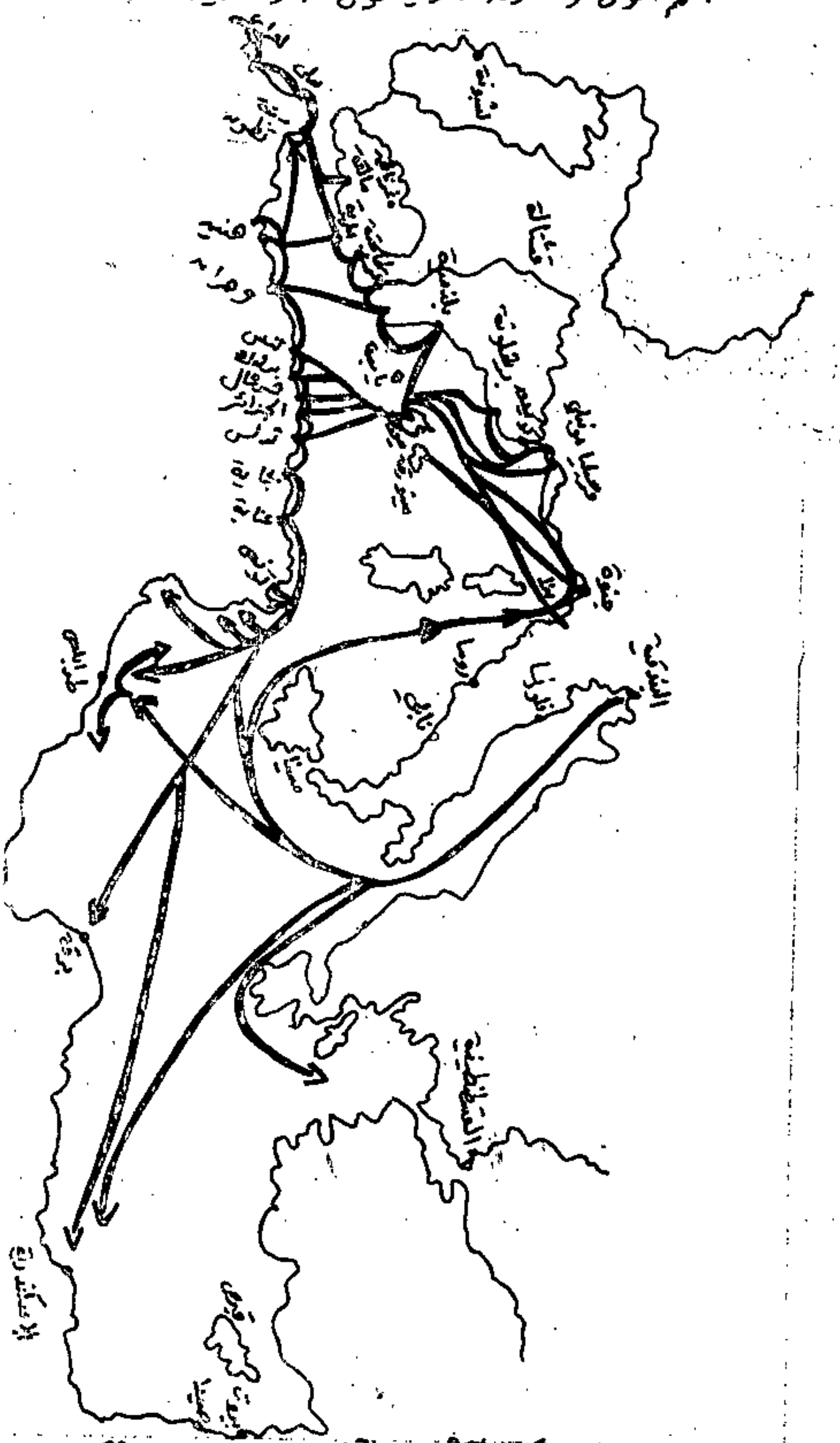


عن : - Robert Vernet : Recherches sur la production et la circulation des céréales dans le Maghreb médiéval, in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, n° 13, Janvier 1976, p. 47.

- Vanacker Claudette : Géographie économique de l'Afrique du Nord, selon les auteurs arabes, du IX siècle au milieu du XII siècle, in Annales E.S.C., Paris, 1973, mai-juin, 1973.

الخريطة رقم : ٦

أهم الموانئ والطرق البحرية حول البحر الأبيض المتوسط في أواخر العصور الوسطى



عن : - Cerry Monique, Alger et Livourne et leurs relations économiques à la fin du XIV et au début du XVII siècle (Memoire pour un diplôme d'Etudes Superieur, Alger, 1970.

- Dhina, les Etats de l'Occident Musulman, p.389.

البيبليوغرافيا

* المصادر والمراجع *

****

أ) المصادر والمراجع العربية :

1) المصادر :

1) ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد ابن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار) ، كتاب الحلة السيراء ، جزآن ، تحقيق حسين مؤنس ، طبعة القاهرة ، 1963 .

2) الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني المسمى الشريف الادريسي) ، وصف افريقية الشمالية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، صححه ونشره : هنري بيريس ، طبعة الجزائر ، 1957 .

3) عبد الباسط بن خليل ، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم نشره Brunschvig R. تحت عنوان :
" Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle".
طبعة باريس ، 1936 .

4) ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي) : الرحلة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة .

5) البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، عترف

الكتاب وترجم للمؤلف وصححه وكتب هوامشه، محمد زاهد بن الحسين الكوثري، طبع ونشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسيني سنة 1948م.

6) البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك، نشره البارون دوسلان، طبعة الجزائر، 1957.

7) البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي): أخبار المهدي ابن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات الجزائر، 1974.

8) البلنسي (محمد العبدري): الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1964.

9) التنسي (محمد بن عبد الله): نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، الباب السابع، تحقيق محمود بوعياد، طبعة الجزائر، 1405هـ - 1985م.

- تاريخ دولة الأدارسة، مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1984.

9) ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم نشره (M. Vonderheyden)، الجزائر - باريس 1927.

10) ابن حيان (ابن خلف أبو مروان حيان القرطبي المسمى بابن حيان): المقتبس في اخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، طبعة بيروت، 1965.

11) ابن الخطيب (لسان الدين) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، حققه وعلق عليه مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني، نشر دار الكتب، الدار البيضاء، 1964.

- أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العباديوابراهيم الكتاني، ط. الدار البيضاء، 1964.

12) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المغربي) : مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد وافي القاهرة، لجنة البيان المغربي، 1379هـ - 1960 - وطبعة الدار التونسية للنشر، 1984.

- تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب وهو القسم الأخير من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جزآن، صححه وطبعه البارون دوسلان، طبعة الجزائر، 1851.

- كتاب العبر، 7 أجزاء، - الجزء الرابع، طبعة بيروت 1958.
- الجزء الخامس، (بدون تاريخ)
- الجزء السادس، 1959.
- الجزء السابع، 1959 و1978.

13) ابن خلدون (أبو زكريا يحيي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون) : كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.
- الجزء الأول، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ - 1980.
- الجزء الثاني، تحقيق ألفرد بل - الجزائر، 1910.

14) ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، 1387 هـ / 1967 م.

15) ابن ابي زرع (أبو الحسن الفاسي)، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صححه وطبعه كامل بوحنا، تورنبوغ طبعة أوبسالة، 1948.

16) ابن أبي زيد القيرواني (عبد الله أبو محمد ابن أبي زيد عبد الرحمن)، متن الرسالة (في فقه مذهب شيخ الأئمة وامام دار التنزيل سيدنا مالك بن أنس الأصبحي رضي الله تعالى عنه)، الجزائر، (بدون تاريخ).

17) الزركلي (خير الدين)، الاعلام، 10 أجزاء، الطبعة الثانية.

18) السعدي (الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ابن عامر)، تاريخ السودان طبعة هوداس بمشاركة بنافوة، طبعة باريس، 1898.

19) الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)، كتاب الملل والنحل، جزآن، مجلدان، تحقيق كورت، لندن، 1842.

20) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، 3 أجزاء، 6 مجلدات، طبعة القاهرة، 1939.

21) ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي)،البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ،4 أجزاء ، تحقيق ومراجعة ح ، س كولان وإ.ليفي بروفنسال ، طبعة بيروت ، 1948 .

22) العقباني (أبوعبد الله محمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني) ،تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، حققه علي الشنوفي ونشره في Bulletin d'études orientales, T.XIX, année 1965-66, Institut Français de Damas.

23) القلقشندي (الشيخ أبو العباس أحمد بن علي) ،صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،القاهرة 1333هـ/ 1915م.

24) المازوني (أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة النصف الثاني ،مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1336 .

25) المجيلدى (أحمد سعيد) ،كتاب التسيير في احكام التسعير ،تحقيق لقبال موسى ، الجزائر ، 1981 .

26) المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي ، أبو محمد) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، طبعه وصححه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ،طبعة القاهرة ،1949 .

27) المغيلي (محمد بن عبد الكريم) ،أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ،تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية ،الجزائر 1974 .

28) المقري (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن يحيى التلمساني المالكي شهاب الدين)، كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 10 أجزاء، طبعة القاهرة .

29) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد ابن بكر بن منظور الافر يقي الانصاري الخزرجي) ، لسان العرب، 10 مجلدات ، طبعة بولاق، مصر 1300هـ/

30) الونشريسي (أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب خرّجه جماعة من الفقهاء باشراف الدكتور محمد حجي، 13 جزءا ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت، 1401هـ/ 1981م .

31) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ابن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي) صفة المغرب (مأخوذ من كتاب البلدان، ليدن طبعة بريل ، 1861 .

32) ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي)، كتاب معجم البلدان ،6 مجلدات ،طهران 1965 .

2) المراجع العربية :

33) إيف لاكوست : العلامة ابن خلدون ،ترجمة الدكتور ميشال سليمان، بيروت، 1978 .

51) صابر محمد ذياب، سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط من أوائل القرن الثاني حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة 1973.

52) طرخان (ابراهيم علي)، دولة المماليك الجراكسة، ط. القاهرة 1960.

53) عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق، 1400 هـ/ 1980 م.

54) عادل نويهض،

- معجم أعلام الجزائر، من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، 1403 هـ / 1983.

55) العبادي (أحمد مختار)، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة الدراسات الاسلامية في مدريد، عدد 1 ـ 2، المجلد الخامس سنة 1957 م.

56) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، القاهرة 1403هـ / 1983 م.

57) علي محمود فهمي: التنظيم البحري الاسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبد قاسم، بيروت، 1402هـ / 1981 م.

58) بن عميرة (محمد)، دور زناتة في الحركات المذهبية بالمغرب الاسلامي (122 هـ، 440هـ / 739م ـ 1049م)، الجزائر، 1984.

59) عنان (عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة 1964.

60) فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر، 1984.

61) كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب، القديمة والحديثة، 3 أجزاء، بيروت، 1388 هـ / 1968 م.

62) لقبال موسى، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، الجزائر 1981.

- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الجزائر، 1971.

- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، الجزائر 1979.

63) المدني (أحمد توفيق): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492م - 1792م)، الجزائر، 1976.

64) مزيان (عبد المجيد)، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي، الجزائر، 1981.

65) مصطفى (أبو ضيف عمر)، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، 1982.

66) المنوني (محمد)، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، 1399 هـ / 1979 م.

34) باشا نجاة، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثامن الهجرى تونس، 1976 .

35) بورويبة (رشيد) ، الدولة الحمادية ،تاريخها وحضارتها ، الجزائر،1977 .

36) بوزياني (الدراجي) ، تطور نظم الحكم والرسوم في دولة بني عبد الواد 633هـ - 791 هـ ، بحث لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة ،جامعة الجزائر، 1980 - 1981 .

37) الجنحاني (الحبيب)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار ،ندوة الحضارة الاسلامية في ذكرى الأستاذ دكتور أحمد فكري، 16 - 20 أكتوبر، 1976 ، الاسكندرية ، 1983 .

38) الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد)،تاريخ الجزائر العام ، جزءان ،الجزائر، 1965 .

39) حاجيات عبد الحميد أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره) ، الجزائر 1394هـ/ 1974 والطبعة الثانية، 1982 .

استمرار النفوذ المريني ، الجزائر في التاريخ ، العهد الاسلامي ،ج 3 ، الجزائر، 1984 ،

40) حسن إبراهيم حسن، انتشار الاسلام في القارة الافريقية مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثانية ،1964.

41) حليمي (عبد القادر علي)،جغرافية الجزائر،دمشق . 1968

42) دافيدسون، افريقيا تحت أضواء جديدة ترجمة م. أحمد، بيروت، 1963.

43) دهينة عطاء الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي، الجزائر، 1984.

44) ذ قلي (ع) ،جدول التسميات الموضعية للاعانة على الدراسات والأبحاث الأثرية في المغرب العربي مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب ،جامعة الجزائر، يناير ،رقم 8، 1970.

45) زاهر رياض، كشف القارة الافريقية منذ أقدم العصور.

46) زبادية (عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493م، 1591م، الجزائر، 1971.

47) -ملامح الحركة التعليمية في تمبكتوا ،مجلة الأصالة ،عدد 53.

48) سعيد عبد الفتاح عاشور ،حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى ،بيروت 1976.

49) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، بيروت ،1969.

50) الشيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، في تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد 1404هـ / 1984 م.

67) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ،القاهرة .

68) نعيم قداح ، حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في افريقيا الغربية ،الطبعة الثانية ، الجزائر .

69) وزارة الثقافة ، المتحف الوطني للآثار ،السكة الاسلامية نوفمبر 1984 (طبع المؤسسة الوطنية للفنون) 1984 .

70) الموسوعة العربية الكبيرة ، القاهرة ، 1965 .

71) المنجد في اللغة والاعلام ،بيروت 1960 .

1) Allan (J.), . . .

1) Allan (J.), E.I. Article Mithkal, T. III

2) Bargès (l'Abbé J. Bargès), Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom Paris, 1859. Complément à l'histoire des Béni-Zeyen, rois de Tlemcen, Paris 1887.
- Mémoire sur les relations commerciales de Tlemcen avec le Soudan sous le règne des Béni-Zeyen, dans Revue de l'Orient, Paris, 1853.
- Baratier (Edouard), histoire du commerce de Marseille de 1291 à 1423, T.II, Paris 1951.

3) Basset (René), Nedromah et les tiaras, Paris, 1901.

4) Bautier (R.H.), les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du Nord et l'équilibre économique méditerranéen du XII au XIV siècle, Bulletin philologique et historique, 1955.

5) Bel (Alfred), Tlemcen et ses environs, Toulouse, dans E.I. T.IV, Art. Sâ.

6) Bensaci (Mekia), Familles et individualités pisanes, cahiers de Tunisie, T. XXVIII, N° 113 - 114, 1980.
Berque (J.), les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XV siècle, d'après un manuscrit juriprudentiel, Annales E.S.C., Septembre, Octobre, 1970.

7) Bjorkman, E.I., T.III, article Maks.

8) Blancard (L.), Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen - âge, 2 volumes, Marseille, 1884.

9) Boissonnade, les relations commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord ou Maghreb, du XII au XV siècle, dans bulletin de la section de géographie, Tome XLIV, 1929.
Bouali (Sid-Ahmed), les deux grands sièges de Tlemcen dans l'histoire et la légende, Alger 1984.

10) Bragadin (commandant Marc-Antonio), Histoire des Républiques Maritimes Italiennes : Venise, Amalfi, Pise, Gênes, traduction de l'Italien par R. Juffé et R. Jouan.

11) Brosselard (Charles), coudée royale, in Revue Africaine, journal des travaux de la société historique algérienne, T.IV, année 1859 - 1860, Alger, 1860. n°19.

12) Brunschvig (R.), deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord, Abdel-basit b. Khalil et Adorne, Paris, 1936.

- La Berberie Orientale sous les Hafsides, des origines à la fin du XV siècle, Paris, 1940 - 1947.

13) Carrère (Claude), Barcelone Centre Economique à l'époque des difficultés (1380-1462), 2 volumes, Paris - La haye, 1967.

14) Cenival (Pierre De), E.I., T.III, Article Marrakech.

15) Colin (Georges), E.I., T.IV, Article Sijilmassa.

16) Cornevin (R.), E.I., T.II, Article Ghana, nouvelle édition.
- E.I., T.II, Article Gao, nouvelle édition.

17) Coudray, relations commerciales de Tlemcen avec le Sahara et le Soudan, dans bulletin de la Société de géographie d'Alger, 2ème année, 1887.

18) Cuoq (Joseph), Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVI siècle, Paris, 1984.

19) Davidson (Basil), Les royaumes africains, Hollande, 1967.

20) Delafosse (Maurice), E.I., T.IV., Article Songhaï.

21) Devisse (J.), Route de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la méditerranée, dans Revue d'histoire économique et sociale, Paris, 1972, n°1.

22) Dezobry (Ch.) et Bachelet (Th.), dictionnaire général de Biographie et d'histoire, 11ème édition, Paris, 1895.

23) Dhina (Attallah); Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou-Hammou Moussa 1er et d'Abou-Tachefin 1er, Alger, 1985.

- Les Etats de l'Occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles, institutions gouvernementales et administratives, Alger, 1984.

- Le royaume Abdelwadide, quelques aspects de sa vie économique dans Majallat et Tarikh, n°6, Alger, 1978.

24) Doumerc (Bernard), Venise et la dynastie Hafside à la fin du XV siècle, dans les cahiers de Tunisie, Tome XXIX, n° 117 - 118, 1981.

25) Dozy (R.), Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les Arabes.
- Supplément aux dictionnaires arabes, 2ème édition, Leide-Paris, 1927, (T1 et 2).

26) Dubois (F.), Tombouctou la mystérieuse, Paris, 1947.

27) Dufourcq (Charles-Emmanuel), Commerce du Maghrib médieval avec l'Europe Chrétienne et marine musulmane : données connues et problèmes en suspens (communication au congrés d'histoire et de civilisation du Maghrib, Tunis Décembre 1974), Actes du congrés "série histoire,n°1, Tome 1, 1979.

- Le Sultanat de Tlemcen vers 1382 - 1385 d'après un document inédit dans R.H.C.M., n°6 et 7, Juillet 1969.

- L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècle, Paris, 1966.

- Prix et niveaux de vie dans les pays catalans et Maghribins à la fin du XIII et au début du XIV siècle, le moyen âge, T.71, Bruxelles, 1965.

- Les relations de la péninsule ibérique et de l'afrique du nord au XIV siècle, dans Annuaris de Estudios Médiévales, revue, Barcelone, volume 7, 1970 - 1971.

- Route de l'or, in bulletin d'information historique de la faculté des Lettres d'Alger, n°3, 1966.

- La Péninsule Ibérique au XIV siècle, dans revue historique, T.C.C.X.L, 1969.

28) Dunlop (D.M.); E.I., Article Hicham II., T.III, nouvelle édition.

29) Fagnan (E.), Additions aux dictionnaires arabes Alger, 1923.

30) Fey (Henri Léon); Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole, Oran, 1958.

30) Funck (Brentans C.), E.I., T.III, Article Meknès.

32) Ganshof (François), Histoire des relations internationales, Tome premier, le moyen âge, Paris, 1953.

33) Godinho (V. Magalhaes), l'Economie de l'Empire Portugais aux XV et XVI siècles, Paris, 1969.

34) Heers (J.), gênes au XV siècle, Paris, 1971.

- Les Iles Baléares, Genève 1961.

- Le Sahara et le commerce méditerranéen à la fin du moyen âge, dans Annales de l'Institut d'Etudes Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger, T.16, Alger, 1958.

35) Ibn-Hammad, Documents Inédits sur Obeïd-Allah, traduit par M. Cherbonneau, Extrait du journal Asiatique n°7, 1855.

36) Idris (H.R.), commerce et Kirad en Berberie Orientale, d'après un recueil d Fatwa médiévale, dans journal of économic and social history of the orient volume 4, Leyde, 1961.

- E.I., T.III, Article Abuzakarya, nouvelle édition.

- E.I., T.III, article Hafsides.

- E.I., T.III, article Hammadides, nouvelle édition.

37) Julien (Charles-André), Histoire de l'Afrique du Nord (2ème édition, revue et mise à jour par R. le Tourneau), Paris, 1952.

38) Kienast et Bertrand, Atlas, Paris, 1968.

39) Labouret (H.), E.I., T.III, article Mali.

40) Laraoui (Abdellah), L'histoire du Maghreb, Paris, 1970.

41) Léon l'Africain, description de l'Afrique, 2 tomes, nouvelle édition, traduite de l'Italien par A. Epaulard, Paris VI, 1956.

42) Lespes, Oran, ville et port avant l'occupation française, Revue Africaine, 1934.

43) Lessard (Jean Michel), Sijilmassa, la ville et ses relations commercilaes au XI siècle, d'après El-Bekri, Hesperis Tamuda, volume X, fascicule 1 - 2, 1969.

44) Levi-Provençal (E.), E.I., T.III, article Al-Nasir.

- E.I., T.1. article Abd-Al-Mumin.

- E.I., T.III, article Al-Mamun

- E.T., T.1, article Abd-El-Rahmane III, nouvelle édition.

- E.I., T.IV, article Tachefin B-Ali.

45) Lombard (M.), l'Islam dans sa première grandeur, 1971.

46) Marçais (G), les villes de la côte algérienne et la piraterie au moyen âge, dans Annales de l'Institut des Etudes Orientales, T.13, 1955.

- Honaïn, recherches d'archéologie musulmane, in revue africaine, 4ème trimestre, 1928, Alger, 1928.

- Tlemcen et le commerce eurafricain au moyen âge dans eurafrique, Alger Juillet 1953.

- Tlemcen (les villes d'art célèbres), Paris, 1950.

- E.I., T. IV, article Tlemcen, nouvelle édition.

- E.I., T.II, article Arzew, nouvelle édition.

- E.I., T.III, article Al-Mansur.

- E.I., T.III, article Oujda.

- E.I., T. IV, article Taza.

47) Maslatrie (M.L. de), Traités de paix et de commerce avec les Arabes d'Afrique Septentrionale au moyen âge, Paris, 1866 (2 tomes).

- Les relations et commerce de l'Afrique Septentrionale au Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge, Paris, 1866.

48) Mauny (Raymond), Tableau géographique de l'Ouest Africain au moyen âge, Dakar, 1961.

- Les juifs de l'Afrique noire, Dakar, 1949.

- Le Soudan Occidental à l'époque des empires, dans histoire générale de l'Afrique noire de Madagaskar et des Archipeles publiée sous la direction d'Ubert Deschamps, Presse universitaire de France, Paris, 1970.

50) Mauroy (R.), précis de l'histoire de commerce.

51) Miles (G.C.), E.I., T.II, article Dinar, nouvelle édition.

- E.I., T. II, article Dirhem.

52) Monès (H.), E.I., T. II, article Djawhar Al-Sikilli, nouvelle édition.

53) Offrey (R.), Oran, Merselkebir, Bourg, 1938.

- Omari (Ibn Fadl Allah) ; Masalik El-Absar fi Mamalik El Ansar, I, l'Afrique moins l'Egypte, traduit et annoté par Gaudefroy - Demonbynes, Paris 1927.

54) Pellissier, Mémoires historiques et géographiques sur l'Algérie.

55) Pérès, les relations entre le Tafilelt et le Soudan, melanges Emile Félix Gautier, tours 1937.

56) Perroud (Régime), Histoire du commerce de Marseille, le moyen âge, jusqu'à 1291, Paris, 1949.

- Histoire du commerce de Marseille, T.II, de 1291 à 1493, Paris, 1951.

- Les villes marchandes aux XIV et XV siècles, Paris, 1948.

57) Piesse (L.) et canal (J.) , Tlemcen (Extrait de la Revue l'Afrique Française), Paris, 1889.

58) Prinaudaie (M.F. Elie de la), Le commerce et la navigation de l'Algérie, avant la conquête française, Paris, 1861.

- Histoire de Florence, France, 1964.

- Histoire du commerce de Marseille, T.2, Paris, 1951.

- Le rôle des hommes d'affaires italiens dans la Méditerranée au moyen âge, dans Revue de la Méditerranée, 1955.

59) Renouard (Y.), les hommes d'affaires italiens du moyen âge, Paris, 1949.

60) Reynaud (Félix), Histoire du commerce de Marseille, T.2., de 1493 à 1680, Paris, 1951.

61) Sayous (E.A.), les opérations des capitalistes, dans Revue des questions historiques, 1929.

62) Schnapper (B.) et Richardot (H.), histoire des faits économiques jusqu'à la fin du XIII siecle, Dalloz, 1971.

63) Seybold (C.T.), E.I., T. IV, article Baléares.

64) Streck (M.), E.I., T.IV., article Kaysariyya, nouvelle édition.

65) Spuler (S.), E.I., T.II, article Cons ul, nouvelle édition.

66) Talbi (M.), E.I., T.III, article Ibrahim 1er b. Al-Aghlab.

67) Tanasi (Al-) Abdal-Djalil, Nazm al durr wa l'Ikyan fi Sharaf Bani-Zayyan, traduction française partielle par Bargès, histoire des Beni-Zeiyan, rois de Tlemcen, Paris 1852.

68) Terrasse (Henri), histoire du Maroc, 2 volumes, casblanca, 1949 - 1950.

69) Therry, Tlemcen, évocation de son passé, Oran 1945.

70) Tourneau (Le), E.I., T.1, article Agadir, nouvelle édition.

71) E.I., T.II, article Funduk, nouvelle édition.

72) Vanacker (Cl.) la géographie économique de l'Afrique du Nord, selon la les auteurs arabes du IX au milieu du XII siècle, dans Annales E.S.C., mai - Juin, 1973.

- Vernet Robert, recherches sur la production et la circulation des céréales dans le Maghreb médieval, in Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, n° 13 Janvier 1976.

73) Witting (J), E.I., T.I. article Bornũ.

74) Zambaur (E.De), E.I., T.III, article Habba, nouvelle édition.

الفهـــــــــــارس

فهرس الأعلام

****

(أ)

ـ ب ـ

– ث –

– ج –

– ح –

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

- ز -

- س -

- ن -

= هـ =

فهـــرس الشعـــوب والقبـــائـــل والـــدول

****

ـ أ ـ

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

الميورقيون : 122- 192- 251- 264 .

- ن -

النصارى: 15- 191- 207 .

- هـ -

الهاوسا (ممالك) : 73 .

الهلاليون: 78- 80 .

- ى -

بنو يفرن : 18- 23- 27- 56 .

اليهود : 12- 14- 15- 40- 145- 198- 207- 209- 210- 213- 226- 287- 297 .

فهرس الأماكن
****

- أ -

- ب -

– ز –

– س –

المغرب (الاسلامي): 4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-18-
20-27-37-41-45-59-60-64-69-71-72-73-74-76-77-
79-80-87-88-89-106-107-108-109-111-115-124-128-
130-131-132-138-139-140-144-146-147-148-149-150-
151-152-154-159-160-163-164-165-166-167-168-170-
171-174-175-200-204-209-211-228-233-241-242-
244-247-248-252-256-257-259-261-262-266-268-
269-271-272-276-277-279-283-287-291-292-293-
294-295-298.

المغرب الأدنى: 12-44-45-56-77-79-80-129-132-148-165-
174-178-195-258-291-292.

المغرب الأقصى: 6-31-34-35-46-60-64-65-77-79-80-109-
135-139-143-148-151-154-160-174-180-253-
258-291-292.

المغرب الأوسط: 7-10-12-14-15-16-18-28-29-35-37-39-
56-108-109-116-129-132-139-140-144-148-155-
156-160-174-178-189-195-196-209-210-221-
224-233-238-243-253-255-256-258-261-267-
286-289-290-29.

مفروش (وادى) 82.

مكة: 142.

مكة (الجديدة): 85.

مكناس: 35-77-78.

ملوية: 31-37-57-101.

ـ ن ـ

– هـ –

– و –

– ى –

ـ فهرس المحتوى ـ

الموضوع	الصفحة

جدول التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ب	24	شوار ت	شورات
1	9	Dufomcq	Dufourcq
4	18	الى	الآ
4	23	باقي	بعض
9	17	شوار ت	شورات
17	9	بيريسة	بيريس
25	11	الدولة	دولة
26	10	الخليفة	خليفة
30	12	بني نزيان	بني زيان
33	17	إدريسي	إدريس
46	1	ليسترد	يسترد
49	3	ولما	لما
51	11	ابن أبي تاشفين	بن أبي تاشفين
51	20	أوهو توفي	أو توفي
55	4	الأتارك	الأتراك
71	18	المرينيين	المدينتين
77	10	باستمران	باستمرار
80	15	البحري	البحر
85	10	صادر	صار
87	15	الأدوية	الأودية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
104	هامش 5	ص 167 – 192	ص 249 – 250 .
117	5	محدودة	محددة
122	7	السفينة	السنة
133	21	بحرية	بحيرة
169	18	لا توجد ،راية	لا توجد،حسب رأيه
204	19	في الأموال	من الأموال
249	10	في الجرّ	للنحر
253	10	أوراق	أواق
258	12	تلمسان	بلاد السودان
294	12	يعتمهودون	يعتمدون